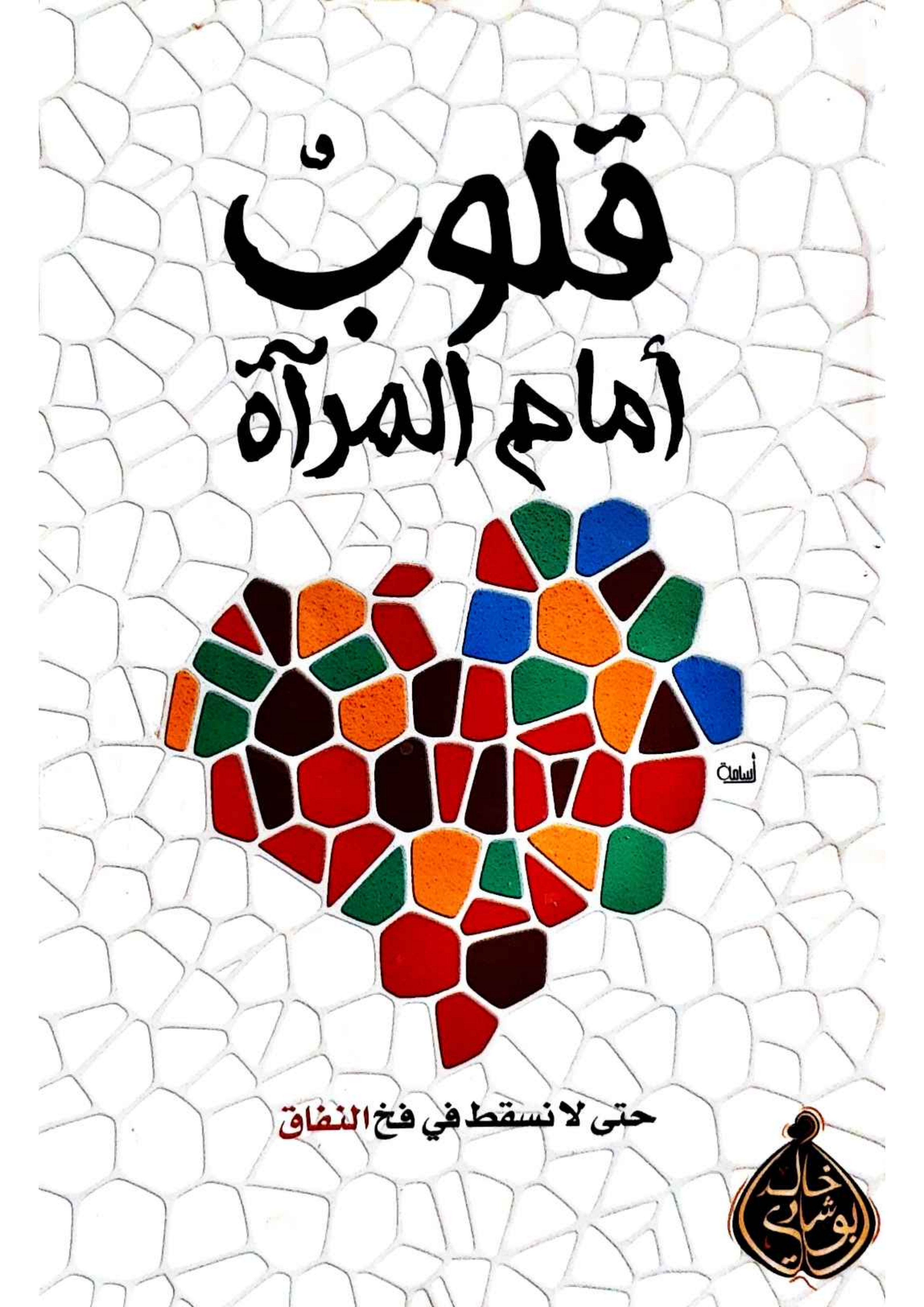
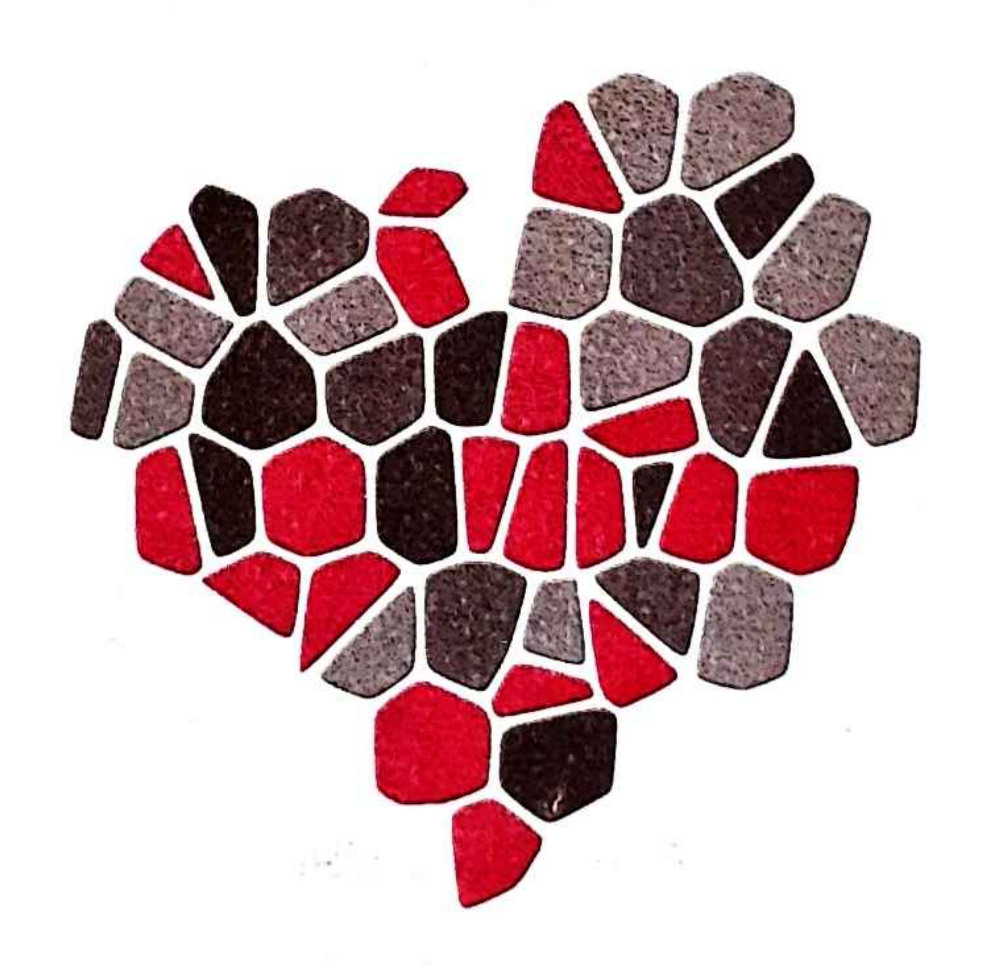

قلوب
أمام المرآة
أسامة
حتى لا نسقط في فخ النفاق
خالد بوشاري

الوقاية من النفاق



1. العلم
2. كثرة الذكر
3. خبيئة العمل الصالح
4. الصحبة
5. الإنفاق في سبيل الله
6. العمل بالعلم
7. الدعاء
8. الصلاة في المسجد و صلاة الجماعة
9. حسن التعامل مع مواسم الفتور
10. جلسة المحاسبة

قلوب
أمام المرآة



حتى لا نسقط في فخ النفاق





الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٩هـ-٢٠١٨م

رقم الإيداع: ١٧٥٤٢ /٢٠١٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N

978-977-456-519-8

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٠٦٩٦٢٦٤٧



بذرة النفاق مستقرة في قلبك..

إما أن ترويها أو تقتلها..

في قلب كل واحد فينا يقبع منافق صغيرٌ؛
إما أن تحاصره فتهزمه، وإما أن تنهزم أمامه فيهلِكك.

دينك في خطر..

وقلبك فيه بعض أعراض المرض!

وإذا مرض القلب كان إلى الموت أقرب.

نبتت شجيرة النفاق في قلوب القوم ونفشت، فانطفأ معها نور القلب.

وأرض الخوف يتفشى فيها النفاق..

يقول أهلها:

﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

وهو وباءٌ أكثر ما ينتشر في أهل الجُبنِ والإمَّعات.

النفاق مرض..

وما أنزل الله من داء إلا وجعل له دواء..

وإن الوقاية منها واجب الوقت وفريضة اليوم.







المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد..

ليس الهدف من وراء هذا الكتاب رمي الناس بالنفاق في الطرقات، ولا توزيع الاتهامات ..

بل هدفه الأسمى أن تقف أمام نفسك في مرآة المحاسبة؛ لتنظر أي خصال النفاق بدأ يتسلل إليك..

هل أصابك رذاذ النفاق؟

هل انتشار الغفلة في من حولك قد جرَّ رجلك نحو بعض خصال النفاق؟!

وهل زلت قدمك إلى هاوية النفاق؟!



إن كثيرين منا يحصرون النفاق في جانب دون جانب، وينظرون للمرض من خلال العرض..

- فمنهم من يربطه بالعبادة، فيرى المنافق من أخَّر الصلاة عن وقتها، ونام عن صلاة الفجر، وهو قد سلِم من ذلك، فلا بأس عليه.
- ومنهم من يرى المنافق من يخلف وعده، ويكذب في حديثه، فمن سلِم من هذا فهو مؤمن.
- ومنهم من يرى المنافق من يداهن السلطة، ويتقرب لأصحاب النفوذ، ويمدحهم بالباطل، وقد سلَّمه الله من هذا الداء.
- ومنهم من يرى النفاق في التخلُّف عن الجهاد، والجبن عن لقاء العدو، وقد رزقه الله بقلب شجاع، فليس موضع اتهام.

ولأن النفاق داء خفي فانتشاره أسهل، ولأن زماننا هو زمن الغربة، فقد تفاقم أثر هذا الداء، وأصيب به كثير من الناس.

وإذا كان النفاق موجودًا في عصر النبوة الأول، وكان المنافقون يستمعون إلى رسول الله ﷺ، ويحضرون صلاته، ومع هذا فما زال نفاقهم، ولا حصل شفاؤهم، فوجود المنافقين في زماننا أكثر حدوثًا وأشد خطورة.

وقد اجتهدت في هذا الكتاب في محاصرة خصال النفاق لأحيط بها، مع التعرض للأسباب التي تدفع المؤمن السوي إلى هاوية النفاق، ثم كيفية معالجة هذا الداء لمن أصيب به.

والله أسأل أن يتقبل مني ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يُشَكل جرعة وقاية ضد داء النفاق الخبيث عن طريق الاكتشاف المبكر للدواء، والتعريف بالدواء.

خالد أبو شادي







ما هو النفاق؟!

لغة:

النِّفاق اسم مأخوذ من مادّة (ن ف ق) التي تدل على الخروج، فالنَّفق سرب في الأرض له مخرج إلى مكان، والنّفق: المسلك النّافذ الذي يمكن الخروج منه، وعلى ذلك نبَّه القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] أي الخارجون عن الشّرع.

قال الزبيدي في تاج العروس:

« النِّفاق ككِتاب: فِعْلُ المُنافِق، وهو الدخول في الإسلام من وجهٍ، والخُروج عنه من آخر. وقد نافَقَ مُنافَقَةً ونِفاقًا.

وقد تكرَّر في الحديثِ النِّفاق وما تصرّفَ منه اسمًا وفِعْلًا، وهو اسمٌ إسلاميٌّ لم تعْرِفْه العربُ بالمعنى المخصوصِ به - وهو الذي يسْتُرُ كُفرَه ويُظْهِرُ إيمانَه- وإن كان أصلُه في اللّغة معْروفًا»[١].

وقال ابن منظور في لسان العرب:

«.. سمي المنافقُ مُنافقًا للنَّفَق وهو السَّرَب في الأَرض.

وقيل: إنّما سُمي مُنافقًا لأنه نافَقَ كاليربوع[٢]، وهو دخوله نافقاءه. يقال: قد نفق به ونافَقَ. وله جحر آخر يقال له القاصِعاء، فإذا طُلِبَ قَصَّع فخرج من

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ٢٦/ ٤٣١- دار الهداية

(٢) اليربوع دويبة فوق الجُرَذ، تمتاز بطول في ذنبها وأذنيها. ورجلاها أطول من يديها، والجمع (يَرَابِيعُ). والعامة تقول: (جَرْبُوعٌ). (انظر: لسان العرب: ٨/ ٩٩، والمصباح المنير: ١/ ٢١٧).



القاصِعاء. فهو يدخل في النافِقاء، ويخرج من القاصِعاء. أو يدخل في القاصِعاء، ويخرج من النافِقاء، فيقال: هكذا يفعل المُنافق؛ يدخل في الإسلام، ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه»[(١)].

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط:

«ونافَقَ في الدينِ : سَتَرَ كُفْرَهُ وأظْهَرَ إيمانَهُ »[(٢)].

وهذا هو النفاق الأكبر، وقد فسَّر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صدّيق إذ قال الحسن: «كانوا يقولون: من النفاق اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج»[(٣)].

وقال إبراهيم التيمي:

«ما عرضتُ قولي على عملي، إلا خشيت أن أكون مكذِّبًا»[(٤)].

وهذا هوالنفاقُ الأصغرُ وهو نفاقُ العملِ، وهو الذي خافه الصحابة على أنفسهم، ومن الذي يخلو من هذه المعاني؟!!

بل صار هذا النفاق مألوفًا بين الناس ومعتادًا، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة، فكيف الظن بزماننا؟!

ومن نظم الزمخشري كما في ترجمته في آخر تفسير الكشاف:

زمانٌ كلُّ حِبٍّ فيه خِبٌّ ... وطَعْمُ الخِلِّ خَلٌّ لو يُذاقُ

لهم سُوقٌ بِضاعتُه نِفَاقٌ ... فنَافِقْ فالنفاقُ له نَفَاقُ

والنَّفاقُ في آخر البيت هو الرواج الذي هو ضد الكساد

(١) لسان العرب ١٠/ ٣٥٧، مادة (نفق)- ط دار صادر- بيروت.

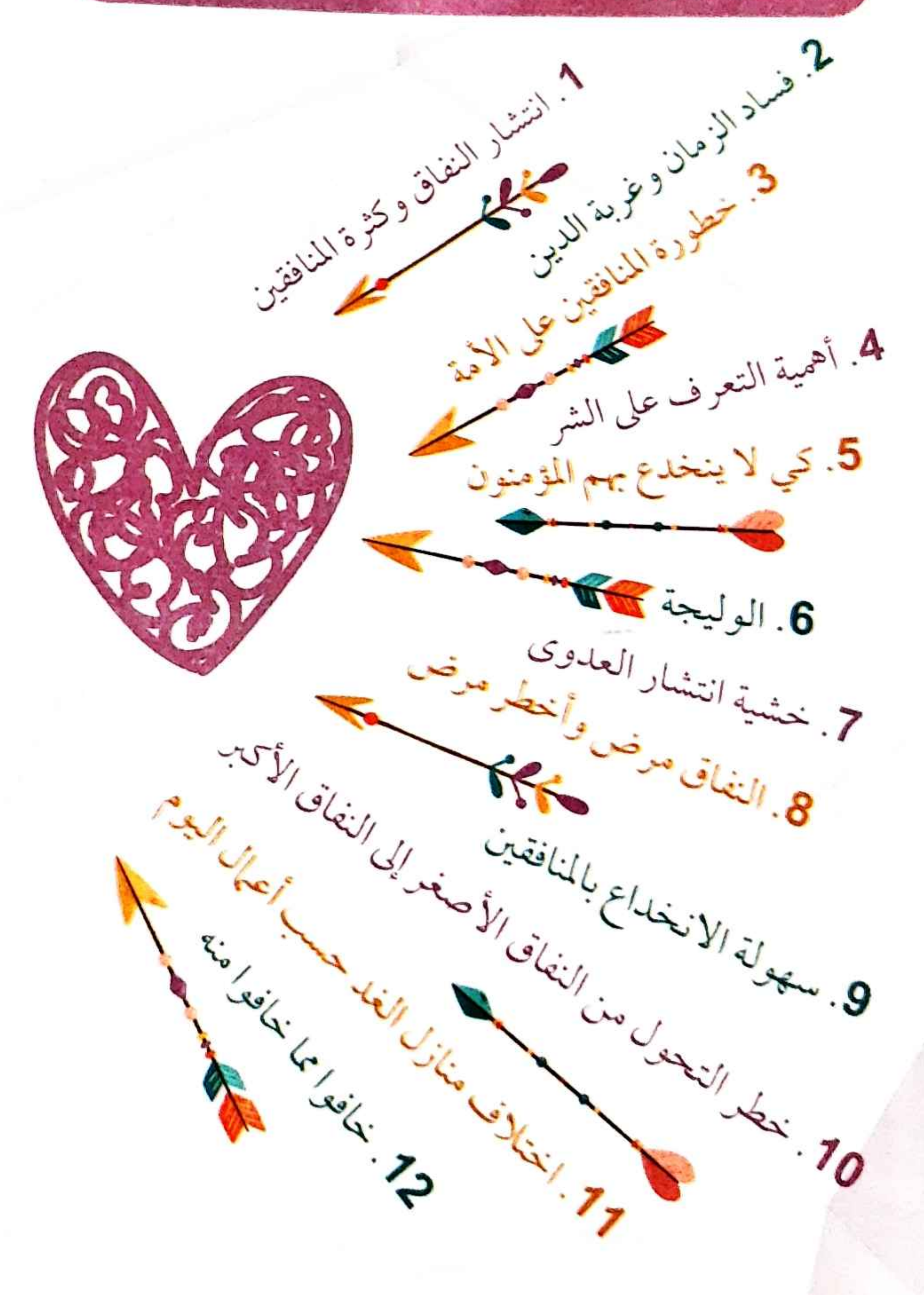
(٢) القاموس المحيط ١/ ٩٢٦- ط مؤسسة الرسالة.

(٣) الإبانة ٢/ ٦٩١.

(٤) الزهد لأحمد ص ٢٨٨.

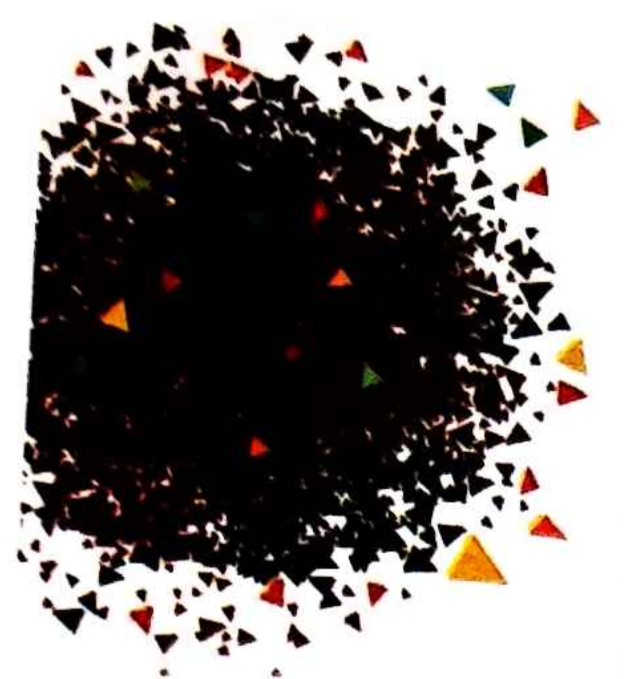


الفصل الأول: لماذا الاهتمام بشأن النفاق اليوم؟!





١- انتشار النفاق وكثرة المنافقين:



حذَّرنا القرآن من النفاق وصفات المنافقين في آيات كثيرة، فكان الحديث عن النفاق والمنافقين في القرآن في سبع عشرة سورة مدنية من أصل ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمائة وأربعين آية، وذكر الطوائفَ الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وخطورتهم، وهو ما يوجب مزيد الخوف من النفاق والحذر من المنافقين؛ فهم كثر، ومنتشرون في بقاع الأرض، وكلما زاد البُعد عن عصر النبوة، زاد النفاق وكثر أهله.

قال ابن القيم:

«كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم: لكثرتهم على ظهر الأرض، وفي أجواف القبور، فلا خلَت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسباب المعايش، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات، سمع حذيفة ﷺ رجلاً يقول: اللهم أهلك المنافقين، فقال: يا ابن أخي، لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك»[١].

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٦٤.





يقول هذا في جيل عايش جيل الصحابة وقبس منهم أنوار النبوة، لكي لا يتعجب أحدٌ من تواجد المنافقين بيننا اليوم، فقد عاش المنافقون في عصر الصحابة وهم خير القرون، ففي صحيح البخاري أن حذيفة بن اليمان ﷺ دخل المسجد يومًا على حلقة من التابعين، فسلَّم عليهم ثم قال:

«لقد أُنزِل النفاق على قوم خيرٍ منكم، ثم تابوا، فتاب الله عليهم»[1].

وحذيفة ﷺ يقصد مجتمع النبي ﷺ الذي كان الوحي فيه يتنزل، والمعجزات تتوالى، ومع ذلك فقد وقع بعض أفراده في النفاق، فكيف بمجتمعنا؟ وكيف يستبعد البعض وجود المنافقين بيننا؟!

قال ابن حجر:

«فكأن حذيفة حذَّر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا، فإن القلوب تتقلَّب، فحذَّرَهم من الخروج من الإيمان؛ لأن الأعمال بالخاتمة، وبيَّن لهم أنهم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم، فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مكر الله، فإن الطبقة الذين من قبلهم -وهم الصحابة- كانوا خيرًا منهم، ومع ذلك وُجِد بينهم من ارتد ونافق، فالطبقة التي هي من بعدهم أمكن من الوقوع في مثل ذلك»[2].



أنواع النفاق

ولا يعني ذلك تعميم الحكم بالنفاق على أكثرية المسلمين وأغلبيتهم، فإن النفاق شُعَبٌ وأنواع، كما أن الكفر شعب وأنواع، فمنه النفاق الأكبر والنفاق الأصغر، والمتهمون بالنفاق على أنواع متعددة، وأقبح النفاق ما كان في أصل

(١) صحيح البخاري رقم ٤٦٠٢.

(٢) فتح الباري ٨/ ٢٦٦، ٢٦٧.



الاعتقاد، وهو إظهار الإيمان مع استبطان الكفر؛ ولذلك جعل الله عقابهم أعظم فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥].

وضَّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:

«ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا..

بل فيهم المنافق المحض.

وفيهم من فيه إيمان ونفاق..

وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق.

ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك: صاروا يُعاتَبون من النفاق على ما لم يكن يُعاتَبون عليه قبل ذلك»(١).

٢- فساد الزمان وغربة الدين:

كان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول راصدًا تغيُّر الزمان وتدهور أحوال العباد:

«كان النفاق غريبًا في الإيمان، ويوشك أن يكون الإيمان غريبًا في النفاق».

وإن كان عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- يقول هذا في زمان التابعين، وهم القريبون من عصر النبوة ويعايشون الصحابة رضوان الله عليهم، فكيف لو أدرك عصرنا وزماننا الذي ابتعدنا فيه كثيرًا عن النهج الأول؟! وصدق النبي ﷺ حين قال:

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٣.



«إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»[(١)].

وحين يرق الدين يتهاون الناس في الكلام، وينطلق اللسان بالكلام دون أن يشاور القلب، فيكون الكلام الذي لا ينطق به إلا أهل النفاق، وهذا التدهور لمحه أهل الإيمان والرعيل الأول، فانطلقوا يحذِّروننا. قال حذيفة بن اليمان:

«إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد النبي ﷺ، فيصير بها منافقًا، وإني لأسمعها من أحدكم اليوم في المجلس عشر مرات»[(٢)].

يقول هذا عن جيل التابعين، فكيف بالمعاصرين؟!



٣- خطورة المنافقين على الأمة:

قال الله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤].

وهذا اللفظ يقتضي الحصر، أي: لا عدوَّ إلا هم، ولم يُرِدْ الله حصر العداوة في المنافقين، وأن لا عدو للمسلمين سواهم، بل هو من باب إثبات الأولوية والأحقية لهم في الوصف بالعداوة، وكي لا يتوهَّم واهم أن المنافقين بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرًا ليسوا بأعداء، بل هم أحقُّ بالعداوة ممن جاهر المسلمين بالعداوة؛ فإن ضرر المنافقين المخالطين للمؤمنين - وهم في الباطن على الكفر - أشدّ عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة من الأعداء؛ لأن الحرب مع الأعداء أيام وتنقضي، وأما المنافقون فمع المسلمين في الديار والمنازل صباح مساء، يدلّون العدو على عورات المؤمنين، ويتربَّصون بهم الدوائر؛ لذا كانوا أحقَّ بالعداوة من العدو الظاهر؛ ولهذا قال:

(١) صحيح: رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة، والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود كما في صحيح الجامع رقم: ١٥٨٠.

(٢) حسن: مسند أحمد رقم: ٢٣٢٧٨



﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾، لا على معنى أنه لا عدوَّ سواهم، بل على معنى أنهم أحقّ بأن يكونوا لكم أعداء من الكفار الظاهرين.

ومن العجيب أن الفيلسوف الألماني كارل شميت (١٨٨٨م – ١٩٨٥م) – وهو أحد أهم فلاسفة العصر الحديث وأحد الممهدين فكريًا لأطروحات المحافظين الجدد- قال في تعريف السياسة:

«إن السياسة هي قبل كل شيء القدرة على استكشاف العدو».

ومن هنا تبرز أهمية اكتشاف المنافقين في مجتمعاتنا المسلمة اليوم.

٤- أهمية التعرف على الشر:

ثبت في الصحيحين من حديث أبي نُجَيْد حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت:

يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: **نعم.**

قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: **نعم، وفيه دخن.**

قلت: وما دخنه يا رسول الله؟

قال: **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر.**

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: **نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.**

قلت: يا رسول الله .. صِفْهُم لنا.

قال: **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.**

قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟!

قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.**

قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟!

قال: **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**».

أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وحذيفة ﷺ يُرسي هنا منهجًا فريدًا، يعلِّمنا به أن نتحصن عن طريق معرفة طرق الشر لنحذرها ونحتاط منها، حتى ولو كنا اليوم على خير وطاعة، فإن الوقاية أهم وآكد من العلاج؛ لأن التوقي وعدم مواقعة الخطر أسلم لدين المرء وعقله وقلبه، بخلاف من سقط فيه، فإن رواسب الفتنة فيه تبقى، ويقع العبد في التخليط واللبس من أثر الشبهات والشهوات؛ ولذا قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج، وقد قال الشاعر:

عرفتُ الشَّرَّ لا للشَّر لكن لتوقِّيهِ ومن لا يعرف الشَّرَّ من النَّاس يقع فيهِ!

وهذا الحديث مخيف مخيف، يصور بعض إخواننا وأبناء أمتنا -ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله- على نحو مرعب، وهو أنهم يدعون الناس إلى النار، وحقيقتهم كما وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام: «**قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنس، دعاة على أبواب جهنم**».

وفي لفظ لمسلم:

«وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس».

فمن هؤلاء يا ترى؟!

لعل منهم..

- من يشيعون الفاحشة والانحلال وما يثير الغرائز الكامنة في صور فاتنة، أو مواقع وأفلام ومقالات.
- القائمين على صحف ومجلات ومؤلفات تطعن في الإسلام.
- الدعاة إلى الزنى، أو شرب الخمر، أو غير ذلك من الكبائر.

هذه بعض أبواب جهنم، ومن دعا إلى هذه الكبائر كان من (دعاة على أبواب جهنم)، يدعون إليها من أجابهم إليها ليقذفوه فيها.

وضاعف من هذا الخطر اشتداد الصراع اليوم بين الخير والشر، فالخير والشر يتصارعان ويتداولان على مرِّ العصور وكر الدهور، ولن يتوقف ذلك إلى قيام الساعة، فهي سُنَّة إلهية، وأمر قدري شرعي وضعه الله للتمحيص والابتلاء، والقائمون بالحق في صراع مفتوح مع أهل الباطل، وليس مطلوبًا منهم فقط ألا يقعوا فريسة لدعاة الباطل، بل عليهم كذلك أن يشاركوا في انتشال الغافلين من براثن المبطلين، وما أكثرهم اليوم!





٥- كي لا ينخدع بهم المؤمنون:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:



«إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة:

منافق يقرأ القرآن لا يخطئ فيه واوًا ولا ألفًا، يجادل الناس أنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى.

وزلة عالم.

وأئمة مُضِلّون»[(١)].

وما خاف عمر علينا إلا لخفاء هؤلاء المنافقين، ولأنهم يرتدون زي المؤمنين، ويقرؤون القرآن مع القُرّاء الحافظين، فإذا اطمأن لهم المسلمون فتحوا لهم بيوتهم وعقولهم وقلوبهم ليدخلوها آمنين، فكان إفسادهم أعظم إفساد.

وقد مرَّ بك قول النبي ﷺ في إجابة حذيفة: «**هم مِنْ جِلدتنا، ويتكلّمون بِألسنتنا**»، فالمنافقون لخفائهم هم الخطر الداهم، والسم الزعاف، والشر الذي ليس بعده شر. قال ابن القيم:

«وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزَّغَل في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنَّقْد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليلٌ ما هم»[(٢)].

وقد يخفى المنافقون على العالِم فكيف بالجاهل؟!

ومع ظهور المنافقين اليوم وتبجحهم بنفاقهم، وانتقاصهم من أحكام الدين

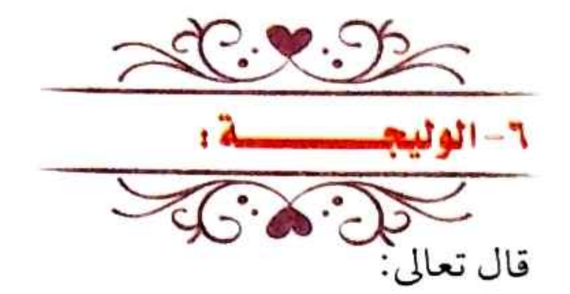
(١) صفة النفاق وذم المنافقين ص ٧١ - أبو بكر الفريابي - ط دار الصحابة للتراث.
(٢) طريق الهجرتين ص ٤٠٨ - ط دار السلفية.



وثوابته، إلا أنهم لا زالوا أخفياء؛ لأن الجهل عمَّ جموع المسلمين؛ ولذا سهل تضليلهم وخداعهم والتغرير بهم، وإذا كان حذيفة ﷺ يقول عن جيل التابعين:

«المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ، كانوا يومئذٍ يكتمونه، وهم اليوم يُظهِرونه»(١).

فماذا لو رآنا اليوم في ظل غربة الدين وتواري المصلحين وعلو شأن المنافقين؟!



٦- الوليجة:

قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾[التوبة: ١٦]:

والوليجة من ولج أي دخل، وهي (كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة)(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[فاطر: ١٣]، لاختلاف طبيعة الليل والنهار، والوليجة هنا هي إدخال إنسان في المؤمنين وهو ليس منهم، بل هو دخيل، ولماذا دخيل؟! لأنه يدخل في محيط لا يشبهه في شيء.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟﴾ أي لم يتخذوا بطانة من الذين يضادون رسول الله ﷺ والمؤمنين، وهو فعل فيه اصطناع للوليجة في دين الله أي في الفكرة الإسلامية، أو إدخال في عداد المسلمين من ليس منهم.

وهذا تلمحه اليوم في مفكرين يزعمون أنهم مسلمون، بينما هم **(وليجة)** على

(١) الحلية (تهذيبه) ١ / ٢٠٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٢/ ٤٨٤- مكتبة نزار مصطفى الباز.

المسلمين، ومدسوسون عليهم، فيهدمون ثوابت الدين من داخله بأفكار (**وليجة**) على الفكر الإسلامي، يُحِلّون بها الحرام، ويزعزعون ثوابت الإسلام في عقول العوام وأجيال الناشئة، فينتشر الإلحاد، والشك في الدين بتأثيرهم وتشكيكهم.

ومنهم على سبيل المثال عبد الله بن سبأ اليهودي، وكان يهوديًّا من أهل صنعاء، فلمَّا رأى قوة الإسلام وانتشاره؛ أعلن اعتناق الإسلام وتسلل بين المسلمين، وبدأ يفتك بهم، وينشر الأفكار الضالة بينهم باسم الإسلام، وصدق من قال:

ما زال فينا ألوفٌ من بنـــي سبَأ يُؤذون أهل التُّقى بغيًا وعدوانـا

ما زال لابن سلول شيعةٌ كثروا أضحى النِّفاق لهم سمتًا وعنوانا

ومن أصحاب الوليجة: (مصطفى كمال أتاتورك) الذي هتف له أحمد شوقي في بداية ظهوره، ودبَّج له قصيدة تبجيل سمّاها (تكليل أنقرة وعزل الأستانة) أي تكليل الكمالية وعزل السلطان والخلافة، وعندما ادَّعى أتاتورك الانتصار على اليونان أطلق شوقي أبياته المشهورة:

الله أكبر كم في الفتح من عجبِ يا خالد الترك جدِّد خالد العربِ

ولكن شوقي أُسقِط في يده بعد ذلك عندما فوجئ بأن (خالد الترك) بدلًا من أن يجدد خالد العرب، فإنه بَدَّد مجد الترك ومجد العرب، فكان أعظم حربًا على الإسلام وأهله، وقتل الأئمة والخطباء، ومنع الأذان، وغيَّر الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، وحرَّم الطربوش والعمامة، وألزم الناس بالقبعة، وحرَّم الحجاب تمامًا، فلا يمكن أن تدخل امرأة ذات حجاب إلى أي مكان رسمي، وتبنى العلمانية كمبدأ خبيث لفصل الدين عن الحياة.



٧- خشية انتشـــار العدوى:

في زمن غربة الدين وقلة المصلحين يصبح النفاق عدوى، فقد يصيبك ما أصاب المنافقين من نفاق دون أن تشعر، وقد يتسلل لك الداء وأنت تظن نفسك من أهل العافية، وقد قال ابن الجوزي قديمًا:

«تأثير الصحبة لا يخفى، أما ترى دود البقل أخضر؟!»[1].

وصفحات هذا الكتاب ليست أدلة اتهامٍ لغيرك بل لنفسك!

هي مرآتك التي ترى قلبك فيها بوضوح، وبلا رتوش، فاعرض قلبك على ما تقرأ؛ لتعرف استقامتك من انحرافك، وإيمانك من نفاقك، وقربك من الجنة أو بعادك.



٨- النفاق مرض وأخطر مرض:

المرض يوجِب وُقوعَ الضَّرر في الأفعال الصَّادرة عن مَوضِع المرض، ولَمَّا كان الأثرُ الخاصُّ بالقلب هو معرفة الله تعالى وطاعته وعبوديته، فإذا وقع المرض في القلب صار هذا المرض مانِعًا منْ هذه الآثار الشريفة، واهتزت معرفة العبد بربه وطاعته له وعبوديته.

والأصل أن المرض يراد به مرض البدن الحسي، ثم استُعمِل هذا اللفظ في الأمراض المعنوية مثل مرض القلب، ومرض قلوب المنافقين هو شكُّهم في أمر النبي

(١) المدهش ١/ ١٩٦ – ط دار الكتب العلمية.



ﷺ وما جاء به من الحق، وهو الذي عليه عامة المفسرين أن المرض هو الشك، وبه قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وابن مسعود ﷺ وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم.

وإنما كان الشك في الدين مرضًا لأنه فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن، لكنْ مرض القلب أعضل، وعلاجه أصعب، ودواؤه أعز، وأطباؤه أقل.



بين مرض القلب ومرض البدن

ولاشك أن مرض القلوب أشد خطورة من مرض الأبدان لثلاثة أسباب ذكرها أبو حامد الغزالي في الإحياء:

الأول: أن المريض لا يدري أنه مريض.

والثاني: أن عاقبة مرض القلب غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن، فإن عاقبته موت مشاهد، تنفر الطباع منه.

وعاقبة الذنوب موت القلب، وهو غير مشاهَد في هذا العالم، فقلَّت النفرة عن الذنوب وإن علِمها مرتكبها؛ فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب، ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال.

والثالث: وهو الداء العضال: فقد الطبيب، فإن الأطباء هم العلماء، وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضًا شديدًا، عجزوا عن علاجه، وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم، فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضًا؛ لأن الداء المهلك هو حب الدنيا، وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه، استنكافًا من أن يُقال لهم: فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم؟! فبهذا السبب عمَّ على الخلق الداء وعظم الوباء



وانقطع الدواء وهلك الخلق؛ لفقد الأطباء[1].



٩- سهولة الانخداع بالمنافقين:

المنافقون أصحاب خداع وتلبيس، فيتكلمون بمعسول الكلام، وفصيح الخطاب، ويظهرون للناس في هيئة حسنة، ومظهر جذاب، فينخدع بهم عوام المسلمين، فيميلون إليهم ويصغون لتدليسهم. قال تعالى:

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

وهذه الجملة: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ جملة اعتراضية للتنبيه على أنَّ بغيهم الفتنةَ أشدّ خطرًا على المسلمين؛ لأن في المسلمين فريقًا تنطلي عليه حيلُهم، وهؤلاء هم المغفلون والمستغفلون الذين يعجبون من أخبارهم ويتأثَّرون بأحوالهم الظاهرة، ولا يكشفون الخدع والمكائد، فيذيعون كلامهم في الصف، خاصة مع وجود وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمتصفَّحة وقد انتشرت انتشار النار في الهشيم.

و﴿سمَّاعون﴾ صيغة مبالغة للقوة أو الكثرة، أي كثير الفعل أو شديده .. شديد الاستماع أو كثير الاستماع.

سواء كان استماعهم مقترنًا بتصديق واعتقاد، أو لضعف شخصية من يُصَدِّق الخبرَ ونقيضَه.

قال قتادة وجمهور المفسّرين: معناه وفيكم من يقبل منهم قولهم ويطيعهم، أي من ضعاف المسلمين.

وجيء بحرف: (في) لا حرف (من)؛ فلم يقل (ومنكم سمّاعون) لهم أو (ومنهم سمَّاعون)؛ لئلا يتوهَّم أحدٌ تخصيص السَّمَّاعين بجماعة من أحد الفريقين

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٥١ بتصرف يسير.



دون الآخر؛ لأن المقصود أن السّمّاعين فريقان: فريق من المؤمنين، وفريق من المنافقين مبثوثين بين المؤمنين لإلقاء الأراجيف والفتن، فكان دور حرف (في) هو التعبير عن الجمع بين الفريقين بهذا الإيجاز البليغ.

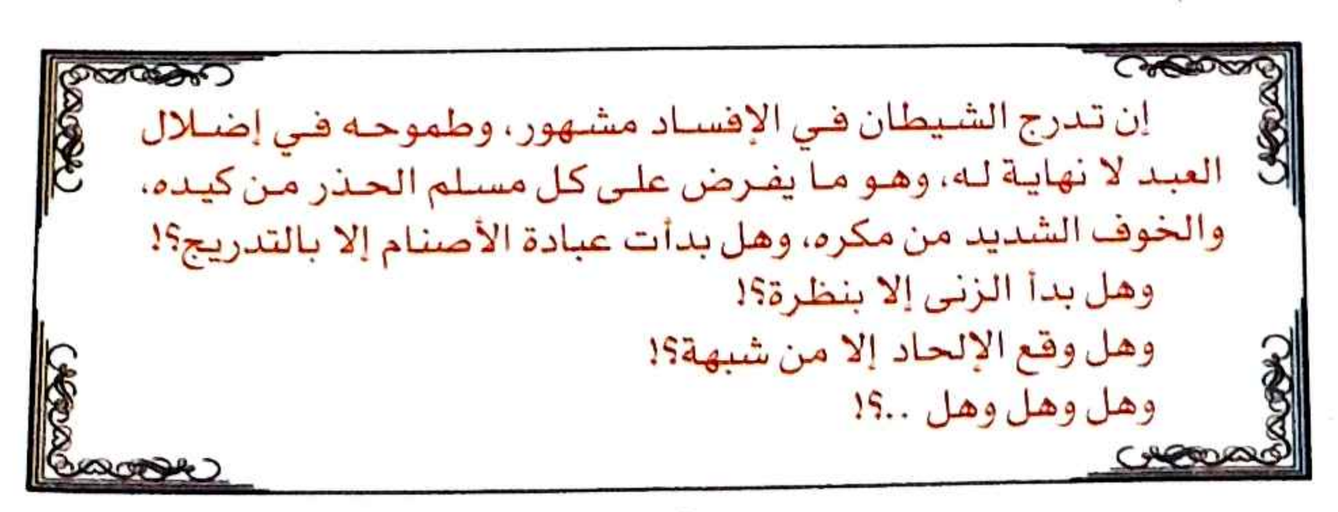
١٠ - خطر التحول من النفاق الأصغر إلى النفاق الأكبر:

ما خطورة الشعبة الواحدة من النفاق التي تصيب العبد؟!

خطورتها أنها بريد النفاق الخالص، فالعبد إن وقع في شعبة من النفاق جرَّته لشعبة أخرى، فتتكاثر عليه شعب النفاق حتى تخرِجه من الإيمان، فشعب النفاق تصارع في القلب شعب الإيمان، والمحصِّلة لمن غلب، ولا يدري العبد بم يُختَم له.

بل إن الله عز وجل قد يعاقب من استرسل في شعبة نفاق بأن يسلِّط عليه مثلها، كما نبَّه القرآن على ذلك في قوله تعالى:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].



إن تدرج الشيطان في الإفساد مشهور، وطموحه في إضلال العبد لا نهاية له، وهو ما يفرض على كل مسلم الحذر من كيده، والخوف الشديد من مكره، وهل بدأت عبادة الأصنام إلا بالتدريج؟!

وهل بدأ الزنى إلا بنظرة؟!

وهل وقع الإلحاد إلا من شبهة؟!

وهل وهل وهل ..؟!



قال ابن رجب في معرض بيان خطورة النفاق الأصغر:

«والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر، فكما يُخشى على من أصرَّ على المعصية أن يُسلَبَ الإيمانَ عند الموت، كذلك يُخشى على من أصرَّ على خصال النفاق أن يسلَب الإيمان، فيصير منافقًا خالصًا»[1].

وقال ابن رجب في شرح الأربعين النووية:

«فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيُخرِجه إلى النفاق الأكبر، فإن دسائس السوء توجبُ سوء الخاتمة»[2].



١١- اختلاف منازل الغد حسب أعمال اليوم:

نحن في الدنيا سائرون في طريق، بدايته هنا، ونهايته في الآخرة.

والناس لا يسيرون فرادى بل جماعات، فينضم كل واحد إلى من يشبهه، والمرء مع مَنْ أحب، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم. فمن سلك طريق المؤمنين ورد عليهم وشاركهم السكَن في الجنة. فصار من السعداء.

ومن سلك طريق الفُجّار، وَرَد عليهم في دركات النار.

ومن سلك سكَك المنافقين نزل معهم في الدَّرْكِ الأسفل من النار.

وهذه خطورة اتصافك بخصال المنافقين، وهو أن سكة المنافقين تجمعك بهم في النهاية، وتحشرك معهم يوم القيامة.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٩٢-٤٩٣.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٧٤.

وهو ما أشار إليه الحديث النبوي في إيجاز بليغ:

«كما لا يُجتنى من الشوك العنب كذلك لا يَنْزِل الْفُجَّارُ منازلَ الأَبْرَار، فاسلكوا أيَّ طريقٍ شئتم، فأيَّ طريق سلكتم وردتم على أهله»(١).

فكما أنه من المستحيل أن نجني من شجرة الشوك العنب، فكذلك من المستحيل أن يلتقي الأبرار غدًا مع الفجار في نفس الدار.

فلا يظن أحد أن الفوز غدًا طريقه الأحلام، أو مفتاحه الأماني، فليس والله إلا العمل الصالح، ومِنْ قبله وبعده رحمة الله التي تجبر الخلل والزلل.



١٢- خافوا مما خافوا منه:

قال حذيفة رضي الله عنه: دُعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلّقتُ به، فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين، فإنه من أولئك - أي: من المنافقين -، فقال: نشدتُك الله، أنا منهم؟! قال حذيفة: لا، ولا أبرِّئ أحدًا بعدك(٢).

وقال ابن أبي مليكة:

«أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»(٣).

وعلَّق ابن القيم على ذلك قائلاً:

«تالله، لقد مُلئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق شديد، وهَمُّهم

(١) حسن: أبو نعيم في الحلية عن يزيد بن مرثد مرسلاً كما في صحيح الجامع رقم: ٤٥٧٥ والصحيحة رقم: ٢٠٤٦.

(٢) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ٧/ ٢٩٢ – ط مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا في الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ووصله الحافظ في تغليق التعليق (١/ ٥٢).



لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدَّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل»[1].

قال الحافظ ابن حجر:

«والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة، من أجلهم: عائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة... فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء، كعلي، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم»[2].

لكن لم كان كل هذا الخوف من خير جيل؟!

- لأنهم عرفوا قدر الله، وكلما زادت المعرفة بالله زاد الخوف منه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، وما عُصِي الله بشيء مثل قلة المعرفة به.

- ولأنهم علموا أن حق الله عليهم أعظم من كل ما قدَّموه، وقد تعلَّموا هذا من الحديث:

«لو أنَّ رجلاً يُجَرُّ على وجهه من يوم وُلِد إلى يوم يموت هرمًا في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة»[3].

أي لو كان العبد قضى عمره كله عبادة متواصلة بلا نوم ولا طعام ولا شرب لرآه حقيرًا يوم القيامة؛ لِما ينكشف له عيانًا من روعة جزاء الله وعظيم نواله وباهر عطائه.

- ولأنهم عرفوا النفس الأمارة بالسوء وعيوبها، فخافوا حبوط الأعمال، وتبين لهم أن ما معهم من البضاعة لا يصلح لشراء الجنة، وإنما يقبله الله

---

(١) فتح الباري ١/ ١١١.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٨٨).

(٣) حسن: رواه أحمد والطبراني عن عتبة بن عبد كما في صحيح الجامع رقم: ٥٢٤٩.



بكرمه وجوده، ويثيبهم بفضله.

✍ ولأنهم خافوا عاقبة التقصير كما قال ابن بطال:

«إنهم خافوا لأنهم طالت أعمارهم، حتى رأوا من التغيير ما لم يعهدوه، ولم يقدروا على إنكاره، فخافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت»(١).

✍ ولأنهم يخشون عدم القبول، فكما قال أبو الدرداء رضي الله عنه:

«لأَن أستيقِن أنَّ الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]»(٢).

✍ ولأنهم يخافون سوء الخاتمة، وبم يختم الله لهم، فالقلوب قُلَّبٌ، والفتنة لا تُؤمَن على أحد بعد الخليلين، الخليل الأول إبراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

والخليل الثاني محمد ﷺ الذي قال: **«أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون»**(٣).

وهذه الألوان من الخوف يحتكرها المؤمنون؛ ولذا كان الحسن البصري يقول عن **النفاق**:

«ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق»(٤).

إن كل مؤمن بحق يخشى النفاق على نفسه، وهي صفة مشتركة لكل من حمل راية الإيمان وانتسب إلى أهله، ولما سئل الإمام أحمد:

ما تقول في من لا يخاف على نفسه النفاق؟! قال:

---

(١) فتح الباري ١/ ١١١ عند شرحه لكتاب الإيمان - باب ٣٦.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٧.
(٣) صحيح: رواه البخاري عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ١٠٧٥.
(٤) فتح الباري ١/ ١٣٥.



«ومن يأمن على نفسه النفاق؟!»[1].

فخوفك من النفاق علامة إيجابية، ودليلُ وجود الإيمان في قلبك.

وإليك بشارة حذيفة بن اليمان - خبير النفاق وكاشف رجاله - حين قال لرجلٍ سأله:

أخشى أن أكونَ منافقًا.

فقال: «لو كنتَ مُنافقًا لم تخشَ»[2].

فخوفك علامة إيمانك، وأمنك علامة نفاقك، ومن هنا هدَّد الحسن كلَّ من لا يخاف من النفاق بقوله:

«من لم يخفِ النفاق، فهو منافق»[3].



(١) جامع العلوم والحكم ٣٧٨.

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٧٣٩.

(٣) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة رقم: ٦٨٧، والفريابي في صفة المنافق رقم: ٨٧.



الفصل الثاني: مثلان عظيمان للفهم والبيان!

المثل الأول الناري: مستوقد النار في الظلام

1. عقوبة اختيار العمى على الهدى



2. المنافقون أصحاب إيمان مصلحي

3. تعدد ظلمات المنافق

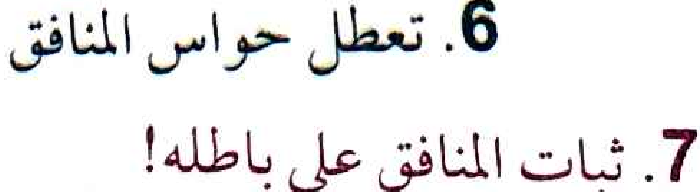


4. الحيرة والغباء هما وجه التشابه

5. لم اختار النار لضرب المثل؟!



6. تعطل حواس المنافق





7. ثبات المنافق على باطله!

المثل الثاني المائي: الصيِّب من السماء القرآن هو الصيب

رعد القرآن هو زواجره التي تخيف كالرعد

وبرق القرآن هو أنواره ومنافعه



جعل الله ضرْبَ الأمثال في القرآن طريقًا لتعليم الناس ما خفي عليهم من معانٍ.

قال الزمخشري في «الكشاف»:

«ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنٌ ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيَّل في صورة المحقَّق، والمتوهَّم في معرض المتيقَّن، والغائب كالمشاهَد»[1].

قال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]

فالكلُّ مشتركون في سماع الأمثال، ولكن لا يصغى إليها ولا يعقِلها من كان قاسي القلب، فاسد الحال، معتادًا على الكسل، مقيمًا في أوطان الفشل، فلا يعقِلها إلا العالِمون المتدبِّرون، وهو أمر يستحق أن ندعو به كما دعا به كثيرًا عمرو بن مرة، فعن سليم بن رستم قال: «كنتُ أقرأ على عمرو بن مرة، فكنتُ أسمعه كثيرًا ما يقول: اللهم اجعلني ممن يعقل عنك»[2].

وقال رحمه الله:

«أكره أن أمُرَّ بمَثَل في القرآن فلا أعرفه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]»[3].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٧٢ - أبو القاسم الزمخشري- دار الكتاب العربي.

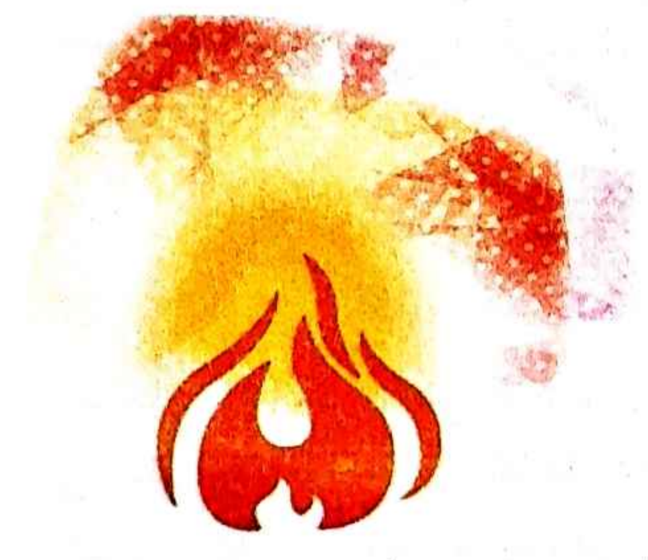
(٢)، (٣) حلية الأولياء ٥/ ٩٥.



المثل الأول الناري: مستوقد النار في الظلام:

قال تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٧، ١٨].



أي حاول أن يوقد نارًا، والذي يحاول أن يوقد نارًا له هدف، والهدف قد يكون الدفء أو طهي الطعام أو الضوء.

والتعبير بالفعل (استوقد) بدلاً من (أوقد) دلالة على شدة حاجته للنار، وتلهفه عليها؛ بحيث إنه بذل أقصى جهد لإيقادها، كما يدل فعل (استوقد) على مدى خوفه وقلقه من إحاطة الظلام به، وتطلعه لأدنى شعلة من نار تبدد ما أحاط به من ظلمات وتُذهب خوفه، وقد وردت (نارًا) نكرة للدلالة على التقليل، فهو متلهف إلى أي نار قليلة تضيء له أدنى إضاءة.

ومن هنا أورد الإمام الرازي أن استيقاد النار عبارة عن إظهار المنافق كلمة الإيمان، وإنما سماه نورًا لأنه يتزين به ظاهره فيهم، ويصير ممدوحًا بسببه فيما بينهم، ثم إن الله تعالى أذهب ذلك النور بهتك ستر المنافق بتعريف نبيه والمؤمنين حقيقة أمره[1].

وفي هذا المثل سبع إشارات:

---

(١) تفسير الرازي ٢/ ٣١٣ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.





١- عقوبة اختيار العمى على الهدى:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]:

وهذه عقوبة الله للمنافق الذي آثر الغواية على الهداية، وهجر نور الإيمان بعد أن استضاء به، وعرف ثم أنكر، (وأسند إذهابه إلى الله تعالى لأنه حصل بلا سبب من ريح أو مطر أو إطفاءِ مُطفىء، والعرب والناس يُسنِدون الأمر الذي لم يتضح سببه لاسم الله تعالى)[١].

وقال الإمام ابن القيم:

«ولم يقل: بنارهم، فإن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيها من الأذى والإحراق، وكذلك حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صُلِيَت بِحَرِّها وأذاها، وسمومها ووهجها في الدنيا، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارًا مؤصدة تطلع على الأفئدة»[٢].

٢- المنافقون أصحاب إيمان مصلحي:

المنافقون قديمًا وحديثًا في حيرة تملأ قلوبهم، فقديمًا سمِعوا من اليهود أن زمن نبي جديد قد أتى، فقرروا أن يؤمنوا به، ليس عن رغبة صادقة، بل محاولة للحصول على الأمان الدنيوي؛ لأن اليهود كانوا يتوعدونهم ويقولون: أتى زمن نبي منا سنؤمن به، ونقتلكم بِهِ قتل عادٍ وإرم، فأراد المنافقون اتقاء هذا القتل الذي توعدهم به اليهود بإعلان الإيمان، فهم دائمًا أصحاب **إيمان مصلحي**.

٣- تعدد ظلمات المنافق:

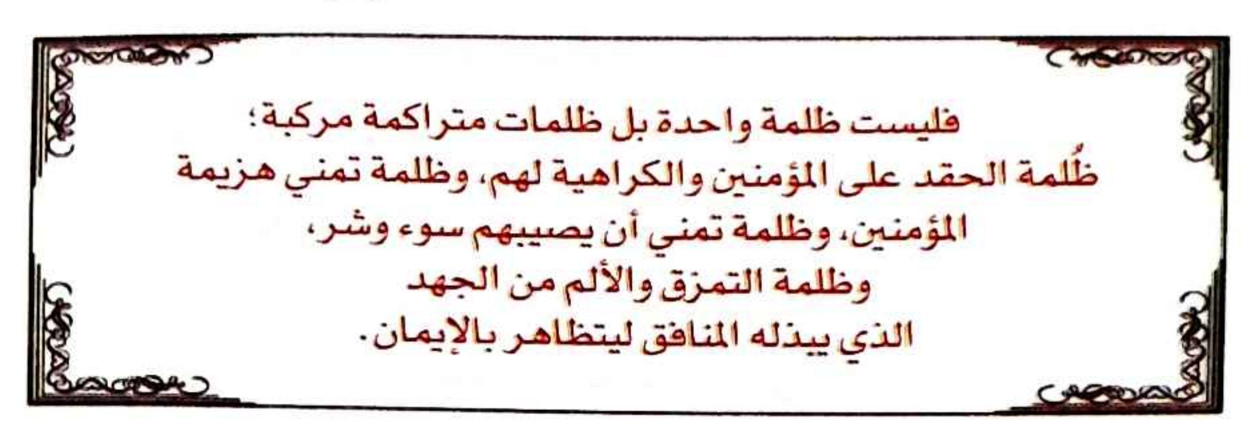
﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧].

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٣٠٩- الطاهر بن عاشور- الدار التونسية للنشر – تونس.
(٢) التفسير القيم ١/ ١٢٧.







فليست ظلمة واحدة بل ظلمات متراكمة مركبة؛
ظُلمة الحقد على المؤمنين والكراهية لهم، وظلمة تمني هزيمة
المؤمنين، وظلمة تمني أن يصيبهم سوء وشر،
وظلمة التمزق والألم من الجهد
الذي يبذله المنافق ليتظاهر بالإيمان.

وبعد جمع ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾ أتى بقوله ﴿لَّا يُبۡصِرُونَ﴾؛ وذلك للتهويل، ومفعول (لا يبصرون) محذوف ليفيد عموم نفي المبصرات عنهم، كأنه قيل: لا وجود لحاسة البصر لديهم مطلقًا.

فهي ظلمات عظيمة هائلة متراكمة بعضها فوق بعض، وأطبقت عليهم، دلالة على شدة الظُّلمة، فلم يعودوا من أهل الأبصار والإبصار، ولا يستطيعون معها التمييز بين الحق والباطل.

٤- الحيرة والغباء هما وجه الشبه:

حيرة المنافق تشبه حيرة من ذهب نوره في الظلام، واشتراكهما في الوقوع في الحيرة والحرمان والخيبة والحسرة بعد ظهور تباشير الرجاء.

قال الإمام الرازي:

«والتشبيه ها هنا في نهاية الصحة؛ لأنهم بإيمانهم أولاً اكتسبوا نورًا، ثم بنفاقهم ثانيًا أبطلوا ذلك النور، ووقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين؛ لأن المتحيِّر في طريقه لأجل الظلمة لا يخسر إلا القليل من الدنيا، وأما المتحيِّر في الدين فإنه يخسر نفسه في الآخرة أبد الآبدين»[1].

---

(١) التفسير القيم ١/ ١٢٧.





والنور هنا هو نور القرآن والوحي، والمثل يدل على غباء المنافق الذي انصرف عن الهداية بعد أن اتضحت له معالمها، مع شدة احتياجه للهداية كما احتاج مستوقد النار إلى الضوء، ولا شك أن من وجد النور ثم فقده أسوأ حالاً وأشد حسرة ممن لم يجده ابتداءً، فالمنافقون بعد أن أرشدهم الله لنور الحق انصرفوا عنه، وقد صور الله المنافق هنا في صورة بشعة مستهجَنة لتقبيح صورة المنافقين في عيون الناس، فيأخذون حذرهم منها، ويحذرون الاتصاف بصفات المنافقين.

٥- لِمَ اختار النار لضرب المثل؟!

لسببين:

أولًا: أن النار لا توقد إلا بحطب، والإيمان لا تشتعل جذوته ولا يشرِق نوره إلا بالعمل الصالح، والمنافق ليس عنده من العمل الصالح ما يحيي به إيمانه، بل ليس له إلا لسان يتكلم به بغير ما يضمر في قلبه؛ لذا تنطفئ فيه جذوة الإيمان.

ثانيًا: النار إما أن تضيء وإما أن تُحرِق، فمن أراد الله به الخير منحه النور من النار، ومن أعرض عن الله أحرقه بالنار.

٦- تعطُّل حواس المنافق:

ثم قال سبحانه: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[البقرة: ١٨].

فوصف المنافقين بأن حواسهم معطلة؛ فالصمم انعدام حاسة السمع عمن كان سميعًا، والبكم انعدام النطق عمن كان ناطقًا، والعمى انعدام البصر عمَّن كان مبصرًا؛ لأنهم وإن كانت لهم آذان تسمع، وألسن تنطق، وأعين تبصر، إلا أنهم لا يسمعون خيرًا، ولا يتكلمون بالخير، ولا يبصرون طرُق الخير، ومن كان كذلك كان هو ومن فقد حواسه سواء.





ووردت هذه الصفات مجردة من حرف العطف، فلم يقل: صم وبكم وعمي؛ لأن تجريد هذه الصفات من حروف العطف يفيد تأكيدها، حيث إن المقصود هو تقرير كل صفة منها على حِدة في نفس المنافق.

٧- ثبات المنافق على باطله:

وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾:

فيه وجهان:

أحدهما: أنهم لا يرجعون عن التمسك بالنفاق، فهم أصحاب مبدأ، لكنه مبدأ باطل! فكيف لا يتمسك أهل الحق بالمبدأ الذي يؤمنون به؟!

وثانيهما: أن انحرافهم دائم، فلا أمل أن يعودوا إلى الهدى بعد أن هجروه، وعن الضلالة بعد أن اشتروها.

والفاء هنا للسببية ﴿فَهُمْ﴾، فعدم رجوعهم عما هم فيه من النفاق إنما هو بسبب تعطل حواسهم عن العمل، وهذه أشد عقوبة يعاقب الله بها عبدًا من عباده.



المثل الثاني المائي: الصيِّب من السماء

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾.



أي أن قصة هؤلاء المنافقين شبيهة بقصة الذي استوقد نارًا، أو قصة هذا الصيِّب، والصيِّب هو المطر، من الصوب وهو النزول، والمعنى: مَثَل هؤلاء المنافقين كمثل قول نزل بهم مطر في جوف الليل، ومعه رعد يصم الآذان، وبرق يخطف الأبصار، وصواعق محرقة، فَسَدّوا



آذانهم خوفًا من أن تقتلهم الصواعق بشدة صوتها، وهم مع هذا في حالة رعب شديد من انتظار الموت.

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ [البقرة: ٢٠].

وصف رائع لما يصنعه أهل الصيب في حالتي ظهور البرق واختفائه، فإذا صادفوا من البرق وميضًا انتهزوه فرصة، فخطوا خطوات يسيرة، وإذا اختفى لمعانه وقفوا في مكانهم، فالجملة تدُلُّ على فرط حرصهم على النجاة مع شدة ما هم فيه من خوف وأهوال.

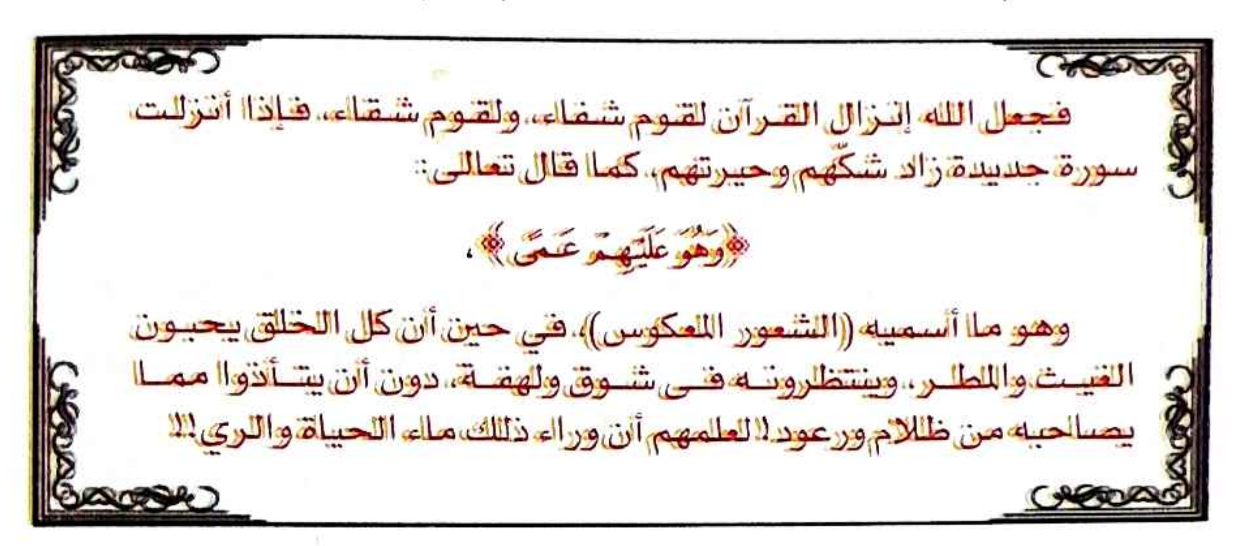
فما إسقاط هذا المثل على واقع المنافقين؟!

- **القرآن هو الصيب** الذي ينزل من السماء، والقرآن يحيي الله به القلوب فهو مثل المطر، ينتفع به المؤمنون، وأما المنافقون فينتفعون ببعضه ولا ينتفعون ببعضه، فانتفعوا بما أظهروا من إيمان، فجرَت عليهم أحكام أهل الإسلام، فهذا النور هو الذي انتفعوا به.
- والقرآن فيه رعد وبرق وظلمات، فقيل: إن **رعد القرآن: زواجره التي تخيف مثل الرعد، وبرق القرآن: أنواره ومنافعه التي نالت المنافقين بعصمة دمائهم وأموالهم**، وأما الظلمات فهي الشكوك التي تنتاب المنافقين من قراءة القرآن؛ فالشك الناجم عنهم مثاله في المطر مثال الظلمات، وجَعْلُ أصابعهم في آذانهم هو تخوُّفهم وحَذَرُهم من فضح نفاقهم، وكراهيتهم لتكاليف الشرع من الجهاد والزكاة، وحذرهم المستمر: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ٦٤]، فكانوا يقولون القول فيما بينهم، ثم يقولون: عسى أن لا يُفشي علينا هذا.

المنافقون إذا تلقوا وحيًا من السماء رجفت قلوبهم هلعًا وفزعًا من التكليف!



وهذا حظهم من كتاب الله: اضطراب، وذعر، وهَمٌّ مقيمٌ وحذر الخزي والفضيحة!



فجعل الله إنزال القرآن لقوم شفاء، ولقوم شقاء، فإذا أنزلت سورة جديدة زاد شكّهم وحيرتهم، كما قال تعالى:

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾،

وهو ما أسميه ((الشعور المعكوس))، في حين أن كل الخلق يحبون الغيث والمطر، وينتظرونه في شوق ولهفة، دون أن يتأذوا مما يصاحبه من ظلام ورعود!! لعلمهم أن وراء ذلك ماء الحياة والري!!!

خوف المنافقين خوف شكلي لا يصاحبه عمل:

أصحاب الصيِّب لضعفهم وقوة صوت الرعد الهائلة، وسطوع البرق اللامع، يجعلون أصابعهم في آذانهم فزعًا وخوفًا، وكذلك المنافقون، فإنهم لضعف بصائرهم، وانطماس عقولهم، تشتد عليهم زواجر القرآن وقوراعه ونواهيه، فتشمئز قلوبهم، وهذا شعور سلبي يضر بصاحبه؛ لأنه يدفعه للهروب من أسباب النجاة.



الفصل الثالث: النفاق العبادي

أولًا: ذكر المنافقين

ثانيًا: صلاة المنافقين!

ثالثًا: إنفاق المنافقين



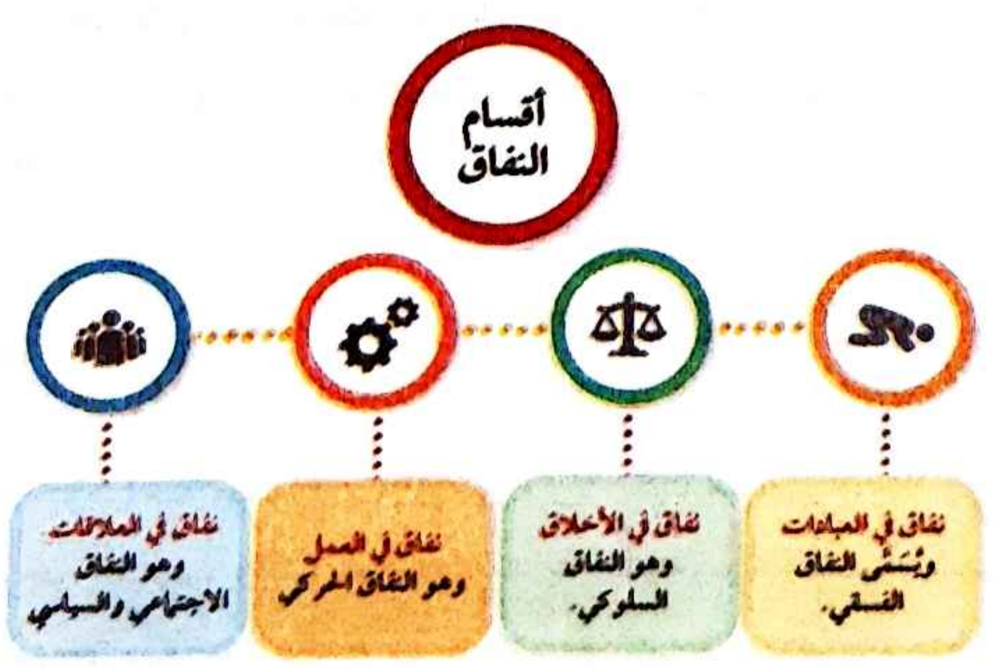
رابعًا: رياء المنافقين

قسّم الأولون النفاق إلى قسمين: نفاق أكبر وهو المصحوب بالكفر، ونفاق أصغر وهو ما دون ذلك أو النفاق العملي.

وإليك هذا النص المهم لابن تيمية الذي يبيِّن بعض ملامح النفاق الأكبر، وهو قوله رحمه الله:

> **«فمن النفاق ما هو أكبر، ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار؛ كنفاق عبد الله بن أبي وغيره؛ بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه. ونحو ذلك: مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله.**

وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ وما زال بعده؛ بل هو بعده أكثر منه على عهده؛ لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى، فإذا كانت مع قوّتها وكان النفاق معها موجودًا، فوجوده فيما دون ذلك أولى»[(1)].



(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤.



وأكثر المسلمين اليوم إذا سألتهم عن النفاق قالوا: إن النفاق هو إظهار الإسلام مع إبطان الكفر، في تبسيط مخل يصرف كثيرًا من الناس عن خطورة المنافقين المتسترين اليوم في ثوب الإيمان، والمندسين في جموع المسلمين.

والحقيقة أن النفاق ينقسم إلى أقسام كثيرة، وليس مجرد نفاق أكبر وأصغر، والنفاق الأصغر ليس هينًا؛ لأنه بمرور الوقت وإهمال العلاج وانتشار الداء قد يتحول إلى نفاق أكبر، وقد رأيت أن أقسِّم النفاق بصورة تفصيلية أكبر؛ لنكون منه على حذر، ونضع أنفسنا أمام مرآة الهداية، فنرى القلوب على حقيقتها.

وهي كما يلي:

١- نفاق في العبادات، ويُسَمَّى النفاق الفسقي أو العبادي.

٢- نفاق في الأخلاق، وهو النفاق السلوكي.

٣- ونفاق في العمل، وهو النفاق الحركي.

٤- ونفاق في العلاقات، وهو النفاق الاجتماعي.

فالنفاق سيلاحقك عند كل عمل، فيلاحقك في العبادة والطاعة، والأخلاق والسلوك، وفي الحركة والدعوة، وفي العلاقات الاجتماعية والسياسية، ونبدأ بالنوع الأول:

النفاق الفسقي المتعلّق بالعبادات

وصاحبه مسلم يحب المؤمنين، ولا يكيد لهم بسوء، ولا يوالي الكافرين، ولا يرجو غلبتهم، ولكنه عبدٌ قصرت به طاعته، وتحكمت به شهوته، وأحاطت به خطيئته، ومن هنا اشترك مع المنافقين في اتصافهم بالفسوق: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

هو مؤدٍّ للفرائض، ولكن لا يرى في صيِّب تكاليفها إلا الظلمات والرعود، وتذكروا المثل المائي:

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾.

وإن مجرد القيام بالعبادات الظاهرة ليس كافيًا إذا فقد العبد جذر الإخلاص الذي يمتد في أرض الإيمان.

لقد كان المنافقون يصلون مع رسول الله ﷺ، ويحجون ويصومون، بل ويجاهدون!
ومنهم من قُتل في ميدان القتال،
ولم يمنع ذلك من وصفهم بالنفاقَ! فلم تزدهم أعمالهم من الله قربًا،
فأعمالهم ظاهرها الصلاح،
ومع هذا لم تزدهم إلا سفولاً في دركات جهنم.

في صحيح البخاري أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ في شأن من اعترض على قسمة الغنائم:

ألا أضرب عنقه؟

قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**».

فقال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومَر أن أنقِّب عن قلوب الناس، ولا أشُقَّ بطونهم**»[1].

فكم من منافق يصلي كما هو واضح في هذا الحديث، وصلاته هي التي منعت سفك دمه، وأما القلوب فلا يعلم ما فيها إلا الله.

(١) صحيح البخاري ٤٣٥١.

وهنا شرح وافٍ للنفاق العبادي لنحذره، ونتجنب مبادئه، ونخاف منه فنجتنبه.

ومع عبادات المنافقين:



أولاً: ذكر المنافقين:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٤٢]:

إشارة إلى خلوِّ نفوس المنافقين من الإيمان بالله واستحضار عظمته وجلاله..!

فالمنافق إذن يذكر الله، لكن ذكرًا قليلاً، وهو مع هذه القلة يجد صعوبة ومشقة بالغة عند الذكر، حتى قال أبو الجوزاء يصف أحوال المنافق:

«نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن»[(١)].

وفي الحديث النبوي إشارة إلى قراءة المنافق للقرآن:

«ومثَل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومَثَل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ»[(٢)].

لأنَّ القرآن أطيب الكلام، لكن المنافق الذي يقرؤه خبيث وسيئ العمل؛ ولذا وصَف المنافق بالريحانه: «**وطعمها مُرٌّ**».

لكن متى يذكر المنافق ربه؟!

غالبًا حين تلمُّ به الأحداث وتداهمه الكروب، فإذا انجلى عنه ما نزل به، عاد إلى ما كان عليه من غفلة، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٤٥٩.

(٢) صحيح: رواه أحمد والشيخان عن أبي موسى كما في صحيح الجامع رقم: ٥٨٤٠ ومختصر مسلم رقم: ٢١٠٤.

فعند الشدائد يدعون ربهم، وربما استُجيب لهم؛ لأن الله يجيب دعوة المضطر -ولو كان كافرًا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، ولم يفرِّق الله في الآية بين مؤمن ومنافق أو كافر، فمن دعا الله تعالى وهو مضطر استجاب الله له.

قال شيخ الإسلام في شأن إجابة دعاء غير المؤمنين:

«فليس كل من متَّعه الله برزق ونصر، إما إجابة لدعائه، وإما بدون ذلك، يكون ممن يحبه الله ويواليه، بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خلاق»[(١)].

وقال ابن القيم كذلك:

«فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضيًا عنه، ولا محبًا له، ولا راضيًا بفعله؛ فإنه يجيب البر والفاجر، والمؤمن والكافر»[(٢)].

والله سبحانه يجيب دعوة المظلوم، وهذا عام لكل مظلوم ولو كان فاجرًا، وقد جاء في الحديث:

«دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا، ففجوره على نفسه»[(٣)].



ثانيًا: صلاة المنافقين:

السمت الأول: التأخير مع الكسل:

المنافق يصلي، لكن بتكاسل وعدم حضور قلب، والصلاة عليه ثقيلة: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢].

---

(١) الاقتضاء: ٢/ ٣١٥.

(٢) إغاثة اللهفان: ١/ ٢١٥.

(٣) حسن: رواه الطيالسي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٣٨٢.

قال الإمام الرازي:

«وسبب ذلك الكسل أنهم يستثقلونها في الحال، ولا يرجون بها ثوابًا، ولا من تركها عقابًا، فكان الداعي للترك قويًا من هذه الوجوه، والداعي إلى الفعل ليس إلا خوف الناس، والداعي إلى الفعل متى كان كذلك وقع الفعل على وجه الكسل والفتور»[١].

كان ابن عباس يقول مستفيدًا من هذه الآية:

«يُكْرَه أن يقول الرَّجُل: إِنِّي كَسْلانٌ، ويتأَوَّلُ هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]»[٢].

والمنافق يؤخِّر الصلاة عن أول الوقت، فالصُّبح عنده بعد طلوع الشمس، والعصر عندما تغرب، وينقُر الصلاة نقْرَ الغراب في حركات بلا روح، يؤديها بالجسم لا بالروح، ويلتفت فيها التفات الثعلب، ويجمع بين الصلوات، ولا يشهد الجماعات، فإن صلى كانت صلاته في البيت، فهو هاجرٌ للمسجد، لا يأتيه إلا في الجُمُعات.

وأما المؤمن فسلوكه عكس هذا في العزيمة والهِمَّة، حتى قالت عائشة لما سألها الأسود بن يزيد النخعي:

كيف كان النبي ﷺ يقوم إذا سمع النداء؟:

«فإذا كان عند النداء الأول - قالت وثب - ولا والله ما قالت قام - فأفاض عليه الماء.. »[٣].

فإيمانه جعله يثب عند سماع الأذان بعكس المنافق الذي ينام عن الصلاة، ولا ينشط للمشي إلى المسجد، وتأمل قول الإمام النَّخَعي:

---

(١) مفاتيح الغيب - الفخر الرزاي١١/ ٢٨٤- ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٤/ ١٠٩٦ - مكتبة نزار مصطفى الباز.
(٣) صحيح: صحيح مسلم رقم: ٧٣٩.

«كفى علَمًا على النفاق أن يكون الرجلُ جارَ المسجد لا يُرى فيه»[١].

وقد أبان النبي ﷺ أن من ابتلاه الله بالنفاق يجد مشقة عند الصلاة؛ ولذا يجعلها دائمًا آخر الوقت، كما في حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال:

«تِلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان؛ قام فنَقَرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»[٢].

يصف هنا صلاة المنافق للعصر، فلاحظ أن نقر الصلاة، وتأخيرها لآخر الوقت هو ما أطلق عليه النبي ﷺ عليه: **«صلاة المنافق»**، فكيف بمن أخرج الصلاة عن وقتها؟!

> أفلا يخشى المتكاسل عن صلاته، المستثقل لها، المستعجل في أدائها، أن تكون صلاته طيلة حياته هي «صلاة المنافق»؟!
>
> كم ستكون الصدمة فاجعة إذا رأى صلاته يوم الحساب الله محسوبة من «صلاة المنافقين»، فتكون وبالاً عليه، وقد ظنَّها سبب النجاة؟!

المنافق لا يعلم من نفسه أنه منافق، بل يحسب نفسه مؤمنًا، ولو علم نفاقه لانحلت المشكلة؛ وذلك لأن النفاق مرضٌ يتسلل إلى القلب بالتدريج، وينمو فيه عبر أفعال يعتبرها البعض ثانوية ومن هوامش الأمور، لكنها بالاستمرار والاستصغار تورد صاحبها المهالِك!

السمت الثاني: التثاقل عن صلاة الفجر والعشاء:

قال رسول الله ﷺ:

«إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب ٥/ ٤٥٨ - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية.

(٢) صحيح: صحيح مسلم رقم: ٦٢٢ - باب استحباب التبكير بالعصر.





لأتوهما ولو حبوا»[1].

ومعنى الحديث أن الصلاة ثقيلة على المنافقين، لكنَّ هاتين الصلاتين أعظم ثقلاً، وإنما ثقلت هاتان الصلاتان على المنافقين لأن المنافق لا ينشط للصلاة إلا إذا رآه الناس، وصلاة العشاء والصبح يقعان في ظلام الليل، فلا ينشط للمشي إليهما إلا كل مؤمن مخلص يكتفي برؤية الله له.

يقول ابن دقيق العيد:

«إنما كانت هاتان الصلاتان أثقل على المنافقين؛ لقوة الداعي إلى ترك حضور الجماعة فيهما، وقوة الصارف عن الحضور.

أما العشاء: فلأنها وقت الإيواء إلى البيوت والاجتماع مع الأهل، واجتماع ظلمة الليل، وطلب الراحة من متاعب السعي بالنهار.

وأما الصبح: فإنها في وقت لذة النوم»[2].

وأما المؤمن فيعلم أن زيادة المشقة سبب زيادة الأجر، فتكون المشقة محفِّزة له على العمل كما كانت نفسها صارفةً للمنافقين عن العمل.

ولهذا قال رسول الله ﷺ:

«**لو يعلمون ما فيهما** - يعني: من الأجر والثواب- **لأتوهما ولو حبوا**»[3].

أي لو علموا ثوابها لزحفوا إليها زحفًا إذا منعهم عنها مانع، كمرض أو ضعف كما يحبو الطفل على أربع.

ولذا أوصى أبو الدرداء في مرضه الذي مات فيه، والمرء لا يوصي عند موته إلا بعظائم الأمور:

---

(١) صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ١٣٣.
(٢) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ١/ ١٩٣ - ابن دقيق العيد- مطبعة السنة المحمدية.
(٣) صحيح: متفق عليه كما في صحيح الجامع رقم: ١٣٣.

«اسمعوا وبلِّغوا من خلفكم: حافظوا على هاتين الصلاتين - يعني في جماعة- العشاء والصبح، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا على مرافقكم ورُكَبِكُم»[1].

وقال شداد بن أوس: «من أحب أن يجعله الله من الذين يدفع الله بهم العذاب عن أهل الأرض، فليُحافِظ على صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة»[2].



وهذا يفيد خطورة التخلف عن صلاة الجماعة خاصة هاتين الصلاتين، وكيف أن ضرر التخلف عنهما يعُمُّ أهل الأرض لا المتخلِّف عنهما فحسب، لشؤم هذا الذنب وقبحه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

«من سمع النداء فلم يأتِه، فلا صلاة له إلا من عذر»[3].

والمقصود أن لا صلاة كاملة له، وليس أن صلاته وجودها كعدمها؛ لأنه جاء من الأحاديث ما يدلُّ على أن صلاته صحيحة، ولكن يفوته خير كثير وثواب جزيل.

وفي رواية أبي داود، قيل: وما العذر؟! قال: «خوفٌ أو مرض»[4].

والتخلُّف عن الصلاة من غير عذر أو التترس بأعذار واهية هو من صفات المنافقين، وفي حديث رواه ابن خزيمة عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال:

«كنا إذا فقدنا الإنسان في صلاة العشاء الآخرة والصبح أسأنا به الظن»[5].

---

(١) الاستذكار للقرطبي ١/ ٣٧٩ - ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ، ١/ ٤٦٨ - ط مكتبة الثقافة الدينية.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ٦٣٠٠.

(٤) ضعيف: ضعيف الجامع رقم: ٥٦٣٤.

(٥) صحيح: صحيح ابن خزيمة رقم: ١٤٨٥.

أي شكّوا أنه منافق، وأثر ابن مسعود في صحيح مسلم مشهور:

«وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»[١].

وإن لله عملًا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملًا بالنهار لا يقبله بالليل، ولو رأينا مدرسًا أتى إلى مدرسته عصرًا، والطلاب يدرسون صباحًا، فهل يُقبَل هذا منه؟!

ولو رأينا موظفًا يأوي إلى مكتبه في جوف الليل والناس يداوِمون في الصبح، فهل يصلح عمله؟!

فكيف نراعي اليوم حق البشر المساكين، ونتهاون في حق رب العالمين؟!



ثالثًا: إنفــــاق المنافقين:

أشار القرآن إلى أن المنافقين يتصدقون، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

بعكس المؤمن الذي امتثل أمر نبيه ﷺ حين قال:

«وأدّوا زكاة أموالكم طيبةً بها أنفسكم»[٢]

فإن أداها العبد وهو كاره لها، كان هذا من علامات نفاقه، فالطاعة مظهر وجوهر، وجسد وروح، وروح الطاعة الإتيان بها عبوديةً لله وانقيادًا لطاعته، فإن لم يحقِّق العبد هذا الغرض، خرجت عبادته ميتة، ورُدَّت عليه، وكانت وبالاً وحسرة.

وفي قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ أمر لكل مسلم ألا ينفق إلا وهو

(١) صحيح: صحيح مسلم رقم: ٦٥٤ – باب صلاة الجماعة من سنن الهدى.
(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة كما في الصحيحة رقم: ٨٦٥.

منشرح الصدر، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه في ذلك بالمنافقين.

إن المنافق حريص شحيح، والحرص والشح مستودع آفات كثيرة، فقد قال الماوردي:

«الحرص والشحُّ أصل لكلِّ ذم، وسبب لكلِّ لؤم؛ لأنَّ الشحَّ يمنع من أداء الحقوق، ويبعث على القطيعة والعقوق»(١).

لكن ما الذي يدفع المنافق إلى الإنفاق مع أنه يكرهه؟!

إنها خشية افتضاحه بين المؤمنين، واكتشاف الناس لمرضه ونفاقه.

قال الله في هذا الصنف من المنافقين:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ [التوبة: ٩٨].

أي غرامة وخسارة، فلا يحتسب نفقته قربة عند الله، ولا يرجو عليها ثوابًا، فهذه النفقة غرامة، وهؤلاء الأعراب يؤتون الزكاة وينفقون في سبيل الله، ويعدون ذلك كالإوتاوات المالية، ولذا كان مِنْ هؤلاء من امتنع عن الزكاة بعد انتقال النبي ﷺ للرفيق الأعلى.

(فهو مضطر لأن ينفق من ماله في الزكاة، وفي غزوات المسلمين تظاهرًا بالإسلام، ليستمتع بمزايا الحياة في المجتمع المسلم ومداراة للمسلمين وهم أصحاب السلطان اليوم في الجزيرة! وهو يعد ما ينفقه غرامة وخسارة يؤديها كارهًا، لا مساعدة للغزاة المجاهدين، ولا حبًا في انتصار الإسلام والمسلمين)(٢).

ويريد الله سبحانه أن يلفت الأنظار إلى أن الرزق قد يكون سبب شقاء العبد، وأنَّ ليس كل مال نعمة، ولا كل متاع دنيوي خير، فهؤلاء المنافقون جمعوا المال بِجِدٍّ وتعب، ثم أنفقوه بلا مقابل ولا ثواب، بعكس المؤمنين.

ومع أن المؤمن قد يكون بخيلاً إلا أن أبا حنيفة يرى أن البخيل غيرَ جدير

(١) أدب الدنيا ١/ ٢٢٤.

(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٠١.





بالعدالة، وأوضح سبب ذلك:

«لا أرى أن أُعدِّل بخيلًا؛ لأنَّ البخل يحمله على الاستقصاء؛ فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يُغبَن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة».[1]



رابعًا: رياء المنافقين:

الرياء كما عرَّفه ابن حجر:

«إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها»[2].



وأثره واضح بشدة في حديث النبي ﷺ:

«إن الرجل ليعمل عمل الجنة - فيما يبدو للناس - وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل النار -فيما يبدو للناس - وهو من أهل الجنة»[3].

فالمنافق يراعي الناس، ويعمل عمله ليبدو للناس، لكنه لا يراقب رب الناس، فإذا خشع كان خشوعه بجسده لا بقلبه، وهو خشوع النفاق الذي أمرنا أبو الدرداء أن نستعيذ بالله منه، فقال:

«استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى

---

(١) الإحياء ٣/ ٢٥٦.

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٣٦.

(٣) صحيح: رواه الشيخان عن سهل بن سعد كما في صحيح الجامع رقم: ١٦٢٤.





الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع»[١].

لكن الرياء ليس نوعًا واحدًا، بل يتجزَّء، فمنه ما لا يُقصَد به وجه الله أبدًا، وهو أسوؤه، ومنه ما يُقصد به مع الله غيره.

قال ابن رجب:

«ومن أعظم خصال النفاق العملي، أن يعمل الإنسان عملاً ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصَّل به إلى غرض له سيِّئ، فيتمُّ له ذلك، ويتوصَّل بهذه الخديعة إلى غرض، ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره، ويتوصَّل به إلى غرضه السَّيئ الذي أبطنه».

إنَّ **الرياء** هو الشهوة الخفية والطامة الكبرى والمصيبة العظمى، فالرياء مدخل **النفاق**، كما أن النظرة بريد الزنى، والمعصية بريد الكفر.

والرياء ينسف جبال الحسنات الناجمة من الطاعات، كما أن الإخلاص -في المقابل- يقلب جبال العادات إلى حسنات، ومن هنا قال الإمام الغزالي:

«أقلُّ طاعة سلِمَتْ من **الرِّياء** والعجب وقارَنَها الإخلاص يكون لها عند الله من القيمة ما لا نهاية له.

وأكبر طاعة إذا أصابتها هذه الآفة لا قيمة لها إلا أن يتداركها الله تعالى بلطفه»[٢].

صدقة قليلة، ودعاء قصير، ومد يد العون إلى محتاج هي أثقل في ميزان العبد وتغلب ملايين الجنيهات، وساعات من الدعاء، وعمل خيري ضخم، لكن صدَر هذا من مرائين وملتمسين للشهرة.

---

(١) الزهد لأحمد ١/ ١١٧.

(٢) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ٢/ ١٧٤ - أبو سعيد الخادمي الحنفي - مطبعة الحلبي.





خفاء مرض الرياء

ومشكلة الرياء أنه خفي، بعكس كثير من أعمالِ الجوارح؛ ولذا يظن كثير من الناس أنه ناجٍ من الرياء، بينما هو مصاب به. وقد خفي هذا الداء حتى على كثيرٍ من أطباء الدين وهم علماؤه.

قال الوليد بن مسلم:

سألتُ الأوزاعيَّ، وسعيدَ بن عبد العزيز وابن جريج رحمهم الله: لم طلبتم العلم؟ كلهم يقول: نفسي (يعني لينجو بنفسه)، غير أن ابن جريج فإنه قال: طلبتُه للناس.

قال الذهبي رحمه الله:

«ما أحسنَ الصدق!

واليوم تسأل الفقيه الغبي: لم طلبت العلم؟ فيبادر ويقول: طلبته لله، ويكذب إنما طلبه للدنيا»[1].

كانوا يطلبون العلم للدنيا، ثم يرزقهم الله الإخلاص والحرص على الدين، كما قال الإمام الذهبي:

«نعم يطلبه أولًا والحاملُ له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحوُ ذلك، ولم يكن عَلِمَ وجوب الإخلاص فيه ولا صِدْقَ النية، فإذا

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٨ - ط مؤسسة الرسالة.

عَلِمَ حاسبَ نفسَه وخاف من وَبَالِ قصدِه، فتجيئُه النِّية الصَّالحة كلُّها أو بعضها، وقد يتوبُ من نيته الفاسدة ويندم، وعلامة ذلك أنه يُقْصِر من الدعاوى وحبِّ المناظرة، ومِن قصد التَّكثُّر بعلمه، ويُزري على نفسه، فإن تكثَّر بعلمه أو قال: أنا أعلمُ مِن فلان، فبُعدًا له»[1].



الأول: إظهار العمل:

المنافق بطبيعته يحب الظهور، وأن يشتهر بين الخلق؛ ولذا ينشط في العلانية، ويكسل في السر، فكل عباداته جهرية لأن الناس يهمونه، فبمدحهم ينتشي، وذمُّهُم يجعله يذوي وينزوي.

ومن هنا كشفه قتادة فقال في حسم:

«كان يُقال: ما سهِر الليل منافق»[2].

لأن صلاة الليل زادها الإخلاص، وإذا كان شهود العشاء ثقيلاً على المنافقين – كما مرَّ في الحديث الصحيح– فما بالك بالصلاة في جوف الليل الآخر؟!

الثاني: حب المدح وكراهية الذم:

ومن علامات رياء المنافقين ما قاله وهب بن مُنَبِّه:

«آية المنافق أنه يكره الذم، ويُحِبُّ الحمد»[3].

فالمنافق يكره الذمَّ بما فيه، ويحب المدح بما ليس فيه، بعكس المؤمن الذي يكره

---

(١) السير (تهذيبه) ٢/ ٦٧٢.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٣٨.

(٣) الزهد للإمام أحمد ٦١٩.



مدحَه بما فيه، ويفرح بنصيحة الناس ولو ذمّوه بما ليس فيه.

وليحذر كل مؤمن
من هذه الصفة الخفية من صفات المنافقين،
والتي كشفها سفيان الثوري ببصيرته الإيمانية،
ثم أهداها لنا:
«إذا رأيتَ الرجل يحب أن يحبه الناس كلهم، ويكره أن يذكره أحد بسوء، فاعلم أنه منافق»[١]

وأين هذا ممن يرى في النصيحة والتعريف بعيوب نفسه هدية من الهدايا، مما يستوجب منه ردَّ هذا العطاء بدعاء، كما دعا عمر ﷺ لمن نصحه:

«رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي».

بل وتطوَّر الدعاء إلى مشاعر الحب الصادق، فقال عمر بن الخطاب ﷺ:

«أحبُّ الناس إليَّ مَنْ أهدى إليَّ عيوبي»[٢].

الثالث: الدعاوى الكاذبة:

يدَّعي ما ليس له كذبًا وزورًا، فعن أسماء بنت أبي بكر -رضى الله عنها- قالت:

أتت النبي ﷺ امرأة، فقالت: يا رسول الله! إن لي ضَرَّة؛ فهل عليَّ جناح أن أتشبَّع من زوجي ما لم يُعْطِني؟ فقال رسول الله ﷺ:

«المتَشَبِّع بما لم يُعْطَ: كلابس ثوبي زور»[٣].

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ص ٢٩٣.
(٢) عيون الأخبار ٢/ ٤١٠.
(٣) صحيح: رواه الشيخان وأحمد عن أسماء ورواه مسلم عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٦٧٥.



والمتشبع هو الذي يُظهِر أنه شبعان وليس بشبعان، ويُقصَد به الذي يدَّعي تحصيل فضيلة وليست بحاصلة له، وهذا لون من ألوان الكذب والتدليس على الناس، ويشمل ذلك كلَّ من ادعى صلاحًا أو علمًا أو مكانة ليست له.

لكن لماذا كلابس (ثوبين)؟

قال الإمام السيوطي: «كلابس ثوبي زور أي كمن لبس ثَوْبَيْنِ لغيره وأوهم أنهما له.

قيل: وكان في الجاهلية إذا طلب من رجل شهادة زور، استعار ثوبينِ يتجمل بهما، فلا تُردُّ شهادته لحُسن هيئته»[(١)].

وقال الإمام ابن حجر:

«وأما حكم التثنية في قوله ثوبي زور، فللإشارة إلى أن كذب المتحلي مثنى؛ لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ، وعلى غيره بما لم يُعطَ، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه، ويظلم المشهود عليه، وقال الداودي: في التثنية إشارة إلى أنه كالذي قال الزور مرتين، مبالغةً في التحذير من ذلك»[(٢)].

ويدخل في هذا سِرقة الكلمات والمشاركات في مواقع التواصل، وعدم نسبها للقائل، ويتحول الأمر من نية نشر الخير إلى نية ادعاء هذا الخير، ولله در الإمام الشافعي حين قال:

«الحُرُّ من راعى وِداد لحظه، وانتمى لمن أفاده لفظه».

---

(١) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ٥/ ١٦٧- جلال الدين السيوطي - دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية.

(٢) فتح الباري ٩/ ٣١٨.





الرابع: ترك العمل من أجل الناس:

وهو قول الفضيل: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما»[1].

ومثله قول عبد الله بن المبارك:

«لو أن رجلين اصطحبا في الطريق، فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما لأجل صاحبه، كان ذلك رياء، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك»[2].

وتفسير هذا أن المخلص لا يبالي برؤية البشر له، فقلبه لا يراعي إلا ربه، ومتى ما التفت العبد إلى رؤية الخلق له مدحًا أو ذمًّا، فقد خطا خطواته الأولى في أول طريق الرياء.

الخامس: إظهار العبادة بأسلوب خفي:

وذلك بأن يتعمد العبد إظهار التعب أثناء صومه، والتلميح عن صدقته بين أصحابه، والتثاؤب وآثار السهر ليوحي بأنه قام الليل، وكان يسعه أن يستشهد بغيره من الصالحين لو كان صادقًا في نية نشر الخير.

السادس: التظاهر بالتواضع:

المبالغة في التواضع تجعل من حولك يمدحون تواضعك، ويقولون: فلان على جلال قدره وعلمه ومكانته يتهم نفسه، ويُزري بها، فكيف بنا؟! وما فعل هذا إلا لتقواه، فيكون ذمُّه لنفسه مقصودًا لينال مدح الناس.

السابع: رفع النفس فوق منزلتها:

تجده ينسب لنفسه مثلاً نصًا أدبيًا دون أن يذكر مصدره، وتجد هذا شائعًا في اقتباس النصوص الأدبية مع عدم ذكر المصدر، فتجد مثلاً الكاتب يذكر النص باسم المرجع ورقم الصفحة والطبعة، وكأنه هو الذي عثر عليه، فيرفع الناس قدره فوق ما يستحق.

---

(١) الإحياء ٤/ ٣٨٢.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٧١.





الثامن: الانشغال بالنافلة عن الفريضة:

مراقبة القلب ومدى تأثره بمرض الرياء فرض على كل مسلم، وخاصة العلماء لأنهم الأطباء، وهي بمثابة علم الباطن الذي يتقدم في الأهمية علم الظاهر؛ ولذا جاء في مختصر منهاج القاصدين:

«وأنت تجد الفقيه يتكلم فى الظِّهار، واللِّعان، والسبع، والرمي، ويفرع التفريعات التي تمضي الدهور فيها ولا يحتاج إلى مسألة منها، ولا يتكلم فى الإخلاص، ولا يحذر من الرياء، وهذا عليه فرض عين؛ لأن في إهماله هلاكه، والأول فرض كفاية»[(١)].

التاسع: تعلُّم العلم للشهرة والمباهاة:

ويكفيك زجرًا عن هذا تحذير النبي ﷺ:

«من تعلَّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم»[(٢)].

ويعجِّل الله لبعض العلماء عقوبة صغرى في الدنيا تنبيهًا لهم قبل أن تباغتهم العقوبة الكبرى يوم القيامة، ولعل من ذلك ما حدث لأبي الحسن القطان، فقد حكى الإمام الذهبي عنه أنه قال: «أُصِبتُ ببصري، وأظن أني عوقبت بكثرة كلامي أيام الرحلة»، ثم قال الذهبي:

«صدق والله! فقد كانوا مع حسن القصد وصحة النية غالبًا يخافون من الكلام وإظهار المعرفة، واليوم يُكثِرون الكلام مع نقص العلم وسوء القصد، ثم إن الله يفضحهم، ويلوح جهلهم وهواهم واضطرابهم في ما علموه، فنسأل الله التوفيق والإخلاص»[(٣)].

---

(١) مختصر منهاج لقاصدين ١/ ١٨ – ط مكتبة دار البيان، دمشق.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٦١٥٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٦٥ – ط مؤسسة الرسالة.





العاشر: ذم الناس وتحقيرهم:

قال أبو حامد الغزالي:

«من ذمَّ الناس فهو راغب في حمد الناس»[١].

وهي ظاهرة نفسية عجيبة، وقد اكتشفها أبو حامد في نفوس من خالطهم، فتراهم يتهمون غيرهم بالرياء وكأنهم برآء منه، وبالجبن وكأنهم أشجع الشجعان، والتقصير وكأنهم أدّوا كل ما عليهم.

وابن تيمية كشف تلبيس إبليس على هؤلاء، حين عدَّد ألوانًا من الغيبة تخرج في صورة الدعاء أو الإشفاق، فقال رحمه الله:

«ومنهم من يُخرِج الغيبة في قوالب شتى:

تارة في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدًا إلا بخير ولا أحب الغيبة ولا الكذب؛ وإنما أخبركم بأحواله، ويقول: والله إنه مسكين أو رجل جيد؛ ولكن فيه كيت وكيت.

وربما يقول: دعونا منه، الله يغفر لنا وله؛ وإنما قصده استنقاصه وهضم جانبه.

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب، فيقول: تعجبت من فلان، كيف لا يفعل كيت وكيت، ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت، وكيف فعل كيت وكيت، فيخرج اسمه في معرض تعجبه.

ومنهم من يُخرِج الاغتمام فيقول: مسكين فلان غمَّني ما جرى له وما تمَّ له، فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف، وقلبه منطوٍ على التشفي به»[٢].



---

(١) الإحياء ٣/ ٤٠٣.

(٢) الفتاوى ٢٨/ ٢٣٧-٢٣٨ بتصرف يسير.



الفصل الرابع: النفاق السلوكي (الأخلاقي)



بين يديك خصال سلوكية أخلاقية مذمومة حذَّر منها رسول الله ﷺ، وجعلها من سمات المنافق، وذلك كما جاء في حديثين صحيحين نصهما:

- «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[1].
- «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدَعَها: إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذَب، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصم فجَر**»[2].

قال ابن الملقن:

«حصل من مجموع الروايتين أن **خصال المنافق خمس**:

- إذا حدَّث كذب.
- وإذا وعد أخلف.
- وإذا اؤتمن خان.
- وإذا عاهد غدر.
- وإذا خاصم فجر.

وإن كانت الخصلة الرابعة داخلة في الثالثة؛ لأن الغدر خيانة ممن ائتمن عليه من عهده، ولا مُنافاة بين الروايتين، فإن الشيء الواحد يكون له علامات، كلُّ واحدة منها تحصل بها صفته، ثم قد تكون تلك العلامة شيئًا واحدًا، وقد تكون أشياء»[3].

والحق أنها خمس علامات للنفاق متغايرة:

---

(١) صحيح: رواه الشيخان والنسائي والترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ١٦.
(٢) صحيح: رواه الشيخان عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٨٨٩.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٣ / ٥٥- ابن الملقن - دار النوادر، دمشق - سوريا.

١) فأما في الماليات، وهو (إذا ائتمن خان).

وإما في غير الماليات، فله حالتان:

٢) حالة الجفاء، وهو (إذا خاصم فجر).

وحالة الصفاء، وهذا أيضًا له حالتان:

٣) إما مؤكَّدة باليمين وهو (إذا عاهد غدر)؛ لأن من معاني العهد: اليمين يحلف بها الرجل.

أوغير مؤكَّدة باليمين، وله حالتان:

٤) بالنظر إلى المستقبل، وهو (إذا وعد أخلف).

٥) والنظر إلى الوضع الحالي، وهو (إذا حدَّث كذب).

والاتصال بين العبادة والأخلاق وثيق، وأثر العبادة إن لم يظهر على السلوك والأخلاق كانت العبادة مظهرًا لا جوهرًا، وصورة لا حقيقة، ومن هنا قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما لجيل التابعين:

«أنتم أكثر منا طوافًا وصيامًا، ونحن خيرٌ منكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وإنجاز الوعد»[1].

هذه الصفات الخمسة المذمومة هي مقدِّمات النفاق، وجرثوماتٌ تكاد تفتك بالدين كله، لكن هل كل من يقع في هذه الصفات يكون منافقًا حقًّا؟!

في هذا آراء عديدة منها:

١) شرط عدم التوبة:

رُوِي أنَّ رجلًا قدِم مكَّة من البَصرة، فقال لعَطاء: سمعتُ الحسَن يقول: مَن كان فيه ثلاث خِصالٍ لم أتحرَّج أنْ أقول: إنَّه منافقٌ، فقال له: إذا رجعتَ إلى الحسَن

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ١/ ٤٠ – ط عالم الكتب.



فقل له: إنَّ عَطاءً يقرأُ عليك السَّلام، ويقول لك: ما تقول في بني يعقوب إخوة يوسُف؛ إذ حدَّثوا فكذَبوا، ووعدوا فأخلفوا، وائتُمنوا فخانوا؟ أوَ كانوا مُنافقين؟ فلمَّا قال للحسَن ذلك سُرَّ به، وقال: جَزاكَ الله خيرًا، ثم قال لأصحابه:

«إذا سمعتُم مني حديثًا؛ فاصنعوا مثْلَ ما صنعَ أخوكم، حدِّثوا به العُلماءَ، فما كان منه صَوابًا فحسنٌ، وإنْ كان غير ذلك رُدُّوا عليَّ جوابَه»[(١)].

وإخوة يوسف لم يصروا على ما كان منهم من الخطيئة، وقد تابوا وتنصلوا من فعلهم إلى أبيهم، وسألوه أن يستغفر لهم، وتحللوا من يوسف عليه السلام، فحلَّلَهم واستغفر لهم، فلم تتمكن منهم صفة النفاق.

٢) نفاق العمل لا نفاق الكفر:

المراد بالنفاق هنا نفاق العمل لا نفاق الكفر، وهو ما رآه الإمام القرطبي والحافظ ابن حجر.

ويؤيده قول عُمَر ﷺ لحذيفة: هل تعلم فيَّ شيئًا من النفاق؟

فإنه لم يُرِد بذلك نفاق الكُفْر، وإنما أراد نفاق العمل.

قال الحافظ في الفتح:

«النفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر،

فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر،

وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك، وتتفاوت مراتبه»[(٢)].

٣) على سبيل الإنذار:

وقال البعض: إن هذا القول من رسول الله ﷺ إنما خرج على سبيل الإنذار للمسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، شفقة به أن تفضي به إلى النفاق، وليس

---

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١/ ١٤٩ بتصرف يسير- الكرماني - ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) فيض القدير ١/ ٤٦٣ للمناوي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر.



المعنى أن من بدرت منه هذه الخلال على غير وجه الاعتياد فهو منافق، وقد جاء في الحديث أن التجار هم الفُجّار، وأن أكثر منافقي أمتي قراؤها، وإنما هو على سبيل التحذير والترهيب، ولا يوجب ذلك أن يكون التجار كلهم فجارًا، وكذلك القُراء قد يكون من بعضهم قلة الإخلاص في العمل وبعض الرياء والسمعة، ولا يوجب ذلك أن يكون من فرط منه شيء من ذلك -دون اعتياد له- منافقًا.

٤) أن تكون هذه عادة:

وقيل: إن الحديث محمول على من غلبت عليه هذه الخصال واتخذها عادة.

قال الطِّيبي:

«الشرطيَّة في (إذا) المُشعِرة بتحقُّق الوُقوع يدلُّ على أنَّ هذه عادتهم، وقال غيره: حذْف المفعول مِن (حدَّث) ونحوه يدلُّ على العُموم أو الإطلاق، فكأنَّه قال: إذا حدَّث في كلِّ شيءٍ كذَب فيه، ولا شكَّ أن مثْله منافقٌ في الدِّين»[1].

٥) أنها نزلت في نفر معيَّن من المنافقين:

عن مُقاتل أنه سأل سعيد بن جُبير عن هذا الحديث، فقال -أي: مُقاتِل-: هذه مسألةٌ قد أَفسدتْ عليَّ مَعيشتي؛ لأني أظنُّ أنْ لا أَسلَم من هذه الثَّلاث أو من بعضِها، فضَحِكَ سعيدٌ، فقال: أهمَّني ما أَهمَّك، فأتيتُ ابنَ عُمر، وابن عبَّاس فقَصصتُ عليهما، فضَحِكا، فقالا: أهمَّنا -والله- يا ابن أخي ذلك، فسألنا النبي ﷺ، فضَحِك، فقال:

«ما لكم ولهنَّ، أما قولي: إذا حدَّث كذَب؛ فذلك في ما أَنزَل الله عليَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وأمَّا إذا وعَد أخلَف؛ فذلك في قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٧] الآية.

---

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١/ ١٤٨.



وأما إذا اؤْتُمِنَ خانَ، فذلك في ما أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وأنتم بُرآءُ من ذلك»[١].

ذكر الحديث بطوله القاضي عياض، وقال:

«وإلى هذا صار كثير من التابعين والأئمة»[٢].

وليست هذه التفسيرات الخمسة لتهوين أمر النفاق في القلب، فإن صاحب هذه الخصال الخمس واقع في النفاق الأصغر، ومع الإصرار والاستمرار والاستصغار سيصل إلى النفاق الأكبر.

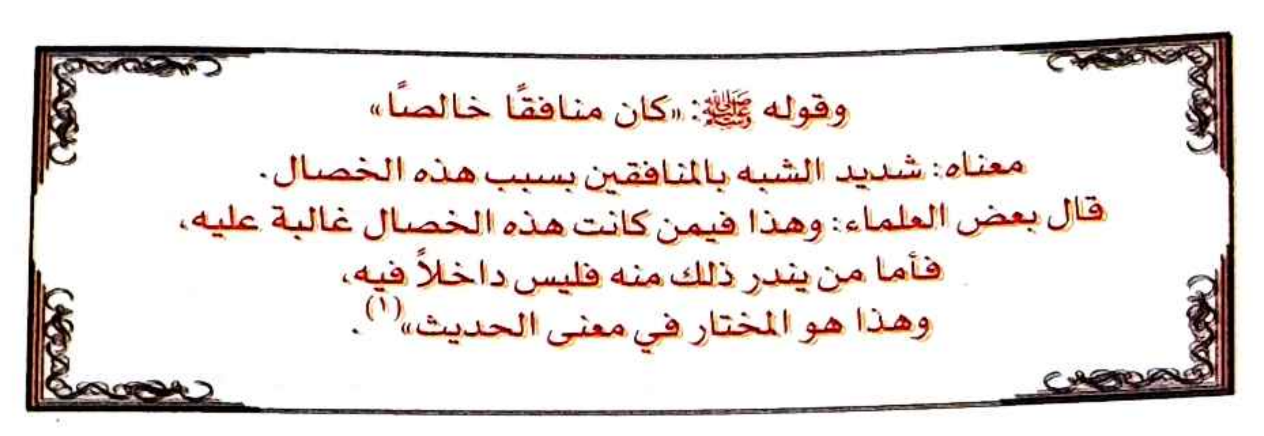
وموجز هذه الآراء جاء على لسان الإمام النووي في أروع بيان:

«هذا الحديث مما عدَّه جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدِّق الذي لَيس فيه شك، فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كلّه، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار:

إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلّق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حقّ من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيُظهِره وهو يبطن الكفر، ولم يُرِد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلّدين في الدرك الأسفل من النار.

(١) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ١/ ٢٢٠ - أبو عبد الله العسقلاني - ط دار النوادر، سوريا.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٢/ ٤٩٥ - ابن علان البكري - ط دار المعرفة.





وقوله ﷺ: «كان منافقًا خالصًا»

معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.
قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه،
فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه،
وهذا هو المختار في معنى الحديث»[1].

أولاً: إذا حدَّث كذب:

قال الحسن البصري:

«الكذب جِماع النفاق»[2].

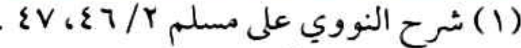


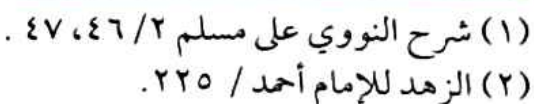
والكذب وثيق الصلة بالنفاق؛ لذا كانت أول أوصاف المنافق في الحديث: (إذا حدَّث كذب)؛ ولذا قال الشَّعْبي:

«من كان كذّابًا فهو منافق».

والكذَّاب صيغة مبالغة، فهو معتاد الكذب والمقيم عليه حتى يُعْرَف به عند الناس وعند الله، وهذا كما جاء في الحديث:

«وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتَب عند الله كذابًا».





(١) شرح النووي على مسلم ٢/ ٤٦، ٤٧ .
(٢) الزهد للإمام أحمد / ٢٢٥.





والكذب يطرد الصدق من القلب، فيحدث الصراع بين الصدق والكذب حتى ينتصر الصدق في قلب المؤمن، وينتصر الكذب في قلب المنافق، فلابد أن يكون لأحدهما الغلبة على الآخر، ولا مكان للهدنة، فهنا معركة تدور رحاها ويستعر لظاها، ومع هذا لا يشعر بها الكثيرون.

قال مالك بن دينار:

«الصدق والكذب يعترِكان في القلب حتى يُخرج أحدُهما صاحبه»(١).

وهذا المعنى كان شديد الوضوح عند الصحابة، وعلى رأسهم الصدّيق وأعظم الأمة إيمانًا: أبو بكر الصديق ﷺ، فقد قال محذِّرًا:

«إياكم والكذب، فإن الكذب مجانب الإيمان»(٢).

فالكذب ضد الإيمان، والصدق علامة الإيمان، وذلك لأن الكذب جسر موصل إلى شرورٍ كثيرة، حتى وصفه الماوردي أنه جماع كل شر، فقال رحمه الله:

«والكذب جِماع كل شر، وأصل كل ذَمٍّ؛ لسوء عواقبه، وخبِّ نتائجه؛ لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة؛ ولذلك قيل: من قلَّ صدقه قلَّ صديقه»(٣).

ولذا قال يزيد بن ميسرة:

«إن الكذب يَسقي باب كل شر، كما يسقي الماء أصول الشجر»(٤).

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٣.

(٢) الزهد لوكيع ١/ ٧٠٠.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٢.

(٤) موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٤.





واليك ألوان الكذب لتحذر منها وتجتنبها:

الكذب للتخلص من المواقف المحرجة:

قال الجنيد:

«حقيقة الصدق أن تصدق في مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب»(١).

واسمع مثلاً لهذا وهو ما جرى مع الإمام محمد بن شهاب الدين الزهري:

دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك:

فقال: يا سليمان، من الذي تولى كبره منهم؟

قال: عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال: كذبتَ، هو علي.

فدخل ابن شهاب، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أبي.

قال: كذَبْتَ، هو علي.

فقال: «أنا أكذب ؟ لا أبا لك! فوالله لو نادى منادٍ من السماء: إن الله أحلَّ الكذب، ما كذبتُ !

حدثني سعيد، وعروة، وعبيد، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة:

أن الذي تولى كِبْره عبد الله بن أبي»(٢).

نقل الأخبار الكاذبة:

قال رسول الله ﷺ:

«كفى بالمرء كذبًا أن يحدِّث بكل ما سمع» (٣).

فلو لم يكن للرجل كذب إلا تحديثه بكل ما سمع - من غير تبينه صدقه من

---

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٣٦٥- ط المعارف.

(٢) تاريخ دمشق ٥٥/ ٣٧١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٩.

(٣) صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٤٨٢ والصحيحة رقم: ٢٠٢٥.

كذبه - لكفاه من حمولة الكذب؛ لأن جميع ما يسمع ليس صدقًا، بل يكون بعضه كذبًا، وهذا زجر عن التحدث بشيء لم تتأكد من صدقه، وإلزام بأن ينظر الرجل ممن يستقي كلامه وأخباره.

قال الطيبي:

«وفيه تنبيه على التحري في ما يسمع من الكلام، وأن يتعرف من القائل أهو صادق يجوز النقل عنه أو كاذب يجب الاجتناب عن نقل كلامه؟»[1].

حذف بعض الحقيقة:

كحال من يحذف من الكلام ما لا يروق له، ولا يوافق هواه؛ لكي يصل إلى هدفه، ولسان حال مجتزئ الحقيقة:

ما قال ربك ويلٌ للأولى سكِروا بل قال ويل للمصلينا

وهذا النوع من أخفى وأمكر أنواع الكذابين؛ لأن صاحبه يستطيع دائمًا التذرع بأنه ليس مضطرًا لذكر كل الحقيقة.

المزاح الكاذب:

الكذب لإضحاك السامعين، فتجد من يكذب في مجامع الناس ومجالسهم؛ حتى يُصَدَّر في المجلس، ولكي يستظرفه الناس، ويستطرفوا حديثه، فتراه يأتي بالغرائب، ويغرب في العجائب، لينتزع ابتسامات الناس وضحكاتهم.

ذو الوجهين:

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين، ويكلم كل واحد بكلام يوافقه، وذلك عين النفاق، وقد حذَّر رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة من هذه الخصلة، فقال:

- **«من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»**[2].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/ ٣٠٥١- علي القاري- دار الفكر.

(٢) صحيح: رواه أبو داود عن عمار كما في صحيح الجامع رقم: ٦٤٩، والصحيحة رقم: ٨٩٢.



- «إن من شر الناس عند الله يوم القيامة ذا الوجهين»[1].
- «لا ينبغي لِذِي الوجهينِ أن يكون أمِينًا»[2].

المبالغة في المعاريض:

والمعاريض ألفاظ تحتمل معنيين؛ يفهم السامع منها معنًى، ويريد المتكلم منها معنًى آخر.

ومثل هذا ما جرى من النبي ﷺ وأبي بكر الصديق مع شيخ من العرب يوم بدر حين سألهما: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نحن من ماء**» ، ثم انصرفا عنه، والشيخ يقول: من ماء؟! أمن ماء العراق؟

لكن من أكثَر من المعاريض، فتجده يقلب الحقائق، وينال من الآخرين، ويُلبِّس عليهم، ويحصل على غرضه بالمراوغة، مما يوقعه في الكذب.

الكذب لاستدرار العطف:

كحال من يكذب في مسألة الناس واستجدائهم، فتراه يظهر الفقر والفاقة، ويوهم غيره بأن الديون قد ركبته، ولم يعد له طاقة في سدادها، أو يزعم أنه مريض، أو يقوم على رعاية مريض، ليستدر أموال الناس بالباطل.

الكذب في البيع والشراء:

كحال من ينفق سلعته بالأيمان الكاذبة، ومن يغش المشتري في جودة بضاعته، فما أكثر ما يقع هذا بين الناس، مع عظم خطورته وشدة الوعيد فيه (الحلِف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة).

ومرّ أبو سعيد الخدري بأعرابي ومعه شاة، فقال له: تبيعها بثلاثة دراهم؟!

فقال: لا والله، ثم باعها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال:

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٢٢٦.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: ٣١٣.



«باع آخرتَه بِدُنْياه»[1].

كذب التملق:

فمن الناس من يتزلف لأصحاب الثراء والجاه، ويمدحهم بما ليس فيهم، ويخلع عليهم صفات لا يستحقونها، ولكنه يتملقهم لينال عندهم مالًا أو حظوةً أو جاهًا، وفي الحديث:

«إذا قال الرجل للمنافق: يا سيدي، فقد أغضب ربه»[2].

وقال ﷺ:

«لا تقولوا للمنافق: سيدنا،
فإنه إن يكن سيدكم، فقد أسخطتم ربكم»[3].

وذلك لأنكم عظَّمتم مَن لا يستحقُّ التعظيم، وإن لم يكن كذلك فقد وقعتم في الكذب.

الكذب على الأولاد:

كثيرًا ما يكذب الوالدان على أولادهما الصغار؛ رغبةً في التخلص منهم، أو تخويفًا لهم؛ أو تحفيزًا لهم كي يجتهدوا في أمر ما، ومنه ما حدث مع عبد الله بن عامر ابن ربيعة، أنه قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: **«وما أردت أن تُعطِيه؟»** قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أما إنك لو لم تُعطِه شيئًا، كُتِبَت عليك كذبة»**[4].

الاعتذار الكاذب:

اعتذر رجل عند إبراهيم التيمي، فقال: «قد عذرناك غير معتَذِر، إن الاعتذار

---

(١) حسن: رواه ابن حبان كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٦٤.
(٢) حسن: رواه البيهقي والحاكم عن بريدة كما في صحيح الجامع رقم: ٧١١.
(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن بريدة كما في صحيح الجامع رقم: ٧٤٠٥.
(٤) حسن: رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة كما في صحيح الجامع رقم: ١٣١٩ والصحيحة رقم: ٧٤٨.





يخالطه الكذب»[١].

وعن مطرف أنه قال:

«المعاذر مفاجِر»[٢].

وأكثر ما يشيع الكذب في بيئة العمل والوظيفة، فتجده في الأعذار التي يلتمسها الموظفون، وفي تأخير إنجاز المهام، وينتشر مع الصراعات الداخلية بين الموظفين، وتعاملات الباعة مع المشترين، وخلاصة الحكمة وجماع القول في قول النبي ﷺ:

«إياك وكلَّ ما يُعتذَر منه»[٣].

وهذا من جوامع الكلم وروائع الحِكَم النبوية، والتي حوت معاني كثيرة في حروف قليلة.

أي احذر إتيان كل قول أو فعل يوجب عليك الاعتذار من الناس، فالحديث شامل لكل ما يقتضي الاعتذار، ومن ثمَّ يحميك مما يؤدّي إلى الكذب.

ومن طريف ما جاء في الأمثال عن الكذب:

«هو أكْذَبُ مِنَ الشيخ الغريب».

وذلك أنه يتزوج في الغربة، وهو ابن سبعين سنة، فيزعم أنه ابن أربعين، ويقال أيضًا في المثَل عن الرجل الكاذب: «هو أكذب من مسيلمة».

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٢.

(٢) الزهد لأحمد ١/ ١٩٦ - دار الكتب العلمية.

(٣) رواه الضياء في المختارة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٥٤.







ثانيًا: إذا وعد أخلف:



قال تعالى:

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦].

قال الإمام الرازي:

«ظاهر الآية يدل على أن نقض العهد، وخلف الوعد، يورِث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالِغ في الاحتراز عنه، فإذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به»[(١)].

وهذه الآية (شاهد الصحابة واقعتها عيانًا، وشاهدوا نظيرها؛ هي التي جعلتهم يفهمون النفاق على أنه «أثر» لتصرفات معينة، كثيرًا ما يكون صاحبها لم يتوقع نتائجها، وليس النفاق «قرارًا» يتخذه المرء!

أي أن الإنسان قد يقوم بأقوال أو أفعال فيها مصادمة لكتاب الله تقوده للنفاق وهو لا يعلم! وليس بالضرورة أن يكون النفاق «إرادة واعية»)[(٢)].

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٦/ ١٠٨، ١٠٩ - ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) رقائق القرآن لإبراهيم السكران ١١٦، ١١٧ - ط دار الحضارة.



فالحذر الحذر من الآثام والذنوب، فإن منها ما يذهب بالدين، ويورث صاحبها عقوبة تمتد إلى يوم الدين.

ولذا حرص الصحابة غاية الحرص على الوفاء بالوعد، فلما حضرت عبد الله ابن عمرو الوفاة قال:

«خطب إليَّ ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبيه بالوعد، فوالله لا ألقى الله عز وجل بثلث النفاق، اشهدوا أني قد زوَّجْتُها إياه»(١).

فعدَّ إخلاف الوعد ثلث النفاق، وخاف أن يلقى الله به.

وإخلاف الوعد لون من ألوان الكذب إذا كان في عزم صاحبه حين وعد ألا يفي بوعده. قال ابن رجب في هذا النوع من خلف الوعد:

«أن يعِد ومن نيته ألا يفي بوعده، وهذا أشرُّ الخلف، ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومن نيته ألا يفعل، كان كذبًا وخلفًا، قاله الأوزاعي»(٢).

وقد قيل للإمام أحمد:

بِم تعرف الكَذّابين؟!

فقال:

«بالمواعيد، أو بِخُلْف المواعيد»(٣)

أما لو كان العبد عازمًا على الوفاء، ثم طرأ عليه ما أثناه عنه، فليس بكاذب.

والوعد قيدٌ قيَّد به العبد نفسه، فإن فعل، فلابد من الوفاء؛ ولذا قيل:

«أمران لا ينفكان من كذب: كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار».

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٢٥٤.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٨٢ - ط مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٣) الفروع ٦/ ٥٦٢، والآداب الشرعية ١/ ٥٣.







أنواع خلف الوعد

«أول ما تفتقدون من دينكم

الأمانة

خلف الوعد مع الأبناء، والتأخر في إعادة الكتب المستعارة، والمماطلة في سداد الدين، والتأخر أو التخلف عن المواعيد.

يقول الشيخ علي الطنطاوي:

«يقول لك الرجل: «الموعد صباحًا».

صباحًا؟

في أي ساعة من الصباح؟

في السادسة؟ في السابعة؟ في الثامنة؟

إنك مضطر إلى الانتظار هذه الساعات كلها.

«الوعد بين الصلاتين»، وبين الصلاتين أكثر من ساعتين!

«الوعد بعد العشاء»!

أهذه مواعيد؟! هذه مهازل وسخريات، لقوم لا عمل لهم ولا قيمة لأوقاتهم، ولا مبالاة لهم بكراماتهم!

هذه مواعيدنا في ولائمنا وحفلاتنا، وفي اجتماعاتنا الفردية والعامة»[1].

ويقول رحمه الله:

«أليس عجيبًا أن صار اسم «الوعد الشرقي» عَلَمًا على الوعود الكاذبة، واسم

---

(١) مع الناس ١/ ١٠٠ - علي الطنطاوي - دار المنارة للنشر والتوزيع.



«الوعد الغربي» عَلَمًا على الوعد الصادق؟

من علَّم الغربيين هذه الفضائل إلا نحن؟

من أين قَبَسوا هذه الأنوار التي سطعت بها حضارتهم؟ ألم يأخذوها منا؟

من هنا أيام الحروب الصليبية، ومن هناك، من الأندلس، بعد ذلك.

وهل في الدنيا دين إلا هذا الدين «الشرقي» يجعل للعبادات موعدًا لا تصح العبادة إلا فيه، وإن أخلفه المتعبّد دقيقة واحدة بطلت العبادة؟

فلماذا يبطل الصوم إن أفطر الصائم قبل المغرب بخمس دقائق؟

أليس لتعليمه الدقة والضبط والوفاء بالوعد؟

ولماذا تبطل الصلاة إن صليت قبل الوقت بخمس دقائق؟

والحج؟ لماذا يبطل الحج إن وصل الحاج إلى عرفات بعد يوم الوقفة، أليس لأن الحاج قد أخلف الموعد؟»[1].



اجتماع ٥ دقائق !

كنت أعمل مع شركة إنجليزية، وكان مديرنا الإنجليزي الشاب يعقد لنا في بداية مشروع من المشروعات اجتماعًا قصيرًا جدًّا، فهل تعلمون مدة هذا الاجتماع اليومي؟!

إنها ٥ دقائق.. نعم بالحروف: (خمس) دقائق! ونستعرض في هذا الاجتماع أي أخبار طارئة أو عاجلة، فما فرص التأخر عن هذا الاجتماع؟!

إن التأخر عنه ٥ دقائق معناه التخلف عن الاجتماع بالكلية، والتأخر عنه

(١) مع الناس ١/ ٩٩.



بمقدار دقيقتين معناه تضييع ما يقارب من نصف الاجتماع، وكان درسًا بليغًا نتعلمه في الوفاء بالوعد من غير مسلم.

ومما يعينك على الوفاء بوعودك:

✍ أن تقلِّل من وعودك ما استطعتَ، وصدق **توماس بين** حين قال:

«أبطأ الناس في قطع الوعود أحرصهم على الوفاء بها».

فالعاقل يبطئ في إعطاء الوعود لعلمه أن كلمته ستُلزمه، والوفاء بها شاق ويحتاج إلى جهد، والأسلم له ألا يبذل وعدًا يشُقُّ عليه إنفاذه.

✍ أن تمتلك الشجاعة لتقول (لا) إن خشيتَ عدم القدرة على الوفاء، فلا يدفعك للوعد إحراج أو سيف حياء.

إذا قلتَ عـــن شَيءٍ نَعَم فأتمَّه ... فإنَّ نَعَم دَيْنٌ على الحُرِّ واجب

وإلا فقُلْ: لا، تَسْتَرِحْ وتُرِحْ بها ... لئلا يظن الناس أنك كـاذب

✍ أن تتذكر ما وعدت به فلا تنساه، وإن كنت كثير النسيان، فلتتخذ صاحبًا أو وسيلة تذكِّرك بوعودك، فإن ضعف الذاكرة عائق كثيف عن الوفاء بالوعد، وقد قال الله تعالى في قصة أكل آدم عليه السلام من الشجرة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥].



ثالثًا: إذا اؤتمن خـــان:

ما أعز الأمانة في هذا العصر، وقد حذَّرنا النبي ﷺ أن أول هجمة للشيطان على ديننا ستكون على الأمانة، فقال ﷺ:



«أول ما تفتقدون من دينكم الأمانة»[١].

وقال:

«أول ما يُرفَع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة»[٢].

ورفع الأمانة يكون بالتقصير في أدائها والتهاون فيها، وفي وصفٍ تفصيلي لعملية رفع الأمانة من قلوب الرجال بالتدريج، إليك حديث حذيفة ﷺ، وحذيفة ابن اليمان هو كاشف النفاق وأهله، ومن هنا تبرز أهمية كلامه:

«**ينام الرجل النومة فتُقبَض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوَكْت** (الأثر اليسير يزول سريعًا)، **ثم ينام النومة فتقبض، فيظل أثرها مثل المجْل** (أثر العمل في الكفِّ، ولا يكاد يزول إلا بعد مدة)، **كجمر دَحْرَجْتَه على رِجْلك فنَفِط، فتراه منتَبِرًا** (مرتفعًا أي ارتفاع الجلد ولا شيء تحته)، **وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايَعون، فلا يكاد أحد يؤدّي الأمانة، فيُقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، ويُقال للرَّجُل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**».

وذلك أن الأمانة تتسرب من القلوب شيئًا فشيئًا بالتدريج، فإذا زال أول جزء منها زال بمقداره جزءٌ من نور الإيمان في القلب، وخلَفَه ظلامٌ مثل الوكْت، فإذا زال جزء آخر من الأمانة صار ذلك الظلام كالمَجْل، وهو أثرٌ أكبر محكم لا يزول إلا بعد زمن ليس بالقصير.

ثم ضرَب حذيفة ﷺ مثلاً بشيء محسوس نراه جميعًا بحاسة البصر؛ ليكون أقرب للفهم وأوقع في النفس، فشبَّه نور الأمانة بعد ارتفاعه من القلب بعد أن استقر فيه، وحلول الظلمة بعده، شبَّهه بجمر دحرجته على رِجلك حتى أثَّر فيها أثرا كبيرًا، ثم زال الجمر وبقي الأثر، فتختفي الأمانة، ويَقِلُّ الدين، ويُمدَح أهل ذلك الزمان بكثرة العقل والظرافة والجلادة، ولا يُمدَحون بصلاح الدين وقوته.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني عن شداد بن أوس كما في صحيح الجامع رقم: ٢٥٧٠.
(٢) حسن: رواه الحكيم عن زيد بن ثابت كما في صحيح الجامع ٢٥٧٥.



والحديث فيه إحراج للخائن؛ والذي تمرُّ به ذكريات الأمانة مرورًا عابرًا، لكن مرورها يترك أثرًا لاذعًا عليه، ومع هذا لا يحيي ضميره الذي مات، وانتكس صاحبه، فصارت الموازين التي يزن بها الناس ويزنه بها الناس بموازين مختلة.

وهذا التحذير كفيل بزرع الخوف في قلوبنا جميعًا، خاصة ونحن نرى بوادر خيانة الأمانة وآثارها اليوم، واتساع الخرق شيئًا فشيئًا، حتى صارت الأمانة عملة نادرة، فيتندر الناس بفلان الأمين، ويتداولون أخباره كشيء نادر ثمين.

ولا يُستبعَد هذا على أيِّ مسلم، خاصة في ظل قلة الأمانة وانتشار الخونة من حولنا، ومن هنا قال ابن حجَر:

«وحاصل الخبر أنه أنْذَر برفع الأمانة، وأن الموصوف بالأمانة يُسلبُها حتى يصير خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع لمن خالط أهل الخيانة، فإنه يصير خائنًا؛ لأن القرين يقتدي بقرينه»[(١)].

ويكفي الخيانة شؤمًا أن النبي ﷺ جزم بأن بعض هؤلاء الخونة من الأصناف الخمسة لأهل النار، ومنهم:

«الخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانه».

أي لا يصبر على خيانة -ولو كانت حقيرة يسيرة- إلا بادر إليها، ولو كان المطموعُ فيه يسيرًا، وهذا إغراقٌ في وصف هذا العبد بالخيانة، وسبب خيانته هو طمعه الشديد، ومن هنا علَّمنا رسول الله ﷺ أن ندعو:

«اللهم إني أعوذُ بك مِنَ الجوع، فإنه بِئْسَ الضَّجيع،
وأعوذُ بك من الخيانة، فإنَّها بِئْسَتِ البطانة»[(٢)].

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٩.
(٢) صحيح: رواه أبو داود بإسناد صحيح كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٨٣.



فاستعاذ النبي ﷺ من الجوع وهو ضياع الدنيا، ومن الخيانة وهي ضياع الدين، والبِطانة ما يكون تحت الثَّوْب؛ لأن الثوب له بطانة وظِهارة، **ولما كانت الخيانة أمرٌ يُبطِنه الإنسان ويستره ولا يُظهِره سماها بِطانة**، والمعنى أن مِنْ أسوأ أحوال العبد أن تلاصق الخيانة قلبه كما يلاصق ثوبه بدنه.

وقد حارب الإسلام سلوك القطيع والعقل الجمعي المسيطر على النفس البشرية إذا وُجِدت وسط أكثرية خائنة، واقرأ معي حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

قال رسول الله ﷺ:

«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تَخُنْ مَنْ خانك»(١).

فليست المعاملةُ بالمثل إذن، ولا مقابلة للإساءة بالإساءة؛ لأنك إن خُنْتَ من خانك صرتَ أنت وهو في الخيانة سواء، وقد أجمع العلماء أن الظلم لا يُدفَع بظلم، والخطأ لا يندفع بخطأ، فالمؤمن لا يفارق أخلاقه، وإن ظُلِم وأوذي، فلتَحْمِ نفسك من التأثر بالسوء المنتشر، ولتتمسك بالقيمِ السامية والخلق العالي.

وبزوال الأمانة تحل الخيانة، وهي خصلة المنافق الأشهر، فما هي ألوان الخيانة؟!

إفشاء أسرار المجالس:

وكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت لاستهانة الناس بأمانة المجالس. قال رسول الله ﷺ:

«إذا حدَّث رجلٌ رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة»(٢).

استغلال الرجل لمنصبه:

ليجر النفع إلى نفسه أو قرابته؛ فإن التشبع من المال العام جريمة، ومعلوم أن

(١) صحيح: أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٢٤٠.
(٢) حسن: رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن جابر كما في صحيح الجامع رقم: ٤٨٦.

الشركات تمنح موظفيها أجورًا محددة، فمحاولة التزيد عليها بالطرق الملتوية هي اكتساب للحرام وخيانة للأمانة، قال رسول الله ﷺ:

«من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»(١).

وفي حديث أبي حميد الساعدي:

«هدايا العُمّال غُلولٌ»(٢).

بطانة الخونة:

قال مالك بن دينار:

«كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخَوَنة، وكفى بالمرء شرًّا ألا يكون صالحًا ويقع بالصالحين»(٣).

إسناد الأمر إلى غير أهله:

في الحديث: **«إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»**. قيل: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: **«إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله، فانتظِر الساعة»**.

خيانة المجاهد الغائب في أهله:

قال رسول الله ﷺ: **«حُرْمة نساء المجاهدين على القاعدين، كحرمة أمّهاتهم. وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنُّكم؟»**(٤).

وقول النبي ﷺ: **«فما ظنكم»** هو تهديد عظيم يحتمل ثلاثة وجوه:

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والحاكم عن بريدة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٠٢٣.

(٢) صحيح: رواه أحمد والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٧٠٢١ وإرواء الغليل رقم: ٨/ ٢٤٦.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٦٧.

(٤) صحيح: مسلم رقم: ١٨٩٧.

أحدها: ما ظنكم بالعقوبة التي سيُنزِلها الله بهذا الخائن؟!

الثاني: أي هل تظنون أنه سيترك له حسنة واحدة في ميزانه، فلن يبقى من حسناته شيء.

والثالث: ما ظنكم بهذا المظلوم في أهله، هل يترُك حقه وهو في أمسِّ الحاجة إلى أي حسنة مع هذا العدوان الشنيع على أهله؟!



خيانة مسلم على حساب يهودي!

رُوِي أن طُعْمَة بن أبيرق أحد بني ظَفَر سرق درعًا من جار له اسمه قتادة بن النعمان، ووضعها في جِراب دقيق، فجعل الدقيق يتناثر من خِرْق فيه، وخبَّأها طُعمة عند رجل من اليهود اسمه زيد بن السمين، فالتمسوا الدرع عند طعمة فلم يجدوها، وحلف بالله ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه وتتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إليَّ طُعمة، وشهد له ناس من اليهود، فقالت بنو ظَفَر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء: ١٠٥].

أي لأجل الخائنين ﴿خَصِيمًا﴾: مخاصمًا ومدافعًا عنهم، فلا تخاصم اليهود لأجل بني ظفَر، ولو كان هذا الخائن مسلمًا.

وقال الشوكاني في فتح القدير:



«أي: لأجل الخائنين خصيمًا: أي مخاصمًا عنهم مجادلاً للمحقين بسببهم، وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه مُحِقٌّ»[١].

فأدانت الآية ابن أبيرق، وصحَّحتْ سلوك المسلمين الذين خافوا من فضيحة المسلم بالسرقة، وأدانوا اليهودي.

ثم أمر الله نبيه: (وَاسْتَغْفِرِ الله) مما هممت به.

فماذا كان مصير طُعْمَة بن أُبَيْرِق؟!

وما كانت عاقبة خيانته؟!

لقد كانت أسوأ عاقبة، فقد صرَّح بعد ذلك بالارتداد، وهرَب إلى مكَّة، فرُوِيَ أنه نَقَب حائط بيت ليسرقه، فانهدم الحائط عليه، فقَتَلَه، ويُروى أنه اتبع قومًا من العرب، فسرقهم، فقتلوه[٢].



رابعًا: إذا خاصم فجر:

الفجور في الخصومة هو مرض العصر، ومحاضر المحاكم اليوم وأعداد القضايا تشهد، والخصومة ماء يروي شجرة النفاق في القلب؛ ولذا قال الأحنف بن قيس:

«كثرة الخصومة تُنْبِت النفاق في القلب»[٣].

والفجور كما قال الحافظ ابن حجر هو:

«الميل عن الحق والاحتيال في رَدِّه»[٤].

(١) فتح القدير ١/ ٥٩٠- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.

(٢) تفسير ابن عطية ٢/ ١٠٩.

(٣) أصول الاعتقاد (١/ ١٤٥/ ٢٢٠).

(٤) فتح الباري ١/ ٩٠.



ومعنى الفجور في الخصومة أن تنتصر في خصومتك بالباطل، وتظلم صاحب الحق رغم علمك بصِدْقه، وهذا من أخبث خصال النفاق، ويورد صاحبه المهالك؛ لتعرضه لسخط الله، ففي حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال:

«من أعان على خصومة بِظُلم
لم يزَل في سخَط الله حتى ينزِع»[1].

أي أعان ظالمًا في ظُلمِه بكلمة أو قرار أو عون فهو تحت مظلة السخط الإلهي حتى يرجع عن خصومته. قال المناوي مبيِّنًا **طريق النجاة:**

«أي يُقلِع عما هو عليه من الإعانة، وهذا وعيد شديد يفيد أن هذا كبيرة، ولذلك عدَّه الذهبي من الكبائر»[2].

ويظل هذا العبد يبتعد عن الله ويتمادى في تحصيل سخطه إن لم يَتُبْ، حتى يستحق بجدارة المركز الأول في بغض الله له، فيصير أبغض الخلق إلى الله.

قال رسول الله ﷺ:

«إن أبغض الخلق إلى الله الألدُّ الخصِم»[3].

والألدُّ هو ذو الجدال واللداد، والخَصِم هو كثير الخصومة المولَع بها حتى تصير الخصومة عادة له.

وقد تكون الخصومة بِحَقٍّ، لكن يصاحِبها فجورٌ، فلا يقتصِر صاحبها على قدر الحاجة، بل يُظهِر الزيادة في الخصومة، أو يمزج طلب الحق بكلمات سيئة وعدوان وطعن ولعن.

أو يفتري الكذب لينال حقه.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٦٠٤٩.
(٢) فيض القدير ٦/ ٧٢.
(٣) صحيح: رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٦٠٤٩.



أو يجادل غيره بغير علم.

ولحثِّ المسلمين على تجاوز الخصومة، والتنازل عند الخلاف، تعهد النبي ﷺ ببيت في الجنة لمن تنازل عن حقه:

«أنا زعيمٌ بِبَيت في رَبَضِ الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا»[1].

وما أشق أن يتنازل العبد حين يكون الحق معه، وإنه لعسير، لكن أجره كبير.

- ومن يخاصم في الباطل: المحامي الذين لم يدرس قضيته، أو درسها وعرف باطلها، ثم دافع عن صاحبها.
- ومنهم الذين يدافِعون عن المذاهب الباطلة، والعقائد الزائغة، حتى يضلوا العوام وذوي العقول الصغيرة، سواء كان ذلك بالتأليف أو الحديث في المجالس أو الفضائيات أو الصفحات.
- ومنهم الذي يجادل أخاه ليأكل حقه، ويكون ألحن بحجته، وأفصح بلسانه، فيربح دنياه، ويخسر آخرته.
- ومنهم الذي أحبَّ ووصل غيره لفترة، فلما نزلت الخصومة بينهما هجَره وقطَعه، وبعد أن كان يمدح صاحبه انقلب مدحه إلى هجاء، وألصق به كل نقيصة، وهذا من الفجور في الخصومة: أن تنسى حسنات صاحبك مع أول خلاف، ولا تذكر له إلا كل سوء.
- ومنهم الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر خصمه مع أنه مستغنٍ عن المال المتخاصَم عليه، ولعل أحدهم قال: لو أَخَذْتُ منه المال لرميته ولا أبالي، ولكني أريد قهره وإذلاله.
- ومنهم المخاصم في الدين! وهو الذي يعادي غيره بسبب رأي فقهي فيه

(١) حسن: رواه أبوداود عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ١٤٦٤ والصحيحة رقم: ٢٧٣.



خلاف معتبر، أو ينتصر لإمامه في مسألة خلافية وللأئمة الأعلام فيها رأي يخالفه، ثم يتخذ من هذه الخصومة ديانة وقُربى إلى الله! والإسلام لا يُقِرُّ ذلك، وإنما جاء بعكسه. قال جعفر بن محمد:

«إياكم والخصومةَ في الدين، فإنها تشغل القلب، وتورِثُ النفاق»[١].

قال النووي فاضحًا أثر الخصومة على دين المرء:

«والخصومةُ تُوغرُ الصدورَ، وتهيجُ الغضبَ، وإذا هاجَ الغضبُ حصلَ الحقدُ بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءةِ الآخر، ويحزنُ بمسرّته، ويُطلق اللسانَ في عرضه»[٢].



يقول الإمام الغزالي عن فضل ترك الخصومة والجدال:

«الأوْلى تركه ما وجد إليه سبيلاً، فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدر، وتهيِّج الغضب، وإذا هاج الغضب نسي

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبيّ، تهذيبه: ص٥٣٦ الحلية (٨/ ١٩٨). قال الإمام ابن تيمية ممتدحًا الأئمة الأعلام:

«ومن تعصَّب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين: كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة، وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي رضي الله عنهما؛ فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون، خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن تعصَّب لواحد من الأئمة بعينه، ففيه شبه من هؤلاء، سواء تعصب لمالك، أو الشافعي، أو أبي حنيفة، أو أحمد، أو غيرهم.

ثم غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلًا بقدره في العلم والدين، وبقَدْر الآخرين؛ فيكون جاهلاً ظالمًا، والله يأمر بالعلم والعدل، وينهى عن الجهل والظلم». الفتاوى ٢٢/ ٢٥٢.

(٢) الأذكار للنووي ص ٣٧١.



المتنازع فيه، وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه، ويحزن بمسرَّتِه، ويُطلِق اللسان في عرضه، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات.

وأقل ما فيه تشويش خاطره، حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه، فلا يبقى الأمر على حد الواجب، فالخصومة مبدأ كل شر، وكذلك المراء والجدال، فينبغي ألا يُفتَح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة، وذلك متعذَّر جدًّا، فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلِم من الإثم، ولا تُذَمُّ خصومته إلا أنه إن كان مستغنيًا عن الخصومة فيما خاصم فيه؛ لأن عنده ما يكفيه، فيكون تاركًا للأَوْلى، ولا يكون آثمًا»[1].

ولذا فإن المؤمن الحق كما رآه ابن القيم:

«لا يعاتِب، ولا يُخاصِم، ولا يُطالِب، ولا يرى له على أحدٍ حقًّا، ولا يرى له على أحدٍ فضلاً، مُقبِلٌ على شأنه، مُكرِمٌ لإخوانه، بخيلٌ بزمانه، حافظٌ لِلسانه»[2].



والعُمران هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والقصة يرويها أبو الدرداء ﷺ فيقول: كانت بين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- محاورةٌ، فأغضب أبو بكر عمر؛ فانصرف عنه عمر مغضَبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، وفي رواية: (أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: أما

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١١٩.
(٢) طريق الهجرتين ٣/ ١١٩.



صاحبكم فقد غامر (أي دخل في غمرة الخصومة)، فسلَّم أبو بكر وقال:

إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ فأقبلتُ إليك، فقال النبي ﷺ: **يغفر الله لك يا أبا بكر**. ثلاثة، ثم إن عمر ندم على ما كان منه، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا.

فأتى إلى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر (يتغير لونه من الضجر)، وفي رواية: فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال عمر:

يا رسول الله! ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني، فما خير حياتي وأنت معرض عني؟ فقال النبي ﷺ: **أنت الذي اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه!**

فقال عمر: والذي بعثك بالحق ما من مرةٍ يسألني إلا وأنا أستغفر له، وما خلق الله من أحدٍ أحب إليّ منه بعدك.

فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق كذلك).

وفي رواية البخاري أن أبا بكر جثا على ركبتيه، فقال:

يا رسول الله! والله أنا كُنتُ أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ:

«**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي، فما أوذي بعدها**».

وإليك خمسة دروس من هذه الواقعة غير المشتهرة:

١) الإعلان بالرجوع عن الخطأ هو سمت الأبرار وأصحاب الهمم العالية، ومن أعلى همة من أبي بكر وعمر؟!

٢) بعض الناس يأنف من إعلان خطئه، ويريد أن يعتذر عنه سرًّا قائلاً: أحفظ ماء وجهي، وهذا لون من الكِبر، ولكن أبا بكر قالها على الملأ: «أنا كنتُ أظلم»، وعمر ؓ جاء يعتذر للنبي ﷺ أمام الجميع، ولم ينقص ذلك من قدرهم شيئًا، بل زادَهم وزانهم ورفع أقدارهم.



٣) الصحابة بشر يصيبون ويخطئون، ولكن الفارق بيننا وبينهم أنهم كانوا إذا أخطؤوا سرعان ما يرجعون إلى الحق، فندَمُ أبي بكر لم يكن بعد الخصومة بساعات أو أيام، وإنما ندم مباشرة، فرجع إلى بيت عمر، ولما أخطأ عمر ولم يقبل اعتذار أبي بكر، ندم عمر بسرعة وذهب إلى بيت الصديق، وهذه السرعة العجيبة في الرجوع إلى الحق هي التي ميَّزت القوم؛ حتى صاروا أفضل قرون هذه الأمة.

٤) ضرورة الاستغفار والتحلل من المظلوم؛ بأن يقول الظالم للمظلوم: سامحني وحلّلني واستغفر لي وتجاوز عني ونحو ذلك؛ ولذا قال النبي ﷺ:

«من كانت لأخيه عنده مظلمة من عِرْضٍ أو مال، فليتحلَّله اليوم قبل أن يؤخذ منه يومَ لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عملٌ أخذ من سيئات صاحبه، فجُعِلَتْ عليه»[1].

٥) لا ينبغي لمسلم أن يرد اعتذار من اعتذر إليه، ولا أن يغلق الباب في وجهه، وهذا يفعله البعض عند الفجور في الخصومة، وربما ظلوا على هذه الحال حتى الممات، فلا يقبلون اعتذارًا ولا يسامحون معتذرًا، وليس هذا من شيم المؤمنين ولا أخلاق الصالحين.



قصة الإمام مع أهل الخصام!

والخصومة ما هي إلا انقلاب يقلب دين المرء، ويحوّله إلى إنسان آخر، فيفتري الكذب، ويحتال لإيقاع الشر بخصمه، واسمعوا القصة العجيبة للإمام حسن البنا مع الشيخ صاحب الشهادة العالمية من الأزهر!

(١) صحيح: رواه البخاري وأحمد كما في صحيح الجامع رقم: ٦٥١١.

هي قصة نفر من الرعيل الأول للدعوة في الإسماعيلية تسلل إليهم داء الخصام، فنزعوا إلى الهدم بعد البناء، والعداوة بعد الإخاء، وناصبوا الإمام العداء، ورمَوْا إخوانهم بتهم عجيبة، وقد أفرد الإمام لقصتهم أكثر من سبع صفحات كاملة في مذكراته، وقد بدأت فتنتهم بشيخ أزهري يحمل العالمية في الأزهر، ساءه أن يختار الإخوان نجارًا كإمامٍ لمسجدهم، ورأى الشيخ بعينيه أنه قد حيل بينه وبين ما يأمل من رئاسة الإخوان بهذا الوضع، فانطلق يؤلِّب الإخوان، ولم ينزل على رأي الأغلبية.

وتطور الأمر تطورًا خطيرًا، فتقدم مع نفر ببلاغ إلى النيابة يتهم فيها حسن البنا ببعثرة أموال الجماعة، وإرسالها إلى القاهرة لأخيه، وتطور الأمر أكثر وأكثر.

وكان مما فعلوه ما كتبه الإمام:

«وكل الذي استطاعوا عمله أن أحدهم -وقد كان أمينًا للخزينة- رغب أن يسلِّم الخزينة لغيره، فقبلنا منه وأسندنا الأمر لسواه.

ولا أزال أذكره وقد أخرج الدرج وقلبه ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر، وسلَّمه لأخيه مع المفتاح وهو يقول له: تفضل (خربانة بإذن الله)، فقلت له في تأثر عميق: لا يا أخي لكن (عمرانه بفضل الله)، وانصرفوا، ولقد عمرت خزينة الإخوان بعد ذلك ما شاء الله لها أن تعمر، وامتلأت بالخير فعلًا من فضل الله».

وتطور الأمر إلى أبعد من ذلك وأخطر، فلم يجدوا إلا أن يلجؤوا إلى طبع نشرات مكذوبة، وتقارير مغرضة يقولون فيها: إن حرية الرأي مفقودة في هذه الجماعة، وأنها تسير على غير نظام الشورى.

وظل الشيخ يغذّي هذا الشر حتى استشرى واستفحل، وكان للصدفة فضل اكتشافه متلبِّسًا، فقد أرق الإمام ليلة فخرج لصلاة الفجر قبل الوقت بنحو ساعة أو أكثر، يقول الإمام:

«ومررت في الطريق على بيت أحدهم فإذا هو مضاء ونوافذه مفتحة، وهناك أصوات في نقاش استرعت انتباهي، فإذا الشيخ جالس وهم حوله، وهو يرسم لهم طرائق الكيد والخصام، ومضيت في طريقي وأحضرته في الصباح وسألته في لطف، وفي معرض حديث عن ليلته أين قضاها، فقص علي قصة طويلة تنتهي بأنه قضاها في منزله، وعرجت على الفتنة وآثارها، ولَمَّحت إلى ما يقوله الناس ويتناقلونه عن نصيبه فيها، فأخذ يتبرأ من كل ذلك وينفيه عن نفسه، ويتظاهر بأنه في هذا الشأن أطهر من ماء الغمام، ويسوق على ذلك الأدلة والبراهين، وأنا أعجب كل العجب من قدرته على هذا السبك الغريب، وأخيرًا حاول أن يقسِم بالطلاق، فلم أطق صبرًا وأمسكت بفمه في حركة عصبية، وصرخت في وجهه: اتقِ الله .. احذر الحلِف لا تقسم، ثم قلت: أين كنت في الساعة كذا، فظهرت البغتة على وجهه، وحاول أن يجيب فتلعثم ولم أدع له الفرصة، فواجهته بالحقيقة، وسُقْتُ له الدلائل، وصارحته بأنني رأيته بنفسي، ولم يخبرني أحد بشيء، فلم يسعه إلا الاعتراف والإقرار، ولجأ إلى إظهار الندم والاستعطاف، فقلت له: لا بأس عليك، ثِقْ بأنني لا أفكر في أن أنال منك سوءًا أبدًا، ولا أتصور أنني بالأمس كنت أمدحك وأقدِّمك، فأصلي خلفك وأحضر درسك وأوصي الناس بذلك، واليوم أذمك، وأكشف عما اكتشفته منك لا أتصور هذا، ولكني لا أطيق بعد اليوم أن تكون معي في دعوة أو عمل، فاختر لنفسك، إما أن تبقى بالإسماعيلية، وعليَّ أن أدبر لك عملا بتوفيق الله، ولكن خارج محيط الإخوان، ولك أن تعتذر بأي عذر مقبول، وإما أن تعود إلى بلدك فعلي أن أحملك إليها، وأتكفل براحتك حتى تصل إلى مأمنك، والله ولينا جميعًا وهو علينا شهيد.

فاختار الثانية، ولكنه اشترط أن أسدِّد عنه دينه وقد فعلت، وكتب استقالته من عمله وانقطعت صلته بالدار وبالمعهد على السواء.

ولم يذهب إلى بلده كما تعهَّد، ولكن فوجئت ذات يوم بإعلان عن افتتاح



مدرسة جديدة برياسته وإدارته، وبإشراف لجنة مؤلفة من هؤلاء الخمسة معه، وفيها طعن وتجريح لجهود الإخوان ومدارسهم، فقلت: جميلٌ .. المهم أن يبتعد عنا، وليفعل بعد ذلك ما شاء.

ولكني بعد هذا فوجئت بإعلان من المحكمة أن الشيخ يطلب مكافأته عن المدة التي قضاها بالإخوان، وهي لا تعدو مبلغًا ضئيلاً زهيدًا أبى إلا أن يقتضيه عن طريق المحكمة مع أن بيدي من المستندات ما يدينه بأضعاف ما يطلب، وأبيتُ إلا أن أحضر إلى المحكمة بنفسي، وتقدَّم بدعواه فأقررتُ بها، ولكني تقدمت إلى القاضي بما بين يدي من أسانيد، فاعتبرها وحكم برفض الدعوى وإلزامه بالمصروفات.

ولم يطل بقاء المدرسة التي أعلن عنها، فقد ماتت في مهدها، ولم يطل بقاؤه كذلك في الإسماعيلية فقد رحل عنها، وإني لأعتذر إليه، فهو الآن من خيرة العلماء وأفضل الأصدقاء، وتلك أيام خلت وذكريات مضت، ولعل له عذرًا، ونحن نلوم، والله أعلم بالسرائر»[١].



خامسًا: إذا عاهد غدر:

من هو الغادر؟!

أجاب ابن تيمية عن هذا السؤال

فقال:

«وكل من شرط شرطًا، ثم نقضه فقد غدر»[٢].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩/ ١٤٥).

ومن صفات المنافق أنه إذا عاهد غدر، والغدر حرام بالإجماع، ولو مع غير المسلمين. قال المهلّب:

«الغدر حرام بالمؤمنين وبأهل الذمة، وفاعله مستحق لاسم النفاق، وللَعْنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1].

والغادر يخاصم ربه، فالله هو خصمه، فمن يقوى منا على مخاصمة الله؟!

قال النبي ﷺ:

«قال الله: ثلاثة أنا خَصْمهم يوم القيامة، رجل أُعطِي بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعْطِ أجره»[2].

أي أعطاه مسلم الأمان باسم الله، كأن قال: عندك عهد الله أو دينه أو عهد رسوله؛ ثم غدر به بعد ذلك، فكان خصم الله ورسوله.

ولذا كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سريّة أوصاه ومن معه من المسلمين:

«اغزوا، ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا»[3].

قال النووي:

«وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها،
وهي: تحريم الغدر، وتحريم الغلول...»[4].

والغادر لما توصل بالنيل من عدوه بالطرق الخفية المحرمة، فإن الله يعاقبه يوم القيامة بنقيض قصده، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال٥/ ٣٦٢.
(٢) أخرجه البخاري في البيوع، باب: إثم من باع حر (٢٢٢٧).
(٣) أخرجه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١).
(٤) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٣٧).



«إذا جَمَعَ الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكلِّ غادرٍ لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان»[1].

قال ابن حجر:

«والمراد بذلك شهرته، وأن يفتضح بذلك على رؤوس الأشهاد، وفيه تعظيم الغدر سواء كان من قِبَل الآمر أو المأمور»[2].

يستوي في الغدر الآمر والمأمور، فالغادر ومن أمره بالغدر ومن أعانه على غدره، كلهم في الوزر شركاء، وفي الإثم أولياء.

لكن ما أعظم ألوان الغدر؟!

في حديث أبي سعيد رضي الله عنه:

«ألا ولا غادرَ أعظم غدرًا من أمير عامة»[3].

قال النووي:

«وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر، لا سيما من صاحب الولاية العامة؛ لأنَّ غدره يتعدّى ضرره إلى خلق كثيرين.

وقيل: لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب: ما يدعى الناس بآبائهم (٦١٧٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٥) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٧١).

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣٨).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٤٣-٤٤) بتصرف يسير.



نقول:

ليس علينا بذلك بأس.

قال:

«هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، إنهم إذا أدوا الجِزية، لم تَحِلّ لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم»[1].

والصحابة رضوان الله عليهم لم ينقصهم الذكاء ولا الحيلة، ولكن دينهم حجزهم عن الغدر حتى بالأعداء!

ومن هنا قال قيس بن سعد بن عبادة ﷺ:

«لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(المكر والخديعة في النار)** لكنتُ من أمكر الناس»[2].

فصاحب المكر والخداع لا يكون تقيًا، ولا خائفًا من الله تعالى؛ وكلُّ خِلَّة جانَبَت التقوى فهي في النار.

وإليك هذا النموذج المضيء من وفاء النبي ﷺ وأصحابه لعهودهم، قال حذيفة بن اليمان ﷺ:

«ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل، قال: فأخَذَنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأُخِذ علينا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة، ولا نقاتِل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: **انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[3].

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠.

(٢) رواه ابن عدي وقال ابن حجر: «إسناده لا بأس به» (فتح الباري ٤/ ٣٥٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم في صحيحه.





فانظر كيف تحرَّج حذيفة ﷺ من القتال مع النبي ﷺ، وفي أي غزوة؟!!

أول غزوة بين المسلمين والمشركين: غزوة بدر، وتأمَّل!

كيف وفَّى النبي ﷺ للكفار عهدهم مع أنه في حالة حرب مع المسلمين، والمسلمون قلة، وهو أحوج ما يكون إلى كل رجل، فكيف إذا كان هذا الرجل هو حذيفة بن اليمان ﷺ؟!

لا مساومة على المبادئ بل الثبات الذي ما بعده ثبات؛ ولذا قال مصطفى صادق الرافعي في مقال له عن ثبات الأخلاق:

«لو أنني سُئلتُ أن أجمل فلسفة الدين الإسلامي كلها في لفظين، لقلت: إنها ثبات الأخلاق، ولو سئل أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الإنسانية كله في حرفين، لما زاد على القول: إنه ثبات الأخلاق، ولو اجتمع كل علماء أوربا ليدرسوا المدنية الأوربية ويحصروا ما يعوزها في كلمتين لقالوا: ثبات الأخلاق»[1].



(١) وحي القلم ٢/ ٦٢.



الفصل الخامس: النفاق الحركي!

1. حال المنافق عند البلاء



2. حب العلماء للأمراء



3. حلاوة اللسان ومرارة الأعمال

4. كثرة الاعتذار عن أعمال الأبرار

5. ريبة القلب وتذبذب المواقف

6. حزن المنافقين عند فرح المؤمنين

7. حرص المنافقين على معاصي المؤمنين

8. حب إشاعة الفاحشة في المؤمنين



9. فرح المنافقين بعصيانهم رب العالمين

10. كثرة الحلف

11. موالاة الكافرين على حساب المؤمنين



12. التماس عيوب المؤمنين

13. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

14. الشك في وعد الله

15. رد حكم الله ورسوله



16. عدم الشوق للغزو والجهاد!

وقد عرضت سورة التوبة لبعض صور هذا النفاق، وهو متعلِّق بأحاسيس المنافق وسلوكه مع البذل والتضحية والجهاد وأثناء الحركة مع المجتمع، وسورة التوبة لها ما يزيد على عشرة أسماء، وكلها أسماء تدور حول دورها في كشف المنافقين، وهي كما يلي:

١- **براءة**

٢- **التوبة**.وهما أشهر أسمائها.

٣- **الفاضحة**:أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس:

سورة التوبة، قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تُبق أحدًا منهم إلا ذُكِر فيها.

٤- **سورة العذاب**:رواه الحاكم عن حذيفة، وذلك لتكرر ذكر العذاب فيها.

عن حذيفة رضي الله عنه قال:

«إنكم تُسمون هذهِ السورةَ سورةَ التوبَةِ، وإنَّها سورةُ العذابِ، واللهِ ما تركَتْ أحدًا إلَّا نالَت منه»[1].

٥- **المقشقشة**:رواه أبو الشيخ عن ابن عمر، والقشقشة معناها التبرئة، وهي مبرِّئة من النفاق؛ لأنها تحذِّر المؤمنين من صفات المنافقين.

٦- **المنقرة**:أخرجه أبو الشيخ عن عبيد بن عمير؛ لأنها نقَّرت عما في قلوب المشركين.. أي بحثت.

٧- **البحوث**:بفتح الباء، صيغة مبالغة، رواه الحاكم عن المقداد.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٠٢٦٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٤).

٨- **الحافرة**: ذكره ابن الغرس؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، أي بحثت عنها.

٩- **المثيرة**: رواه ابن أبي حاتم عن قتادة لأنها أثارت مثالبهم وعوراتهم؛ أي أخرجتها من الخفاء إلى الظهور.

١٠- **المبعثرة**: لأنها بعثَرَت أسرارهم أي أظهرتها.

١١- **المدمدمة**: أي المهلكة لهم.

١٢- **المخزية**: أي جلبت الخزي للمنافقين، وهي خزي الدنيا والآخرة.

١٣- **المنكّلة**: أي المعاقبة لهم.

١٤- **المشرِّدة**: أي الطاردة لهم والمفرقة جمعهم.

وليس في السور أكثر أسماء منها ومن الفاتحة»[١].

١٥- **الحفّارة**: وعن الحسن كانوا يسمونها الحفارة؛ لأنها حفرت، فاستخرجت ما في قلوب المنافقين.

وقد كثر في السورة: ومنهم ومنهم، إلا أن الله لم يعيِّن أشخاصهم لفائدتين:

إحداهما: أن الله سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده.

والثانية: أن الذم ليس فقط للمنافقين الذين توجه إليهم الخطاب في عهد النبي ﷺ، لكنه يشمل كذلك غيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب في هذا السياق، لتتجنب أجيال المسلمين صفات النفاق إلى قيام الساعة.

وأمامك في هذا الباب صفات نفاق هي بمثابة مجسات نفاق، أو منصات رصد متقدمة لصفات المنافقين، لتعرف موقعك، وتقف أمام المرآة متسائلاً:

هل في صفة من هذه الصفات أم لا؟!

---

(١) تفسير القاسمي ٥/ ٣٤٣.



هل أشبه هؤلاء المنافقين في بعض خصالهم؟!

هذا النوع من أخطر أنواع النفاق، وأصعبها في اكتشافه والتعرف عليه.. لماذا؟!

لأنه لا ينكشف إلا عند الشدائد، وفي ساحات التضحية والجهاد، وهذه ليست متاحة للجميع اليوم، فعلى كل واحد منا أن يراجع نفسه ويحثها على اكتشاف بذور النفاق في قلبه، والتعرف على استعداداته لنمو النفاق مع مرور الزمن.



١- حال المنافق عند البلاء:

قال رسول الله ﷺ:

«مَثَل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيؤه، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومَثَل المنافق كمَثَل شجرة الأَرْزِ؛ لا يهتز حتى يُستَحْصَد»[1].

وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى عن الفاجر والكافر بدلاً من المنافق.

وهناك ثلاثة معانٍ مستفادة من الحديث:

المعنى الأول:

المؤمن رابحٌ في جميع أحواله؛ إن وقع له خير فرح به وشكر، وإن وقع له بلاء ومكروهٌ تجلَّد أمامه وصبر، ورجا فيه الخير والأجر، فهو في كلتا الحالتين رابح: أنزل الله به البلاء، فانقاد له صابرًا، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرًا.

وأما المنافق فربحه ظاهري مؤقَّت، يحصل له التيسير في الدنيا على حساب معاقبته عليه في الآخرة.

والمعنى الثاني:

البلاء رفيق المؤمن أي صاحبه، فكلما قام من بلاء وقع في غيره، وهذا ديدنه

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٨٤٢.





وحاله حتى قال الفضيل بن عياض:

«إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير»[١].

وهل يتعاهد الرجل أهله إلا بالخير؟!

لكن .. هل البلاء خير؟!

نعم، البلاء في حق المؤمن خير، لكنه في حق غيره شر.

لأن الله قد يُنزِل البلاء بالمؤمن؛ لأنه استحق عند الله درجة لم ينلها بعمله، فيرزقه الله البلاء، ويرزقه معه الصبر عليه؛ ليستحق هذه المنزلة العالية.

قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ العبدَ إذا سَبَقت له من الله منزلةٌ لم يبلُغْها بعمله؛ ابتلاه الله في جسدِه، أو في مالِه، أو في ولدِه، ثُمَّ صبَّره على ذلك حتَّى يُبلِّغَه المنزلةَ الَّتي سبقت له من الله تعالى»[٢].



وأما المنافق فمستدَرج بالخير والنعمة؛ يعيش في صحة وعافية؛ ويمد الله له في النعيم مدًّا، حتى إذا أخذه الله لم يُفلِته، بل استأصل شأفته مرة واحدة؛ تمامًا كشجرة الأرز الثابتة في الأرض، يحصدها الحاصد مرة واحدة، ومن هنا قيل:

«لا يصيب المنافق ألمٌ حتى يموت»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٣٣.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وصحَّحه الألبانيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة رقم: ٢٥٩٩.

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح ٢/ ٣٩٧ – ط دار النوادر بالكويت.



ومعنى ثالث:

المؤمن لا ينكسر لرياح المحنة، بل تفيؤه الريح فيميل معها أي يتأقلم، والشدة لا تقتلعه من جذوره، ولا تقضي على إيمانه ويقينه؛ لأن قوته من ربه، وعزمه نابع من يقينه بأجره، بعكس المنافق الذي ينكسر في الشدائد لأنه أجوف، لم يملأ الإيمان جوفه، ولم يقوَّ عزيمة قلبه.

قال الله تعالى يصف حال المنافق عند المحن:

﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[العنكبوت: ١٠]

قال ابن زيد:

«هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفَر، وجعل فتنة الناس كعذاب الله»(١).

وذُكِر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة، فخرجوا مهاجرين، فأُدرِكوا وأُخِذوا، فأعطوا المشركين لمّا نالهم أذاهم ما أرادوا منهم.

وهنا يبرز غباء المنافق في المساواة بين عذاب الناس وعذاب الله الذي يحيق به إنْ كفر؛ لأن عذاب الناس مهما عظم سينتهي ولو بموت من آذاك، أما عذاب الله في الآخرة فباقٍ لا ينتهي، والناس تُعذِّب بمقدار طاقتها، والله سبحانه يُعذِّب بمقدار قدرته وقوته، ولا وجه للمقارنة؛ ولهذا قال الله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦].

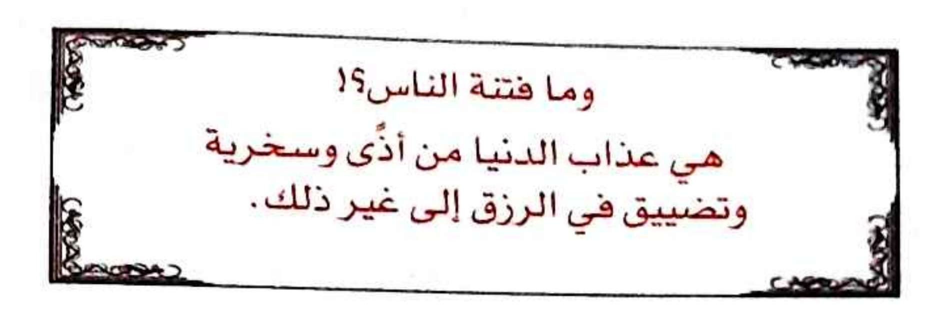
ونقف لحظة أمام التعبير القرآني الدقيق وهو يكشف عن موضع الخطأ في هذا النموذج من الناس حين يقول: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[العنكبوت: ١٠].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٢٠/ ١٣.







قال سيد قطب:

«ليست الغلطة أن صبرهم قد ضعف عن احتمال العذاب، فمثل هذا يقع للمؤمنين الصادقين في بعض اللحظات- وللطاقة البشرية حدود- ولكنهم يظلون يفرقون تفرقة واضحة في تصورهم وشعورهم بين كل ما يملكه البشر لهم من أذًى وتنكيل، وبين عذاب الله العظيم، فلا يختلط في حسهم أبدًا عالم الفناء الصغير وعالم الخلود الكبير، حتى في اللحظة التي يتجاوز عذاب الناس لهم مدى الطاقة وجهد الاحتمال.

إن الله في حِسِّ المؤمن لا يقوم له شيء، مهما تجاوز الأذى طاقته واحتماله، وهذا هو مفرق الطريق بين الإيمان في القلوب والنفاق»[1].

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبوت: ١١].

وليكشفنهم فيُعرَفون بين الناس، فما كانت الشدة إلا لحكمة، وليست إلا سُنَّة ربانية؛ ليتبيَّن الذين آمنوا وينكشف المنافقون.

وقد وصف الله عباده هؤلاء في سورة الحج فقال:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [الحج:١١] أي: على طرف أو على حال واحدة، وهي حال السراء فقط، فإذا زارت الضراء تغيَّرتْ عبادته وتبدَّلَت طاعته.

قال ابن عباس رضي الله عنه:

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٢٤.



«كان الرجل يقدم المدينة (كان الأعراب يأتون من النواحي يُسلِمون في المدينة)، فإن ولَدَت امرأته غلامًا وأنتجت خيله قال: هذا دينٌ صالح (وفي رواية: لَنعْمَ الدين)، وإن لم تلِد امرأته (أي غلامًا أو ولدت جارية -وكانوا يكرهون البنات)، ولم تُنتَج خيله قال: هذا دين سوء»[1].

وبعض الناس اليوم يقول: لو كان التزامي بالدين خيرًا ما تسبب في حرماني من وظيفتي أو تأخير الترقية والعلاوة، أو السخرية مني، أو مقاطعة الناس لي، أو مصادرة حريتي، أو كساد تجارتي، أو إيذائي، فيترك طريق الاستقامة، ويرضخ لمن آذاه، ويعطيه ما يريد ولو عصى به مولاه.

فأين هذا من حال المؤمن مع المحن؟!

المؤمن يرى المحنة التي يلقاها في سبيل الله أثرًا من آثار استقامته على منهج الله ودليلاً على صوابه، فيزداد إيمانًا وتسليمًا؛ ولذا قال الله تعالى عن المؤمنين وهم يقابلون هول محنة الأحزاب:

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب:٢٢].

فإن أصابه الأذى من قريب أو والد أو زوج أو أخ أو صديق أو من المجتمع، قابل الأذى بالصبر الجميل.

والأعلى من الصبر: الرضا، والأعلى منهما جميعًا: الشكر، فيشكر الله تعالى على المصيبة، فقد كان رسول ﷺ إذا رأى ما يكره قال:

«الحمدُ لله على كُلِّ حال»[2].

قال أبو عمر الكندي:

(١) صحيح البخاري رقم: ٤٧٤٢.

(٢) أخرجه ابنُ ماجة وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» رقم: ٢٦٥.



أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحوًا من أربعمائة جاموس، فركبتُ معه أنا وابنٌ له، فلقينا عبيده الذين كانت معهم الجواميس معهم عِصِيُّهم، فقالوا: يا مولانا .. ذهبت الجواميس، فقال: وأنتم أيضًا اذهبوا معها، فأنتم أحرار لوجه الله تعالى.

فقال له ابنه: يا أبتِ .. أفقرتنا!

قال: «اسكت .. إن ربي اختبرني، فأردتُ أن أزيده»[1].





٢- حب العلماء للأمراء!

قال عبادة بن الصامت ﷺ:

«حب القارئ الناسك الأمراء نفاق، وحبه الأغنياء رياء»[2].

لكن .. لم كان حب القارئ للأمير نفاقًا؟!

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣٨٨.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٢.



لأنه دافعٌ إلى النفاق، وسببٌ لتزيين الباطل للأمير، فإن لم يكن تزيين الباطل فالسكوت عن قول الحق، وفي السكوت إذنٌ ضمنيٌّ لكل أمير بالظلم والاعتداء والتمادي في الطغيان.



ولم كان حبه للغني رياءً ؟!

لأن القارئ في الأغلب يتزلَّف إلى الغَنِي بإظهار تدينه طمعًا في ماله ولينال خيره، ويتمتع بفضله، فتكون نية عبادته مدخولة.

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن ناسًا قالوا له: إنا ندخل على سلاطيننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نعد هذا نفاقًا على رسول الله ﷺ»[1].

وفي موقف آخر يزيد الصورة وضوحًا، أن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- لقي ناسًا خرجوا من عند مروان، فقال:

من أين جاء هؤلاء؟!

قالوا: خرجنا من عند الأمير مروان، فسألهم: وكلُّ حقٍّ رأيتموه تكلَّمتم به وأعنتم عليه؟!

وكلُّ منكر رأيتموه أنكرتموه ورددتموه عليه؟

قالوا: لا والله، بل يقول ما يُنكَر، فنقول: قد أصبْتَ أصلحك الله، فإذا خرجن

(١) صحيح البخاري رقم: ٧١٧٨.

من عنده قلنا: قاتله الله، ما أظلمه! وأفجره!

قال عبد الله: كنا بعهد رسول الله ﷺ نعُدُّ هذا نفاقًا لمن كان هكذا[(١)].



أي يشبه النفاق، وقد قال الشيخ ابن عثيمين تعقيبًا على قول ابن عمر:

«وذلك لأنهم حدَّثوا فكذبوا وخانوا ما نصحوا، فالواجب على من دخل على السلاطين من الأمراء والوزراء والرؤساء والملوك .. الواجب عليه أن يتكلم بالأمر على حقيقته، يبين لهم الواقع سواء كان الناس على استقامة أو على اعوجاج أو على حق أو على باطل، ولا يجوز للإنسان أي إنسان أن يدخل على الأمير أو على الملك أو ما أشبه ذلك، ثم يقول: الناس بخير، وأحوالهم مستقيمة، الناس اقتصادياتهم جيدة، الناس أمنهم جيد، وما أشبه ذلك وهو كاذب. هذا حرام وخداع لولاة الأمور، وخداع للأمة جمعاء.

وابن عمر يقول: هذا من النفاق، وصدق فهو من النفاق، حدَّث فكذب، وخانوا وما اؤتمنوا، فالواجب البيان، أما النفاق والمداهنة فهذه لا تجوز»[(٢)].

وقد أخرج البخاري في التاريخ الكبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله:

«إنَّ الرَّجُل ليدخل على السُّلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه»[(٣)].

وهؤلاء جعلوا الدين مطية لكل ظالم، ويغيرون آراءهم كما يغيرون أحذيتهم، وقد كتب الأستاذ مصطفى السباعي يومًا في شأن أحدهم ساخِرًا:

---

(١) مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٧/ ٥٣٧٣) وقال محققه: إسناده صحيح وأصله عند البخاري.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦ / ٣٤٦، ٣٤٧.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٤٤٣ بحواشي محمود محمد خليل - دار المعارف العثمانية.

«قيل لخطيب منافق: لماذا تتقلب مع كل حاكم؟

فقال: هكذا خلق الله القلب متقلبًا؛ فجموده مخالفٌ لأوامر الله»[1].

ولذا حذَّروا غاية التحذير من الدخول على الأمراء، وسموها مواقف الفتن، فقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

إياكم ومواقف الفتن.

قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟!

قال: أبواب الأمراء؛ يدخل أحدكم على الأمير فيُصدِّقه بالكذب ؛ ويقول له ما ليس فيه»[2].

فلا ينبغي لمُؤْمن أن يثني على ذي سُلْطان في وجهه وهُوَ مُسْتَحِقٌّ للذم، ولا أن يقول بحضرته خلاف ما يقوله من ورائه، فإن ذلك نفاق، وقد مرَّ بك حديث:

«إنَّ شَرَّ النَّاس ذو الوجْهَين، الذي يأتي هؤلاء بِوَجْهٍ، وهؤلاء بِوَجْه».

والآن يعدونها كياسة وسياسة ودبلوماسيّة، وحفاظًا على المكتسبات، وتمرير الدعوة بـ(قليل) من مدح السلطان؛ لكي يرضى عنهم ويبارك مشاريعهم!

ألا ساء ما يحكمون!

وصدق من قال: من شرب مرق السلطان، احترق لسانه عند قول الحق.

وهذا التحذير كان علامة فارقة في منهجية تربية سلفنا الصالح وعلمائنا الأبرار، وقد كشف عنها الإمام العابد شيخ الإسلام الفضيل بن عياض في قوله:

«كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم القرآن»[3].

---

(١) هكذا علمتني الحياة ص ٢٩٤ – ط دار المنارة.

(٢) صفة الصفوة ١/ ٢٤٣.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ١٢/ ٣٥ – ط مكتبة الرشد.





نفاق الشعراء!

كان محمد بن هانئ الأندلسي شاعرًا فحلاً، فلم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا المغرب مثله في صناعة الشعر أو من يدانيه، حتى أن كثيرًا من الأدباء أطلق عليه لقب متنبئ المغرب، وكان قد استصحبه المعز لدين الله الفاطمي، فانطلق يدبِّج فيه قصائد المدح والثناء، وأخرجه -لغلوه فيه- من نطاق البشرية، وخلع عليه بعض صفات الألوهية، بما يوصل للكفر! فكان مما قال:

فكأنما أنت النبــــي محمـد	وكأنما أنصارك الأنصـــار
ما شئت لا ما شاءت الأقدار	فاحكم فأنت الواحد القهار

وقال:

ولك الجواري المنشآت مواخرًا	تجري بأمرك والرياح رخـاءُ

واستمر على هذا حتى قُتِل غيلة في برقة، ورئي ملقيًا على شاطئ البحر قتيلاً لا يُدرى من قتله، ولم يتجاوز ستة وثلاثين عامًا.



المداراة بدلاً من المداهنة

قال الحافظ ابن حجر ما خلاصته:

الفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة هي خفض الجناح للناس، والرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألف،



وهي من أخلاق المؤمنين ومندوب إليها.

والمداهنة مأخوذة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه؛ كمعاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، وهي محرمة منهي عنها.

وقال ابن عقيل:

«ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر: فليس بمنافق، لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤]، فهذا اكتساب استمالة، ودفع عداوة، وإطفاء لنيران الحقائد واستنماء الود، وإصلاح العقائد، فهذا طب المودات، واكتساب الرجال»[(١)].

وقال ابن حبان في فضل المداراة:

«من التمس رضا جميع الناس التمس ما لا يُدرَك، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدًا، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها، أو استقباح أشياء كان يستحسنها ما لم يكن مأثمًا: فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يداري؟»[(٢)].

مداراة الحاكم

كتب معاوية بن أبي سفيان إلى سعيد بن العاص سنة أربع وخمسين أن يهدم دار مروان بن الحكم، ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية، ويقبض منه فدَك، وكان قد وهَبَها له، فراجعه سعيد بن العاص في ذلك، فأعاد معاوية الكتاب بذلك، فلم

(١) الآداب الشرعية ١/ ٥٠، ٥١.

(٢) روضة العقلاء ١/ ٧١.



يفعل سعيد ووضع الكتابين عنده، فعزله معاوية، وولى مروان بن الحكم، وكتب إليه يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص وهدم داره، فسار إلى دار سعيد ليهدمها ، فقال له سعيد:

يا أبا عبد الملك .. أتهدم داري؟!

قال: نعم، كتب إليَّ أمير المؤمنين، ولو كتب إليكَ في هدم داري لفعلت.

فقال: ما كنت لأفعل .

قال: بلى والله .

قال: كلا، وقال لغلامه: ائتني بكتاب معاوية، فجاءه بالكتابين، فلما رآهما مروان قال: كتب إليك فلم تفعل ولم تُعلِمني؟! أنت والله خير مني، وعاد ولم يهدم دار سعيد»[1].

فهذا من المداراة، فلم ينفِّذ الأمر بالهدم وتحايل عليه.



(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٩٢.







٣- حلاوة اللسان ومرارة الأعمال:

قال رسول الله ﷺ:

«إن أخوف ما أخاف على أمتي: كلُّ منافق عليمِ اللسان»[(١)].

قال المناوي:

«أي: كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، وأُبَّهة يتعزز بها، يدعو الناس إلى الله، ويفِرُّ هو منه»[(٢)].

فالنفاق حلاوة لسان وحسن بيان بلا جميل خصال وكريم أفعال؛ ولذا لما سئل حذيفة بن اليمان: ما النفاق؟ قال:

«الذي يصِف الإسلام ولا يعمل به»[(٣)].

أي الذي يصف الإسلام لغيره، ولا يعمل به، فعمله مخالف لقوله.

لكن ما مناسبة تحديث عمر بن الخطاب بهذا الحديث؟!

السبب أن الأحنف بن قيس -وهو سيد أهل البصرة- كان فصيحًا مفوَّهًا، فقدِم على عمر، فحبسه عنده سنة يأتيه كل يوم وليلة، فلا يأتيه عنه إلا ما يُحِبُّ، ثم دعاه، فقال له: تدري لم حبستك عني؟!

قال: لا.

قال: إن رسول الله ﷺ حدَّثنا فذكر الحديث، ثم قال: خشيتُ أن تكون منافقًا

(١) صحيح: رواه أحمد عن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ١٥٥٤.
(٢) قال المناوي في التفسير ١/ ٣٠٩.
(٣) الإبانة ٢/ ٦٩١.



عليم اللسان، وإن رسول الله ﷺ حذَّرَنا منه، وأرجو أن تكون مؤمنًا، فانحدر إلى مِصْرِك، وفي رواية:

«**إن هلكة هذه الأمة على يدي كلِّ منافقٍ عليم، وقد رمقتك فلم أرَ منك إلا خيرًا، فارجع إلى قومك، فإنهم لا يستغنون عن رأيك**»[١].

وفي هذا يقول الأحنف متحدِّثًا عن تجربته:

«احتبسني عمر عنده حولاً، وقال: قد بَلوتُك وخبرتُك، فرأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتُك مثل علانيتك، وإنا كنا نتحدَّث إنما يُهلِك هذه الأمة كلُّ منافقٌ عليم»[٢].

وقد قال النبي ﷺ:

«**الحياء والعِيُّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شُعْبتان من النفاق**»[٣].

فالبيان وحسن اللسان من صفات النفاق إن لم يصاحبهما جميل خصال وأفعال.

ولهذا رأى الفاروق المنافقين مصدر الهلاك، وأنهم أخطر من الكفار الواضحين والفسقة الفاجرين، فقال عمر رضي الله عنه:

«ما أخاف عليكم أحد رجلين:

رجل مؤمن قد تبين إيمانه، ورجل كافر قد تبين كفره، ولكن أخاف عليكم منافقًا، يتعوذ بالإيمان ويعمل غيره»[٤].

وقال رضي الله عنه:

«ما أخاف على هذه الأمة من مؤمنٍ ينهاه إيمانه، ولا من فاسقٍ بيِّنٍ فِسْقُه، ولكني

---

(١) الزهد لأحمد ١/ ١٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ٤١.

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٢٠١ والمشكاة رقم: ٤٧٩٦.

(٤) رواه الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين (٢٨) وعن ابن كثير في مسند الفاروق: ٢/ ٦٦١.



أخاف عليها رجلًا قد قرأ القرآن حتى أزلفه بلسانه، ثم تأوَّله على غير تأويلِه»[1].

ولا شك أن هذه ليست دعوة لعدم الفصاحة اللسان، بل دعوة لتجنب حلاوة اللسان على حساب سوء الأعمال والأحوال، ودعوة لأن يعمل العبد بما يقول، وألا يخالف فعلُه قولَه.



مخالفة أقوال الدعاة لأفعالهم!

هل إذا خالف فعل الدعاة إلى الله قولهم كانوا من المنافقين؟!

قال الحسن البصري في توسيع لمعنى النفاق:

«إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر
والعلانية والمدخل والمخرج»[2].

لكن .. من الذي يخلو عن هذا المعاني؟!

وإن كل داعية لعلى خطر عظيم إذا واظب على هذا الاختلاف، وصار سمتًا له مع عدم تألم قلبه للمخالفة.

ولقد قال الله تعالى في ذم بني إسرائيل:

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:٧٩]

فذمَّهم الله تعالى؛ لأنهم لم ينهوا غيرهم عما وقعوا فيه من منكرات، فأسقطوا بذلك فريضة (النهي عن المنكر).

وقال تعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٢٠٤ - ابن عبد البر القرطبي - دار ابن الجوزي.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ١٢٣.





قال الإمام القرطبي:

«اعلم -وفقك الله تعالى- أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر، لا بسبب الأمر بالبر»[1].

ومعلوم أن كلاً من الأمر بالمعروف وفعل المعروف واجب، والنهي عن المنكر واجتناب المنكر واجب، ولا يسقط أحد الواجبين بترك الآخر. فيجب على مرتكب الذنب أن ينهى الناس عنه، كما يجب على المقصر في الطاعة أن يأمر الناس بها، وإلا جمع بين الإثمين: إثم ارتكاب الذنب مع إثم ترك النهي عن الذنب، وإثم التقصير في الطاعة مع إثم تعطيل الأمر بالطاعة.

قال الإمام الجصاص في وضوح:

«من لم يفعل سائر المعروف ولم ينتهِ عن سائر المناكير، فإن فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير ساقطٍ عنه»[2].

وقد نُقِل عن كثير من الصحابة والتابعين ما يؤكِّد هذا المعنى، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه:

«إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكني أرجو فيه الأجر»[3].

ويُحمَل قوله ﷺ على بعض السنن؛ لأن العبد مهما بلغ من صلاح وتقوى، فلن يستطيع أن يأتي بالنوافل كلها، فكان أبو الدرداء أحيانًا يأمر غيره بأنواع من النوافل قد لا يتمكن من القيام بها.

قال عمر بن عبد العزيز يوصي ابنه عبد الملك بعد ما تولى الخلافة في وصية طويلة، جاء فيها:

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٣٦٦.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٤٢ – ط دار الكتب العلمية.

(٣) رواه ابن أبي شيبة: ٧/ ١١١، وأبو داود في الزهد: ١/ ٣٢٠، وأبو نعيم: ١/ ٢١٣.



«وإني لأعِظُك بهذا، وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير مُحكِمٍ لكثيرٍ من أمري، ولو أنَّ المرء لم يعِظ أخاه حتى يُحكُم أمر نفسه، ويُكمِل الذي خُلِقَ له من عبادة ربِّه، إذًا لتواكل الناس الخير، وإذًا لرُفِع الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، واستُحِلَّت المحارم، وقلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض»[1].

نخاطب هنا كل مصلح ونقول:

احرص على سؤال الله أن يُقوّي الله ظهرك،
ويصلح حالك، ليوافق سرُك علانيتك.

ولو خفتَ على نفسك النفاق لعدم موافقة فعلك لقولك، فهذا خوف إيجابي، سيدفعك إلى العمل لاستكمال نقصك، وسد خللك.

وإن تعثرت خطاك أثناء سيرك، فلتقم بإحدى الفريضتين بدلاً من إسقاطهما معًا، فتكون بذلك قد جمعت بين خطيئتين!

قم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاهد نفسك لتستكمل الفريضة الأخرى، وهي فعل المعروف وهجر المنكر، لتكون فاعلاً للخير آمرًا به، وناهيًا عن المنكر هاجرًا له.



(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٧٥- ٢٧٧).





٤- كثرة الاعتذار عن أعمال الأبرار:

ويتم هذا عند المنافق تحت ستار أعذار تافهة ومختلَقة، فاحذَر أن تكون منهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [التوبة: ٤٥]

واستئذان المنافقين هنا عن الجهاد، وعلامة أن أعذارهم واهية أنهم لم يُعِدوا للجهاد عدته، ولم يتجهزوا له.

والمثال العملي على هؤلاء المنافقين من أصحاب الأعذار الواهية هو الجَدُّ بن قيس الذي قال الله تعالى فيه:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾ [التوبة: ٤٩].

فقد نزلت في الجد بن قيس حين قال له النبي عليه السلام:

هل لك العام في جِلاد بني الأصفر؟!



فقال: «ائذن لي يا رسول الله ولا تفتني؛ أي: لا تؤثِّمني، فإني رجل كَلِفٌ بالنساء، مستهتِر بهن، فإذا رأيتُ بنات الأصفر لم أصبر عنهن».

فإما أن أتخلف فأكون مجاهرًا بالمعصية، أو أسافر فأميل إلى نساء الروم، فأرتد عن الدين، لأنه لا صبر لي عن النساء.

وقد زعم هذا المنافق أن الفتنة هي التخلف بغير إذن النبي ﷺ، وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط تنزيلٌ للفتنة منزلةَ الحفرة المُهلِكةِ التي توحي بتردّي المنافقين إلى أسفل سافلين.



وقد عبَّر الله عن قول المنافق بالفعل المضارع (يقول) ليستحضر المستمع تلك الحال لغرابتها، فإن مثل الجد بن قيس في نفاقه لا يخشى على نفسه إثم الافتتان بالنساء؛ إذ لا يجد المنافق وازعًا من دين يمنعه من التمتع بهن، فالمنافقون في كل زمان يتظاهرون بالخوف من الفتنة وهم مفتونون، وبالصدق وهم كاذبون، وبالأمانة وهم لأوطانهم ودينهم خائنون.

ورد الله عليهم قائلاً: ألا فليعلموا أنهم سقطوا بهذا القول في هاوية الفتنة الحقيقية بأوسع معانيها، فتردوا في أسوأ مما اعتذروا به، والفتنة العظمى المحققة هي معصية الله ورسوله؟

والجد بن قيس صاحب تاريخ عريق في النفاق، ففي صحيح مسلم: سُئِل جابر رضي الله عنهما: كم كانوا يوم الحديبية؟!

قال: «كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه (يعني رسول الله)، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمُرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري، اختبأ تحت بطن بعيره»[1].



- احذر أن تتذرع بالنوم الثقيل للتخلف عن صلاة الفجر، وأنت تقوم مبكرًا لتدرك موعد قطار أو تلحق بطائرة.
- احذر أن تتأخر عن نداء الله في صلاة الجماعة تحت دعوى أن الوقت مفتوح، ولو ناداك مديرك في العمل لقفزت من مكانك في الحال لتجيبه.
- احذر أن تعتذر عن صدقة بعدة جنيهات، وأنت تنفق مئات الجنيهات بضربة واحدة في دعوة غداء أو عشاء لأهلك أو أصحابك.

---

(١) صحيح مسلم رقم: ١٨٥٦.





قال خالد بن الوليد:

«ما مِنْ ليلة يُهدى إليَّ فيها عروسٌ أنا لها مُحِبٌّ أحبَّ إليَّ من ليلة شديدةِ البرد، كثيرةِ الجليد في سريَّةٍ أُصبِّحُ فيها العَدُوَّ»(١).

وانظر كيف أن عاطفة الإيمان في قلب خالد جعلت البرد الشديد وسط العدو أحب إليه من دفء أحضان عروسه في ليلة زفافه، وتعلم منه كيف تعتذر للأعذار، وعدم الاعتذار عن أعمال الأبرار.



٥- ريبة القلب وتذبذب المواقف:

قال تعالى في وصف المنافقين:

﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[التوبة: ٤٥].

الريبة محلها القلب، لكن يظهر أثرها على الجوارح بتذبذب المواقف، فمنبع المرض في الباطن، لكن أعراضه تُرى في الظاهر.

والتردد هو الذهاب والمجيء، ويُراد به التحير؛ لأن المتحيِّر لا يستقر في مكان، والمنافقون حائرون، يُقَدِّمون رِجلًا ويؤخِّرون أخرى، فيتجهون إلى أهل الإيمان مرة ويكفرون مرة، فالإيمان عندهم يتردد بين العقل والقلب، وسبب هذا أنهم مرتابون،

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٧٥.



وعلى غير يقينٍ من الدار الآخرة، فلا يستطيع أحدهم الإقدام على عمل عقوبته أو ثوابه غيبي، وهو لا يراه بعينه؛ لأنه لن يضحّي بحاضر لغائب، ولن يبذل ما بين يديه اليوم طمعًا في ما عند الله غدًا..هو لا يمتلك هذا اليقين.

وهذا الشك جعل المنافقين غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم، وقد وصف النبي ﷺ المنافق بصورة توضيحية عن طريق ضرب المثل لكي لا يشكو أحد عدم الفهم بعد آية محكمة وحديث مبين، فقال رسول الله ﷺ:

«مثَل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين
تَعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيهما تتبع»[1].

«الغنمين»: أي القطيعين من الغنم، فإنَّ الغنم اسم جنس يقع على الواحد والجمع، ومعنى **«تَعير»** أي تنفلت، فالمنافق يدخل مع أهل الإيمان تارة، ومع أهل الكفر والباطل تارة أخرى، فلا ثبات له على حال، ولكنه دائمًا حائر بين الفريقين، كما قال ربنا: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

وهو تشبيهٌ يقرّب الصورة إلى أفهام المخاطبين، فشبّه النبي ﷺ تردد المنافق بين الطائفتين أي المسلمين والكافرين تبعًا لهواه، وقصدًا إلى مصلحته وشهوته، بتردد الشاة العائرة التي لا تستقر على حال.

> والدافع إلى هذا -إضافة إلى غياب اليقين- هو النفاق المصلحي، فالمنافق ليس مخلصًا في انتسابه لإحدى الطائفتين: وإنما يطلب بانتسابه النفع والمصلحة، وهو لا يدري لمن تكون العاقبة: ولذا ينتظر، ويمسك العصا من المنتصف، فإن كان فتح للمؤمنين ادّعى أنه كان معهم بحكم ما كان يُظهر من شعائر الإسلام، وإن كان للكافرين الغلبة ادّعى أنه كان معهم بحكم ما كان يبطن من موالاتهم ونصرتهم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم والنسائي عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٥٨٥٣.







منطق ذي الجوشن!

قدِم ذو الجوشن الكلابي على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ:

«ما يمنعك من الإسلام؟».

قال: رأيتُ قومك كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك، فانظر، فإن ظهرتَ عليهم آمنتُ بك واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتَّبِعْك.

فقال له رسول الله ﷺ:

«يا ذا الجوشن .. لعلَّك إن بقيتَ قليلاً أن ترى ظهوري عليهم».

قال ذو الجوشن: فو الله .. إني لبِضَرِيَّه (مكان بين مكة والبصرة) إذ قَدِم علينا راكِب من قبل مكة، فقلنا: ما الخبر؟!

قال: ظهر محمد على أهل مكة، فكان ذو الجوشن يتوجَّع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله ﷺ»[1].

عرض النبي ﷺ الإسلام على ذي الجوشن بعد غزوة بدر، فلم يُسلِم، وأسلم بعد فتح مكة، وروى أحاديث عن رسول الله ﷺ، لكن فاته أجر السبق إلى الإسلام وفضله الذي حازه الصحابة الأولون.

وكثير من الناس لا يعدو أن يكون منطقهم منطق ذي الجوشن، ينتظر ظهور إحدى الطائفتين، لينتسب للطائفة الرابحة والكفة الراجحة، ولا يحرِّكه إيمانه ليتمسك بالحق ولو كان غريبًا، بل يركن إلى الباطل إن كان سائدًا وله الغلبة.

يتنازل عن الحق ويجافي أهله بل قد يعاديهم إن رآهم قلة مستضعفين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد ٥/ ٢٦١ – ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان





ويوالي أهل الباطل إن رآهم ظاهرين متمكّنين.

نفس المنطق من قديم الزمن، وطبيعة النفس البشرية أنها تركن إلى صاحب القوة، فالمنافق لا مبدأ له إلا مصلحته؛ لذا يميل مع القوة أيًّا كان حاملها، وأما المؤمن فلا يميل إلا مع الحق وأهل الحق؛ لأنه يوقن أن الدنيا ليست نهاية المطاف، وأن الله خلقها دار ابتلاء وموضع اختبار، وفي الآخرة سيُجازى كُلٌّ بعمله، ويُحشَر كل واحد مع من أحب.

قارِن بين موقف ذي الجوشن بموقف أبي بكر الصديق ﷺ الذي كان أول من أسلم دون أن يرى ظهور الحق وانتصار الإسلام، فما إن عرف أنه الحق حتى صدَّقه واتبع رسول الله ﷺ، وبذل ماله ونفسه في نصرته، مع أن قريشًا كلها كانت ضد رسول الله ﷺ، ولم ينتظر كما انتظر ذو الجوشن حتى ينظر لمن العاقبة، وعلى كل منا أن يختار:

- هل يتبع الحق ويسير مع أهله ولو كان الحق غريبًا والدائرة عليه؛ ليقينه بثواب الله وأجره.
- أم يسير بمنطق ذي الجوشن، فينتظر حتى يرى لمن الغلبة، ثم يقرِّر حينها.









٦- حزن المنافقين عند فرح المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [التوبة: ٥٠].

إن تصبك يا محمد في بعض غزواتك حسنة من نصر أو غنيمة، يسوؤهم ذلك.

وإن تصبك مصيبة أو نكبة أو محنة أو شدة يفرحوا بها.

نُقِل عن ابن عباس ﷺ أن الحسنة كانت في يوم بدر، والمصيبة في يوم أحد، واللَّفْظ عامٌّ في كُلِّ محبوبٍ ومكروه يصيب المؤمنين.

لكن .. لماذا يحزن المنافقون لخيرٍ أصاب المؤمنين؟!



لأن الهمّ الأول للمنافق هو الدنيا، وهو يسعى في تحصيل أكبر قدر منها، فإذا رآها بين يدي المؤمن، تمنى زوالها وانتقالها إليه، وهذا هو الحسد، ولسان حاله: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [النساء:٧٣].

حسد وفرح وشماتة بمصائب الأمة، وقد قال الفضيل بن عياض في أحد الفوارق الرئيسة بين المؤمن والمنافق:

«الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق،

والمؤمن يغبِط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط»[١].

قال الرازي في الفارق بين الغبطة والحسد:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٥.



«إذا أنعم الله على أخيك بنعمة؛ فإن أردتَ زوالها فهذا هو الحسد، وإن اشتهيتَ لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة»[1].

فحال المنافق مع المؤمن أنه حاسد له، وأما المؤمن فعلى العكس من ذلك تمامًا، ليس فقط يتمنى بقاء النعمة لدى أخيه، وإنما يواسي أخاه بنعمته التي لديه، وهي مواساة تتجاوز التعاطف القلبي إلى الحسي، وعمل القلب إلى عمل الجوارح.

دخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرَّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟! فقال:

«ذكرتُ الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم به، فأحببت أن أواسيهم في بردهم»[2].

وقال محمد بن مناذر: كنتُ أمشي مع الخليل بن أحمد، فانقطع شِسْعي -أي رباط حذائي- فخلع الخليل نعليه، فقلت: ما تصنع؟!

قال: أواسيك في الحَفاء!»[3].

والشِّسْع هو أحد سيور النعل، وهو الذي يُدخَلُ بين الإصبعَيْن، ويُدخَل طرَفُه في الثُّقْب الذي في مقدمة، وإذا انقطع لم يُنتفع بالنعل، فلما سار ابن مناذر حافيًا، قال له الخليل: كيف تسير حافيًا وأسير أنا في حذائي؟!

قال ابن القيم: «والمواساة للمؤمن أنواع:

مواساة بالمال.

ومواساة بالجاه.

ومواساة بالبدن والخدمة.

ومواساة بالنصيحة والإرشاد.

---

(١) مفاتيح الغيب ٣ / ٦٤٦.

(٢) الفوائد ١ / ١٧١ – ط دار الكتب العلمية.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٤٢، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٢/ ٢٣٥.



ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم.

ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له»[1].

فلم يعد لمؤمن عذر في التخلف عن المواساة،
فمن فقد المال، لم يفقد الجاه.
ومن فقد الجاه لم يفقد الصحة.
ومن فقد الصحة لم يفقد النصح والدعاء.
ومن فقد كل ذلك لم يفقد التوجع للمصابين والمكروبين.
ومن فقد كل هذا فأصبح قلبه قطعة من الجليد،
فإنما هو إنسان بليد.
وكلما زاد إيمانه زادت مواساة العبد للمسلمين وإحساسه بآلامهم،
وكلما ضعف إيمانه قسا قلبه، وصار أنانيًا، وامتلأ أثرة ولا مبالاة.



(١) الفوائد ١/ ١٧١ – ط دار الكتب العلمية.







٧- حرص المنافقين على معاصي المؤمنين:

ومن سمات المنافقين حرصهم على النيل من دين المؤمنين، وذلك بالمعاصي والذنوب؛ ولذا قال الله عن المنافقين:

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩].

والحديث في الآية يدور عن أصحاب النفاق الأكبر، والذي يبطن أصحابه الكفر ويُظهرون الإسلام؛ ولهذا جاء التعبير القرآني:

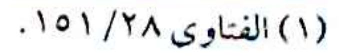
﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ﴾

بديلاً مما يقضى به الظاهر وهو: «ودوا لو تنافقون كما نافقوا»؛ لأن النفاق هنا يستر وراءه الكفر، ومن مقاصد التعبير القرآني في هذه الآية أن يفضح الكفر المتسترّ خلف النفاق.

لكن الآية لا تسري على أصحاب النفاق الكفري فحسب، بل تسري كذلك على أصحاب النفاق الفسقي الذين تمكّن الفسق من قلوبهم، ولم يكفِهم ما هم عليه من الضلال والغواية، حتى طمعوا أن تكونوا مثلهم، وتحذوا حذوهم، لتؤنسوا وحشتهم، حتى إذا امتلأت الأرض نفاقًا، كان لهم أن يسرحوا كيف شاؤوا، وهو منتهى الغلو في الضلال، ألا يكتفوا بضلالهم حتى يسعوا في إضلال غيرهم.

وقد نقل ابن تيمية في الفتاوى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله:

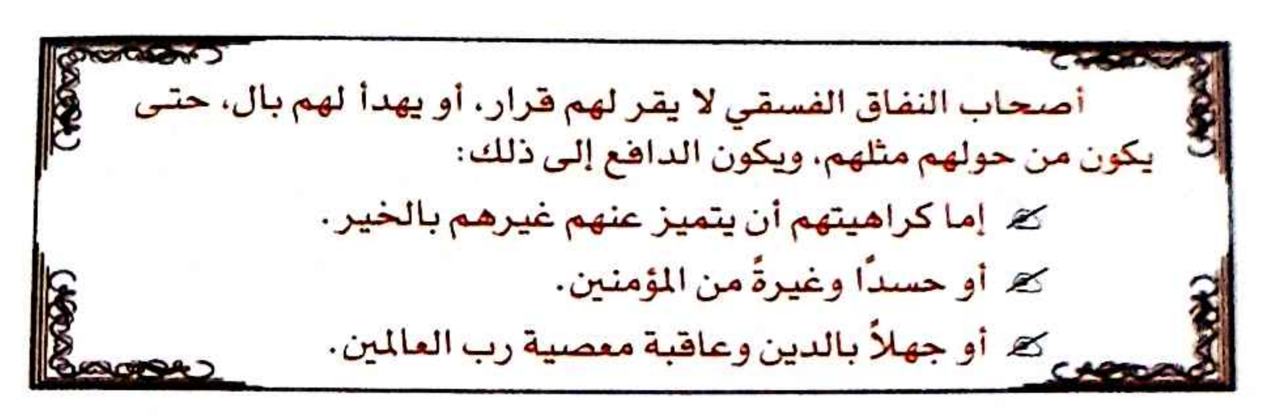
«ودَّت الزانية لو زنى النساء كلُّهن»[1].



(١) الفتاوى ٢٨/ ١٥١.







أصحاب النفاق الفسقي لا يقر لهم قرار، أو يهدأ لهم بال، حتى يكون من حولهم مثلهم، ويكون الدافع إلى ذلك:

- إما كراهيتهم أن يتميز عنهم غيرهم بالخير.
- أو حسداً وغيرةً من المؤمنين.
- أو جهلاً بالدين وعاقبة معصية رب العالمين.

وإنك لتجد منهم من يقول للراغب في الخير:

أنت على خير كثير، فلماذا التشدد؟! ولم هذا التعصب؟ أنت لا تحتاج لأن تفعل كل هذا لتفوز برضوان الله.

فيثبِّطون همم المؤمنين، ويُقعِدونهم عن فعل كثير من الخيرات.

فأين أصحاب هذا النفاق من المؤمن الذي يعين غيره على الطاعة، ويتألم لتقصيره، ويسعى في فكاكه.

واسمع معي:

كان التابعيُّ الجليل إبراهيمُ النخعيّ أعورَ العينِ، وكان تلميذه سليمان بن مهران أعمشَ العين (ضعيفَ البصرِ)، وقد روى عنهما ابن الجوزي في كتابه [المنتظم] أنهما سارا في إحدى طرقاتِ الكوفةِ يريدان الجامع، فقال إبراهيم:

يا سليمان.

قلت: لبيك.

قال: هل لك أن تأخذَ بي خلال طرقات الكوفة كي لا نمر بسفهائها، فينظرون إلى أعور وأعمش، فيغتابونا ويأثمون؟!

قلت: يا أبا عمران، وما عليك في أن نُؤجَر ويأثمون؟!

قال إبراهيم:



«يا سبحان الله! بل نَسْلَمُ ويَسْلَمون، خيرٌ من أن نؤجَر ويأثمون»[1].

ما هذه النفوس الطاهرة النقية؟!

لا تريدُ أن تَنجو بنفسها إلا أن تأخذ بيد غيرها، ولا تحب أن تحبس نهر الأجر عندها، بل تسعى لأن تفوز ويفوز من في جوارها، ورحم الله الإمام أحمد حين قال:

«ما ينفعك أن يعذِّب الله أخاك المسلم بسببك»[2].

إن المؤمن شديد الحرص على انتشال العاصي والأخذ بيده من براثن الذنب، قبل أن يُعذَّب بذنبه.

وهذا هو سبيل الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا رسول الله باتباع سنتهم، فهذا الفارق عمر سلَّم عليه رجلٌ، فردَّ عليه السلام، ثم سأل عمر الرجل: كيف أنت؟

فقال: أحمد الله إليك، فقال عمر:

«هذا الذي أردتُ منك»[3].

فتأمل معي كيف كانوا يأخذون بيد الناس إلى الخير؛ لينالوا الأجر.. «هذا الذي أردتُ منك» ..

أردتك أن تحمد الله فتؤجَر، فالمؤمن لا يكتفي بحزنه على معصية غيره، بل يعينه على نفسه وشيطانه، ويجرُّه إلى الطاعة جرًّا.



(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ٧/ ٢١.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٢.
(٣) صحيح الأدب المفرد رقم: ١١٣٢.





٨- حب إشاعة الفاحشة في المؤمنين:

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩].

نزلت هذه الآية بمناسبة ترويج المنافقين لإشاعة وهمية، وقد بيَّن الله أن دافعهم من وراء نشر هذه الإشاعة هو حبهم لإشاعة الفاحشة في المؤمنين، ومن الذي تناولته هذه الاتهامات؟!

إنها ابنة الصديق الناشئة في حجر الإسلام من أول يوم، وزوج رسول الله ﷺ، ومع هذا تُرمى في دينها وأمانتها وعفتها وشرفها، فأي تسفُّل وانحطاط بلغه هؤلاء المنافقون؛ ولذا لم يتمالك أبو بكر رضي الله عنه نفسه حتى قال:

«ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله، فيقال لنا في الإسلام!!».

والفاحشة: الزنى، وتشيع أي تفشو وتظهر، وقد توعد الله بالعذاب مجرد من أحب شيوع الفاحشة في المجتمع، فكيف بمن تولى إشاعتها وإذاعتها بنفسه؟!

وإن كانت الآية نزلت في عائشة -رضي الله عنها- إلا أن العبرة فيها بعموم اللفظ، فتتناول كل من أحب شيوع الفاحشة في المجتمع، ويستوي في هذا من تكلم بهذا حسدًا للمؤمنين أو بغضًا لهم، أو لحبه الفاحشة وتملكها من قلبه.

وشيوع أخبار الفواحش والاتهامات الباطلة في المجتمع المؤمن مفسدة أخلاقية عظيمة؛ لأن انتشار الحديث حول وقوع الفواحش في الأمة، يخفِّف وقع خبرها على الأسماع، فيتسلل إلى القلوب التهاون بها والاستخفاف بوقوعها، فلا تلبث القلوب المريضة أن تسعى لاقترافها، بعد أن أصبحت متداولة على ألسنة الناس، وزال



استقباحها من القلوب، وأصبح الناس أجرأ عليها.

وهؤلاء الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم هم الذين ييسِّرون أسباب الفاحشة، ويسهِّلون سبلها، ويرغِّبون الناس فيها، وهؤلاء ترعاهم ميزانيات هائلة وإمكانات ضخمة، ونظام عالمي أصبح كقرية واحدة تنشر سمومها وشرورها، وأدواتهم المحلية هم مُلّاك القنوات التي تبعث الشرور وتنشر الفجور، أو أصحاب صحف ومجلات تنشر صور العاريات وألوان المحرمات، وعاملون في ميدان الإعلام تأثيرهم كالسهام، فكل هؤلاء داخلون في هذا الباب.

إن هدفًا أساسيًّا للمنافقين هو تحطيم رموز المجتمع المسلم، وهزُّ ثقة أفراده في قدواته، وهل هناك أطهر وأشرف من عائشة أم المؤمنين؟! فإذا اتُّهمت بأفظع ذنب، فماذا تبقى للمسلمين من قدوات ليقتدوا بها؟!

> حين تعجز القوة المادية لأهل الباطل عن النيل من هذه الرموز، فليس أمام العدو إلا شن الحرب المعنوية لتشويهها وتحطيمها، وما فشلت فيه القوة الخشنة، فلتقم به القوة الناعمة.
>
> ولو ظلت هذه الفرية في صفوف المنافقين، لما شكّلت خطرًا، لكن تناقل أفراد المجتمع المسلم لها على غفلة منهم، جعلها تسري سريان النار في الهشيم، وحينها تشكّل خطرًا كبيرًا وتبدأ في إحداث التدمير.





صورتان متنافرتان

لكن ما موقف الصف المسلم من هذه الإشاعة؟!

هذا أيضًا اختبار من الله يختبر الله به (تقوى) عباده.

يقول الأستاذ منير الغضبان رحمه الله:

«أمامنا في حادثة الإفك صورتان متنافرتان لاتباع الهوى، والتبرؤ منه، وهما صورتان لأختين مسلمتين شقيقتين، الأولى: هي زينب بنت جحش رضي الله عنها، والثانية: لأختها حمنة بنت جحش.

فقد أورد المقريزي عن زينب هذا الحوار بينها وبين رسول الله ﷺ: قالت: (حاشا سمعي وبصري، ما علمتُ عليها إلا خيرًا).

وأن تستطيع ضرة أن تكتم هواها فلا تمضي في الإشاعة يدل على المستوى العظيم الذي بلغته هذه المرأة المسلمة والأفق العالي الذي ارتقت عليه.

وهذا ما دعا عائشة -رضي الله عنها- أن تبرئ ساحة زينب من ولوغها في هذه الفرية، تقول رضي الله عنها:

(ما كان أحد يساميني عند رسول الله ﷺ إلا زينب بنت جحش)، فقد وضعتها في موقعها الصحيح من طبيعة المنافسة مع عائشة رضي الله عنها، لكنها مع ذلك لم تجد حرجًا من الثناء عليها في هذا الموقف فقالت: (أما زينب فقد عصمها الله بدينها فلم تقل شيئًا).

أما الموقف الثاني، فهو موقف أختها حمنة التي انطلقت في الإشاعة، تنقلها من بيت إلى بيت، ولا شيء يقف في وجهها، وذلك ثأرا لأختها زينب. تقول عائشة



رضي الله عنها:

(أما أختها حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادني لأختها فهلكت)[1]..



٩- فرح المنافقين بعصيانهم لرب العالمين!

إذا سمع المنافقون أن جماعة من المسلمين وقع فيهم القتل أو الجراح فرحوا بسلامة أبدانهم، ولو كان ذلك على حساب دينهم، ثم نسبوا سلامتهم لفطنتهم وسداد رأيهم، وأنهم أخذوا الحيطة والحذر، ثم انصرفوا مسرورينَ من جهتينِ: أن أصاب المسلمين ذلك الضرر، وأنهم قد سَلِموا منه: ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ [التوبة: ٥٠].

أبُنـيَّ إنَّ مـن الرجـال بهيمـةً ... في صـورة الرجـل السميع المبصر

فطِـنٌ بكـل مصـيبةٍ في مالـه ... فـإذا أُصـيب بدينـة لم يشـعر

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية ٣/ ٨-٩ بتصرف يسير – ط مكتبة المنار بالأردن.

فلا يشعر المنافق بمصيبة الدين، وهذه من علامات موت القلب: أن يفرح العبد بالذنب ولا يندم على المعصية، وهذا من أخطر آثار الذنوب أن تُميت القلوب، فلا يعود صاحبها يشعر بمصيبة الدين؛ لأن قلبه قد مات.

وقد قال الله تعالى: ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ ليس في من جاهد بل في من لم يجاهد، وليس في من مات في سبيل الله، بل لمن عاش في جوار الشيطان.

وبدلًا من فرح المنافق بعصيانه، يكون حزن المؤمن على عصيانه، وهذا الحزن يتناسب مع مقدار الإيمان، فكلما زاد الإيمان زاد الحزن على العصيان، وحزن المؤمن إيجابي، وندمه عملي، فيدفعه إلى عمل صالح حديث، فيمحو به العملَ السيئ القديم، فتزول الذنوب وتطهُر القلوب.

ومن أمثال هؤلاء المؤمنين: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، فما القصة؟!

قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «**إني قد عرفت أن ناسًا من بني هاشم وغيرهم، قد أُخرِجوا كُرْهًا لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرِج مُستكْرَهًا**»، فقال أبو حذيفة بن عتبة:

أَنُقتَل آباؤنا وإخواننا وعشائرنا، ويُترَك العباس؟ والله لئن لقيتُه لألجمنَّه بالسيف، فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب:

«يا أبا حفص - قال عمر رضي الله عنه : وإنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ-: «أيُضرَب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟»، فقال عمر:

يا رسول الله..ائذن لي فأضرب عنقه، فوالله لقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول:

«والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت، ولا أزال منها خائفًا إلا أن يكفِّرها الله تعالى عني بشيء»، فقُتِل يوم اليمامة شهيدًا[1].

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٤٠ – ط دار الكتب العلمية





١٠- كثـــــرة الحلف:

في سورة التوبة وحدها نسب الله الحلِف للمنافقين سبع مرات، فهم يحلفون لستر أحوالهم، وخوفًا من الفضيحة، ويترسون من بطش المؤمنين بالحلِف الكاذب، وهو يمين غموس يغمسهم في النار، لكنهم لنفاقهم لا يخشون نارًا ولا عقابًا، بل خوفهم من المؤمنين أكبر من خوفهم من رب العالمين، وهذا علامة الجهل المبين، وكثرة إيراد الله لحلف المنافقين في القرآن مقصودها صرف المؤمن عن تصديق كلامهم إلى تأمل أفعالهم.

قال ابن القيم:

«تسبق يمين أحدهم كلامَه من غير أن يُعتَرض عليه؛ لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به، وكشف ما لديه، وكذلك أهل الريبة يكذبون ويحلفون؛ ليحسب السامع أنهم صادقون: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾ [المنافقون:٢] »[١].

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٦١ – دار الكتاب العربي.

ومثال هذه اليمين الكاذبة التي اتقى بها المنافقون عقوبة المؤمنين ما حكاه الله عنهم:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة:٦٢].

فما مناسبة هذه الآية؟!

قال قتادة والسُّدِّيُّ:

«اجْتَمَع ناسٌ مِنَ المنافقين فيهم الجُلاسُ بن سُوَيْد، ووَديعة بن ثابِت، فوقعوا في النبي ﷺ، وقالوا: إنْ كان ما يقول مُحَمَّدٌ حقًّا فنحن شَرٌّ مِنَ الحمير، وكان عندهم غُلَامٌ من الأنصار يُقالُ له عامر بن قيس، فحقَّروه وقالوا هذه المقالة، فَغَضِب الغلام وقال: والله إنَّ ما يقول مُحَمَّدٌ حقٌّ، وأنتم شَرٌّ مِنَ الحمير، ثُمَّ أَتى النَّبي ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ، فحلفوا أنَّ عامِرًا كَذَّاب، وحلَف عامر أَنَّهُم كذَبَة، فَصَدَّقَهُم النَّبيُّ ﷺ، فجعل عامِرٌ يدعو ويقول: اللَّهُمَّ صَدِّقِ الصَّادقَ وكَذِّب الكاذِب، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[1].

وإن الله تعالى نهى عن الجُرأة عليه بكثرة الحَلِف به؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وأمر سبحانه بالتقليل من الأيمان، فقال: ﴿وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، أي لا تحلفوا ما وجدتم إلى ذلك سبيلاً، والحكمة من الأمر بتقليل الأَيْمانِ؛ (أن من حَلَف في كُلِّ قليلٍ وكثيرٍ بالله، انْطَلق لسانه بذلك، ولا يبقى لليمين في قَلْبِه وقْعٌ، فلا يُؤْمَنُ إقْدَامه على الأَيْمان الكاذبة، فيخْتَلُّ ما هو الغَرَضُ من اليمين.

وأيضًا كُلَّما كان الإنسان أكثر تعظيمًا لله تعالى، كان أكمل في العبودية، ومن كمال

(١) الدر المنثور: ٤ / ٢٢٨، أسباب النزول ص: (٢٨٧)، الطبري: ١٤ / ٣٢٩.



التَّعظيم أن يكون ذكر الله تعالى أَجَلَّ وأعلى عنده، من أن يَسْتشْهِد به في غرضٍ من الأغراض الدنيوية)[١].

ولذا كان الصالحون يجتنبون الحلِف بالله ما استطاعوا، فكان الإمام الشافعي يقول:

«ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا قط»[٢].



١١- موالاة الكافرين على حساب المؤمنين:

الموالاة عمل من أعمال القلوب، لكن لي هنا وقفة:

ما هي خطورة عمل القلب؟!

كثيرٌ من المسلمين اليوم يهتم بعمل الجوارح على حساب عمل القلب، فتجد صاحب شعائر تعبدية من صلاة وصيام وحج، لكن مع كبائر قلبية مهلكة.

وهذه أمثلة:

- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ٦/ ٤٢٥ - ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٢٤.



والركون هنا هو المودة أو الرضا بأعمال الظالمين، والمودة أو الرضا من (عمل القلب).

- قال رسول الله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**».

قيل: هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال:

«**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**».

والحرص هنا هو من (عمل القلب).

- قال النبي ﷺ: «**المرء مع من أحب**»، أي يُحشَر المرء يوم القيامة مع من أحب، وهذا الحب من (عمل القلب).

- وقال ﷺ : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر**»، **وهذه الذرة من الكِبر هي من** (عمل القلب).

وهي كما ترى أعمال عظيمة القدر والخطر، تنقذ صاحبها أو تهلكه.

ومن هذه الأعمال القلبية: الموالاة، وفي الحديث:

«**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[1].



الموالاة من أبرز أعمال المنافقين

قال تعالى في شأن المنافقين في سورة الحشر:

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحشر:١١].

والذين نافقوا هنا هم فريق من المنافقين وقد بعثوا إلى اليهود من بني النضير

(١) صحيح: رواه أبو داود والضياء عن أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٦٥، والصحيحة: ٣٨٠.

حين حاصر المسلمون بني النضير يقولون لهم:

اثبتوا في معاقلكم، فإنا معكم مهما تقلبت أحوالكم، ولو خرجتم من دياركم لخرجنا معكم، وإن قاتلكم المسلمون لنقاتلنهم معكم، ولا نطيع في عدم نصرتكم من يخوِّفُنا ويلومنا في ذلك.

وإنما أرادوا بذلك أن تقوى نفوس اليهود في مواجهة النبي ﷺ، وكانوا كاذبين فيما قالوا؛ ولذلك لم يخرجوا حين أُخرِج بنو النضير، بل قعدوا في ديارهم.

وفي قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إشارة إلى طبيعة العلاقة التي تربط الطائفتين، ورابطة الأخوة الوثيقة التي تجمع المنافقين بالكافرين، و﴿يَقُولُونَ﴾ جملة حالية جاءت بصيغة المضارع، لتمثل الحال التي عليها هؤلاء المنافقون وكل المنافقين على مرِّ العصور والأزمان، وهي حال متعلقة بموالاة الكافرين على حساب المؤمنين.

لكن الله عاقب المنافقين على هذه الموالاة الفاجرة بالعذاب الأليم، فقال سبحانه:

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

فبعد تقرير عذاب المنافقين نصَّت الآية على أشد صفاتِ المنافِقين ضررًا وبشاعة، والتي استحقوا بها هذا العذاب، وهي موالاتهم الكافرين على حساب المؤمنين، ونبَّه على خطورة ذلك ليدعه من وقع فيه من المُؤْمنين عن غفلة، أو جهالة أو عمالة، فليس لأحد بعدها عذر في أن يوالي الكافرين.

﴿يَتَّخِذُونَ﴾ هكذا بِصيغة المضارع التي تفيد الاستمرارية والعادة، فليست مرة أو مرتين، فالمنافقون على الدوام يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين.



وقد قال الله في آية أخرى عن المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد:٢٦].

فهؤلاء المنافقون في كل عصر يتآمرون مع أعدى أعداء الأمة، ويتواصلون معهم سرًّا، فقالوا للذين كرهوا ما نزل الله من الهدى -وهم اليهود-: سنطيعكم في بعض أموركم، وعلى رأسها عداوة النبي ﷺ.

وهذا الآيات وإن كانت نزلت في المنافقين، لكنها تدعو المؤمنين إلى سلوك الطريق المضاد للمنافقين، فما هو الطريق المضاد هنا للمنافقين؟ ما الطريق المضاد لموالاة الكافرين.

يجيب شيخ المفسرين ابن كثير فيقول:

«والمقصود من هذا: التهييج على طلب العزة من جانب الله تعالى، والإقبال على عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النصرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»[(١)].

يفاجئك اليوم أصحاب شعائر تعبدية ظاهرة من صلاة وزكاة وحج، لكن يهلكون أنفسهم بموالاة الكافرين أو موالاة الظالمين، وإيثار ذلك على موالاة المؤمنين والمصلحين، وهو ما يدل على شدة الجهل بأولويات الأعمال أو فقه مراتب الأعمال في الإسلام، فإن أعمال القلوب كما مرَّ بك مهلكة أو منجية، وحين يغيب هذا المعنى عن أفراد الأمة أو قادتها تنهار، وتتلقى الهزائم.

ومنه الهزيمة الأكبر في حياة أمتنا اليوم، وهي هزيمة فلسطين! فإن ضياع فلسطين كان من أسبابه:

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٣٥ .







عدم موالاة المؤمنين وموالاة الكافرين

جلوب باشا (١٨٩٧ - ١٩٨٦م) ضابط بريطاني، عمل في الجيش البريطاني في العراق عام ١٩٢٠م، ثم استقال من الجيش البريطاني عام ١٩٢٦م، وعينته الحكومة الأردنية في الجيش الأردني وظل يترقى في مناصبه إلى أن أُختير رئيسًا لأركان الجيش الأردني عام ١٩٣٩م، وكان جلوب يدَّعي دائمًا أنه ترك ولاءه لبريطانيا، وأنه موالٍ ومخلص للقضايا العربية، إلى أن افتضح أمره في حرب ١٩٤٨م بين العرب وإسرائيل.

ومن العجيب والمخزي أن جُعِلت قيادة الجيوش العربية مجتمعة في يده! وتم اتهامه بمساعدة لليهود في قيام دولتهم؛ حيث قام بتغيير مفاجئ لخطة الجيوش العربية مما فاجأ كل قادة الجيوش، وهو ما ظهر باديًا في إصراره على الموافقة على الهدنة الأولى التي تسببت في تقوية جبهة اليهود وإضعاف الجبهتين الأردنية والمصرية؛ مما أدى لخسارة الحرب، وقيام دولة إسرائيل.

وعن هذا التغير في الخطة يقول اللواء الركن محمود شيت الخطاب:

(كان التغير مقصودًا، والذي أراده كلوب باشا من وراء ذلك زج الجيوش العربية في مأزق حرج، وذلك عن طريق كشف أجنحتها لقوات العدو؛ ما يترتب على ذلك شل حركتها وقتل فعاليتها العربية.

ولو نفذت الخطة الأصلية التي وضعها العسكريون العرب والتي تهدف إلى شطر فلسطين إلى قسمين، لكان من الممكن أن تأتي بفوائد إيجابية لأنها ستؤدي إلى تشتيت القوات اليهودية، وتحول دون الاتصال بينها).

هذا نموذج لموالاة العدو ظاهر مما أدى لخسارة فلسطين، ولو كان الوعي



حاضرًا، والأمة تفهم أمر دينها، ولو كانت تعرف عدوها من صديقها، لما وقعت لها هذه الهزائم، ومنها هزيمة فلسطين، فحين تغيب أنوار الوحي نتخبط في ظلمات الحياة، وحين يحضر الوحي بقوة بين أظهرنا حاضرًا في أفعالنا وأحوالنا، ترجع الأمة إلى عزها ومجدها، وهو كائن عن قريب بإذن الله.



التبرؤ من موالاة الخائنين!

وعلى النقيض من هذا تكون البراءة من أعداء الله، ولو كانوا من أقرب الأقربين، واسمعوا أروع الأمثلة في هذا:

الإمام أحمد ساموري توري ، وهو من الزعماء الأفارقة المسلمين الذين لعبوا دورًا مهمًا في غرب القارة الإفريقية قبل الاستعمار وبعده، واستمر في محاربة الغزاة الاستعباديين عقدين من الزمان، ودفع الاحتلال الفرنسي ثمنًا غاليًا بسبب مقاومته الباسلة، (ورأى المعتدون أن القتال وحده لا يفضي إلى نصر سريع، فأعملوا الحيلة حتى اختطفوا نجل الإمام ليفتوا بذلك في عضد أبيه، ولكنه قال لمن ساوموه على افتدائه: إن ولدي لن يزيد عن مسلم عادي كهؤلاء الذين تحصدون أرواحهم دون حياء، فإذا كنتم تتوهمون أن اعتقاله سينهي الحرب فقد أسأتم التقدير، ثم واصل جهاده مستميتًا في الكفاح، ويئس الفرنسيون من النصر السريع فاحتالوا ثانية على اكتسابه، وعمدوا إلى النجل الأسير فاستمالوه بلذائذ النعيم وطرائف الرفاهية، وبعثوا به إلى باريس ليرى البهجة والنضارة، واللذة والعربدة، فينتشي بما زين الشيطان من إثم، ويستكين لما أبدع الباطل من خداع، حتى إذا قطع الشوط إلى نهايته، ساوموه على مخالفة أبيه، والعمل على إنهاء الحرب ليصبح الوالد ملكًا مشمولًا بالحماية الأجنبية، ثم ليكون الابن من بعده ولي العهد وحليف الاستعمار،

ورجع الشاب المغرور متحمسًا للخيانة النكراء، وبدأ بالسعي إلى استمالة الضعفاء لوجهته، فأدرك الإمام حقيقة ما كان، والتهبت في صدره عاطفتان قويتان: عاطفة الأبوة ذات الحنان والسماح، وعاطفة الإسلام ذات القمع للباطل والانتقام للحق، فآثر دينه ووطنه، ثم حكم على ابنه بالإعدام السريع جزاء خيانته ومروقه، وبادر فأوقع الجزاء على رؤوس الاشهاد في ثقة وإيمان)[1].





١٢- التماس عيوب المؤمنين:

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة:٧٩].

فما معنى اللمز؟!

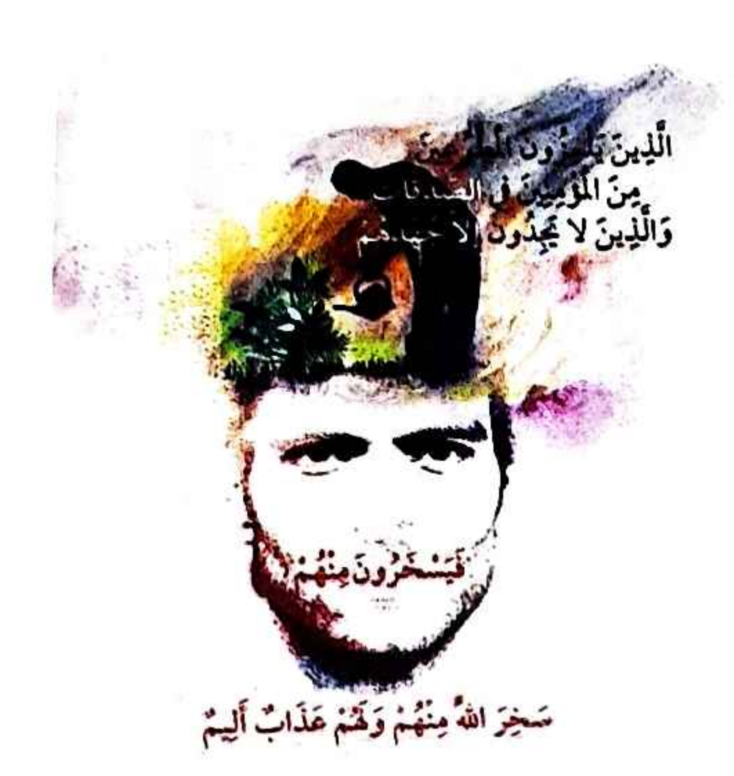
«اللمز: العيب والوقوع في الناس، وقيل: اللمز هو العيب في الوجه، والهمز:

---

(١) مقال الإسلام فوق كل اعتبار، نشر في مجلة الأزهر ٢/ ٣٣- سنة ١٣٨١ هـ نقلاً عن كتاب الثبات للشريف ص ٢٥-٢٦- ط دار الأندلس الجديدة.



العيب بالغيب»[1].



وقولـه تعـالى: ﴿يَلۡمِزُونَ﴾ بصيغة المضارع، يدل على الاستمرارية والاعتياد من هؤلاء المنافقين، وأن اللمز أصبح ديدنًا وسلوكًا معتادًا عند هؤلاء، وليس فعل مرة أو مرتين، فكأنهم يتلذذون به ويفرحون.

وأتفهم أن يعيب الرجل من يرى فيه عيبًا واضحًا أو تقصيرًا ظاهرًا.

أما أن يعيب المرءَ لأنه قدَّم طاعة وصنع معروفًا، فهذا هو العجب العُجاب!

فهؤلاء المنافقون لديهم قدرة عجيبة على تحويل أعظم إنجازات المؤمنين إلى مادة للتندر والسخرية!

قال مجاهد في سبب نزولها:

«كان لعبد الرحمن بن عوف، ثمانية آلاف دينار، فجاء بأربعة آلاف دينار صدقة.

وجاء رجل من الأنصار بصاع تمر نزَع عليه ليلَه كُلَّه، فلما أصبح جاء به إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء، وقال الآخر: إن الله لغنيٌّ عن صاعِ هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩] عبد الرحمن بن عوف، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

(١) لسان العرب ٥/ ٤٠٧.





﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] صاحب الصاع»[١].

وهذا السلوك يُبرِز دور المنافقين في محاربة النجاح، والاستهزاء والسخرية من المؤمنين، ولن يجدوا أنسب من غزوة تبوك لإطلاق حملتهم هذه، فكيف سيواجه هؤلاء الفقراء الضعفاء جحافل أقوى دولة في الدنيا، ويقابلونها بجيش قائم في تجهيزه على التبرعات، ويحتاج لنصف صاع وحبة تمر! وهذه هي حسابات المنافقين المادية التي ينقصها الإيمان بالله، وتفتقد إلى الثقة بالنفس وقدراتها.

وإن من صفات المنافقين ألا يسلم من ذمِّهم ولمزهم أحدٌ، فلا المتصدِّقون سلموا، ولا الممسكون، لا المكثرون ولا المُقلّون، يتهمون المؤمنين في نياتَهم، فكل مؤمن عندهم مراءٍ، ولا يفعلَ ما يفعل من الخير ابتغاء وجه الله، بل هدفه الشهرة والسمعة.

ومنظار الشك واتهام النوايا فضلاً عن أنه غير موضوعي، فهو ضد ما أمر الله به من الحكم على الظاهر، والله يتولى السرائر، وهي صفة تعبِّر عن امتلاء نفوسهم المريضة بهذا الداء، فالمرء يطلب عيب غيره بمقدار تشرُّب قلبه بهذا العيب، قال عون بن عبد الله:

«ما أحسب أحدًا تفرَّغ لعيب الناس إلا من غفلة غفَلها عن نفسه»[٢].

ونفس الرأي قاله محمد بن سيرين:

«كنا نحدَّث أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر خطايا الناس»[٣].

لسان حال المنافقين ما قاله ابن زنجي البغدادي:

يمشون في الناس يبغون العيوب لمن ... لا عيب فيه لكي يُستَشرفَ العَطَبُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٠ .

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٢٩٤.

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا ١/ ١٠٤.

إن يعلموا الخير يخفوه، وإن علِموا شرًّا أذاعوا، وإن لم يعلموا كذَبوا

فهم كالذباب لا يقع إلا على الجرح، ووجه التشابه بينهم وبين الذباب واضح ظاهر:

يَدَعُ الذُّبابُ جميعَ جسمك سالِمًا وتَراهُ لا يأوي لِغير جريحه

كالنَذلِ يَعدِل عن جميل صديقهِ وتراه لا يأتي لِغيرِ قَبيحه

وهذا فارق أساسي بين المؤمن والمنافق، فقد قال عبد الله بن المبارك:

«المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات»[1].

أين هؤلاء المنافقون من صفوة المؤمنين، الذين يرى أحدهم العيب في غيره، فيغض الطرف عنه، ويستر عيب أخيه؟!

دُعِيَ عثمان بن عفان ﷺ إلى قوم اجتمعوا على ريبة لهم، فانطلق ليأخذهم، فتفرَّقوا قبل أن يبلغهم، فأعتق رقبة شكرًا ألا يكون جرى على يديه خزي مسلم[2].

هذه نفسية المؤمن.. يحب لغيره الستر لا الفضيحة، والصواب لا الخطأ.

قال ميمون بن مهران: «ما بلغني عن أخٍ لي مكروهٌ - قطُّ - إلا كان إسقاطُ المكروه عنه أحبَّ إلي من تحقيقه عليه، فإن قال: (لم أقل)؛ كان قوله: (لم أقل) أحبَّ إلي من ثمانية يشهدون عليه»[3].



(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ١٣٢ – ط دار الكتب العلمية.
(٢) الشكر لابن أبي الدنيا ١/ ٤٣ – ط المكتب الإسلامي – الكويت.
(٣) تاريخ الرِّقَّة ص ٢٥.



١٣- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة:٦٧].

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ ، يعني: أنَّ دينهم واحدٌ وطريقتهم واحدة.

فإن قيل: لم قال الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾، وقال في وصف المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾؟!

أجيب بأن المنافقين من جنس واحد، فلهم نفس الطبيعة ونفس العادات ونفس الهوى، وهو ما يُسمَّى بنفاق الاتباع، أي يقلِّد بعضهم بعضًا، جيلاً بعد جيل؛ فلذا قال الله فيهم: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾.

لكن لا يوالي بعضهم بعضًا على الدوام، فإن المنافق قد يتخلى عن المنافق إذا وجد في ولايته خسارة أو ضررًا، فإن الولاية من الوَلْي، وهو القرب والنصرة، وهذه الولاية لا تكون بين المنافقين.

وأما توافق المؤمنين فليس بمقتضى الطبع والعادة والاتباع، بل بسبب اشتراكهم في التوفيق والهداية الربانية، فلذا وصَفَهم الله بأنَّ بعضهم أولياء بعض، وهي ولاية مودة ونصرة لا ولاية مصلحة كما في شأن المنافقين، وهي صفة ثابتة فيهم، فالمؤمنون الصادقون لا يتخلون عن ولاية ونصرة إخوانهم مهما كلَّفهم ذلك.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾:

ودعنا نتتبع رحلة القلب التي أوصلته لهذه الهوة السحيقة، وهي الأمر بالمنكر!

إن أصل الفطرة أن تنهى صاحبها عن المنكر، لكن هذا القلب تعرض لاهتزازات وتراجعات، فقد بدأ حيًّا، ثم مرض بتتابع ذنوبه وعدم توبته، ثم طال عليه أمد المرض حتى قسا ومات!

وقد سأل حذيفة ﷺ عن ميِّت الأحياء، فقال:

«الذي لا يُنكِر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه»[1].

فالميت في الحقيقة هو ميت القلب، ولكن المنافق تعدى مرحلة الموت في السوء والانهيار، فهو ليس فقط ميت القلب، بل يسعى في موت قلوب الآخرين، ولا يكفيه وقوعه في المنكر ودعوته إليه بلسان الحال، بل يتحرك في الأمر بالمنكر، ويحرِّض عليه، ويزيِّن لغيره تعاطيه والوقوع فيه.

يتمنى المنافق أن تشيع الفاحشة في المؤمنين، وأن ينتشر التبرج تحت شعار تحرير المرأة من التقاليد الموروثة عبر السنين، وأن تسود الخلاعة والتفاهة والشهوات عبر مجلات وبرامج وصفحات ومقالات، وكل هذا داخلٌ تحت باب الأمر بالمنكر.

ومع هذا .. لا يكتفي المنافق بالأمر بالمنكر، بل يتجاوز الحد في الانهيار، فيقوم ومن معه من المنافقين بعمل آخر خطير:

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾:

ومعلوم أن من دعا إلى منكر، فقد نهى - ضمنًا- عن معروف، لكن المنافق مع دعوته إلى المنكر، يقوم بدعوة أخرى، وهي النهي عن المعروف وتشويهه، وتبغيض الناس في الحلال، وتزهيدهم في الخير، وذلك إن لم يلمس من الناس استجابة

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣١١.



لدعوته الفجَّة إلى المكرات.

وحسبه فى هذا أن يصرف وجوه الناس عن أهل الخير، وهو يفعل هذا لأنه يعلم أن الإنسان اجتماعي بطبعه، ولا بد له من جماعة يسير في ركابها؛ ولذا يبذل المنافق قصارى جهده كي لا يقترب الناس من الصالحين، فإن تمَّ له ذلك، فقد كسب جولة من جولات إضلال غيره، وذلك عبر عزله عن الصالحين الذين يفعلون المعروف ويشجِّعون عليه، وينتهون عن المنكر وينهون عنه.



قوتا المجتمع وكفتاه!

كل مجتمع تتنازعه اليوم قوتان: قوة المؤمنين وقوة المنافقين، فالمؤمنون والمؤمنات ذكورًا وإناثًا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والمنافقون والمنافقات ذكورًا وإناثًا يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، والصراع بين الفريقين مستمر ومستعر، والمجتمع يميل مع من غلبت كفته منهما.

> ذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
> «توشك القرى أن تخرب وهي عامرة.
> قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟
> قال: إذا علا فُجّارُها أبرارَها، وساد القبيلةَ منافقُها»[1].

فإذا رأيتَ المنافق يشار إليه بالبنان، والمؤمن يتوارى عن الأنظار، فاعلم أنها علامة الدمار وخراب الديار.

والتقابل بين فريقي المؤمنين والمنافقين واضح في آيات سورة التوبة، فقال الله

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات رقم: ٤٤.



عن المنافقين:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال بعدها عن المؤمنين:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]

وهذا التقابل ثابت كذلك في الأحاديث، فعن رجل من خثعم قال:

«أتيتُ النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت:

أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟

قال: **نعم**.

قال: قلتُ يا رسول الله .. أي الأعمال أحب إلى الله؟

قال: **الإيمان بالله**.

قلت: يا رسول الله..ثم مه.

قال: **ثم صلة الرَّحِم**.

قلت: يا رسول الله..ثم مه.

قال: **ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**.

قلت: يا رسول الله .. أي الأعمال أبغض إلى الله؟!

قال: **الإشراك بالله**.

قال: يا رسول الله، ثم مه.

قال: **ثم قطيعة الرحم**.

قال: يا رسول الله، ثم مه؟!

قال: **ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**»[1].

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى بإسناد جيد كما في صحيح الترغيب رقم: ٢٥٢٢.

فكما ترى في الحديث:

أحب الأعمال إلى الله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي مقابل هذا:

أبغض الأعمال إلى الله: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

وإن النطق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفوراق الأساسية بين المؤمن والمنافق، ومن فساد الزمان أن يتمادح الناس بالتخارس عن الحق والسكوت عن الباطل،

ويعتبرون هذا النطق (فضولاً)،

وعدوانًا على (الحرية الشخصية).

وهي شنشنة قديمة، واسمعوا كيف تنبَّأ الإمام أحمد بن حنبل بهذا الزمان:

قال عمر بن صالح: «قال لي أبو عبد الله:

يا أبا حفص، يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يُشارُ إليه بالأصابع.

فقلتُ: يا أبا عبد الله .. وكيف يُشارُ إلى المنافق بالأصابع؟!

فقال: يا أبا حفص، صيَّروا أمر الله فضولاً.

المؤمن إذا رأى أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى، يعني قالوا: هذا فضول.

والمنافق كل شيء يراه، قال بيده على فمه، فقالوا: نِعْم الرجل، ليس بينه وبين الفضول عمل»(١).

(نِعْمَ الرجل) عند أكثر الناس هو من يقابل انحرافهم بالتجاهل والسكوت،

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر الخلال ص ٣٦ - ط دار الكتب العلمية.

وبئس الرجل من يأمرهم وينهاهم، وهو متَّهم عندهم بالتطفل والفضول، فهل تحققت نبوءة الإمام أحمد؟!

وللتهجم على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر صور كثيرة، منها ما جاء في الحديث:

«وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتقِ الله، فيقول: عليكَ بنفسك»[1].

وانظر حولك!

كم منا من يقول اليوم لمن يأمره وينهاه: «عليكَ بنفسك».



تضييع فرض على حساب نافلة!

إن كثيرًا من المسلمين اليوم يصوم تطوعًا ويكرر الحج كل عام ويتلو الكثير من القرآن، ولكنه لا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يغار على محارم الله إن انتُهِكَت، فهذا العبد قد أتى نافلة وفرَّط في فريضة!

لكن لماذا يكتفي الناس اليوم بالصلاح ويتقاعسون عن الإصلاح؟!

والجواب: لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينفر منه أكثر الناس، والناس يحبون أهل الصلاح، لكن ينفرون من أهل الإصلاح، ولما كان صالحٌ عليه السلام صالحًا كان محبوبًا في قومه، فلما أمرهم ونهاهم انقلبوا عليه وقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢].

ومن هنا قال سفيان الثوري:

إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون، فهو رجل سوء.

---

(١) صحيح: رواه البيهي والنسائي كما في السلسلة الصحيحة عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، ورُوِي موقوفًا عليه.



قالوا لسفيان: كيف ذاك؟

قال: «يراهم يعملون بالمعاصي فلا يغيِّر عليهم، ويلقاهم بوجه طلق»(١).

أما المؤمن ففيه قوة إيمان هائلة تحرِّكه لينتشل الناس من براثن المنكر الذي وقعوا فيه، ويحترق قلبه كمدًا على أبناء قومه الغافلين، فيسعى في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مهما كلَّفه ذلك، وهو مثل زُهَيْر بن نعيم الباني حين قال:

«لوددت أن جسدي قُرِض بالمقاريض، وأن هذا الخلق أطاع الله»(٢).

ومثله وشبيهه في إحساسه وسلوكه هذا: سفيان الثوري، فقد قال رحمه الله:

«إني لأرى الشيء يجب أن أتكلم فيه، فلا أفعل فأبول دمًا»(٣).

عمر بن الخطاب ﷺ بعد أنْ طُعِن وسال دمه، يرى شابًّا أمامه يجُرُّ إزاره، فقال له عمر ﷺ:

«يا ابن أخي.. ارْفَعْ إزارك، فإنه أتقى لربِّك، وأنْقى لثوبك».

يأمر بالمعروفِ وينهى عن المنكر في سكراتِ الموت! ولذا كان عبد الله بن مسعود -وهو من روى الخبر- يقول:

«يا عجبًا لعُمَر.. أن رأى حق الله عليه، فلم يمنعه ما هو فيه أن يتكلم به»(٤).



(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٠.
(٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٢٩.
(٣) سير النبلاء ٧/ ٢٤٣.
(٤) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٥-١٦٦- مكتبة الرشد - الرياض.





١٤- الشك في وعد الله!

أمراض القلوب وخبايا الصدور لا تظهر إلا عند الشدائد والمحن، والأزمات وحدها هي التي تُخرِج خبَث المنافقين، وكان هذا واضحًا في قوله تعالى على لسان المنافقين:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢]..

قال قتادة:

«قال المنافقون يوم الأحزاب حين رأوا الأحزاب قد اكتنفوهم من كل جانب، فكانوا في شك وريبة من أمر الله. قالوا: إن محمدًا كان يعدنا فتح فارس والروم وقد حُصِرْنا ها هنا حتى ما يستطيع يبرز أحدنا لحاجته، فأنزل الله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾»[1].

خلق الله المحن لتستنطق ألسنة الخلق، فالمؤمنون ينجحون في الامتحان بقولهم: ﴿ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾، والمنافقون يسقطون بعد أن يخرج الله ما في قلوبهم على ألسنتهم: ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾.

وجد المنافقون في هذا الكرب المزلزل فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم وهم آمنون من اللوم والعتاب، واهتبلوها فرصة لتوهين المؤمنين وتخذيلهم وبث الشك والريبة في وعد الله ورسوله، وهم مطمئنون أن لن يؤاخذهم أحد بما يقولون، فالواقع يصدِّق ما ذهبوا إليه، والهول أزاح عنهم الستر الرقيق من التجمل، وروَّع نفوسهم ترويعًا لا يثبت له إيمانهم المهلهل! فجهروا بحقيقة ما يشعرون به دون

---

(١) الدر ٦/ ٥٨٠.



تزيين أو تمثيل! وأمثال هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة ومجتمع، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم هؤلاء، فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان!

أين هؤلاء من يقين ربعي بن عامر؟!

دخل ربعي بن عامر على رستم، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتك، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال:



الله.. ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نُفضِي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟



قال: «الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي»[1].



١٥- رد حكم الله ورسوله:

وذلك راجع لأمرين:

الأول: الانتقائية:

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٨-٤٩].

ذكر المفسرون أن أحد المنافقين واسمه بِشْر تخاصم إلى النبي ﷺ مع يهودي، فلما حكم النبي ﷺ لليهودي لم يَرْضَ بِشْرٌ بحكمه، ودعاه إلى التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي، فأبى اليهودي، وذهبا إلى عمر بن الخطاب، فقصا عليه القضية، فلما علم عمر أن بِشْرًا لم يَرْضَ بحكم النبي ﷺ قال لهما: مكانكما حتى آتيكما.

ودخل بيته فأخرج سيفه وضرب بشرًا بالسيف فقتله.

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٤٠ - ط دار الفكر.

فرُوِي أن النبي ﷺ لقَّب عمر يومئذٍ الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل.

وفي رواية أخرى لسبب النزول:

قيل: إن أحد المنافقين اسمه المغيرة بن وائل تخاصم مع علي بن أبي طالب في أرض اقتسماها، ثم كره القِسْم الذي أخذه، فرام نقض القسمة، وأبى عليٌّ نقضها، ودعاه إلى التحاكم للنبي ﷺ، فقال المغيرة: أما محمد فلست آتيه لأنه يبغضني، وأنا أخاف أن يحيف عليَّ، فنزلت هذه الآية[1].

تشير الآيات إلى أن بعض الناس لا يقبلون الحق لأنه حق، لكن يقبله فقط إن وافق هواهم ومصالحهم الدنيوية: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور:٤٩].

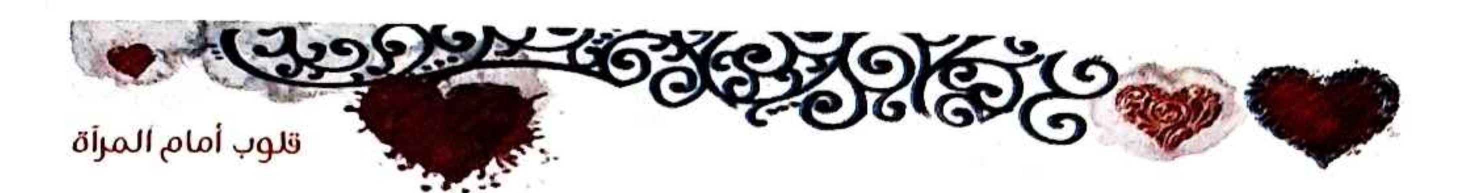
وهذا شأن المنافق، فهو صاحب مصلحة، وتغلب عليه الأنانية؛ لذا يحرص على تطويع نصوص الشرع لصالحه، ويستخدمها في تحقيق مآربه، فيتتبع الرخص والفتاوى الشاذة وزلات العلماء، ويذهب لمن يعلم أنه سيفتيه بالحِلِّ لا الحرمة.

وأما إذا كان حكم الشرع في غير صالحه فلا يقبل به، والذي يرفض الانقياد لحكم الله لا يخلو من أحوال ثلاثة: في قلبه مرض، أو ريب، أو خوف من أن يحيف الله عليه ورسوله: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [النور:٥٠]، وكل واحد من هذه الثلاثة كارثة إيمانية مستقلة.

وسبب ردهم لحكم الله معلوم، فاللص لا يريد قطع اليد، ومرتكب الفواحش لا يريد أن يُرجَم أو يجلد، فلما كانوا فاسدين خافوا عاقبة فسادهم، فردّوا أمر الله وحكمه.

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٦٩.



الثاني: عزل الدين عن الحياة:

واللون الثاني لرد حكم الله هو فصل دين الله عن حياة الناس، وحصره في دائرة الشعائر، فلا يضر المنافقين اليوم أن تمتلئ المساجد بالمصلين، ولا أن يكثر حُفَّاظ القرآن بين المسلمين، ولا عدد اللواتي يرتدين الحجاب، ما دام الدين محاصرًا في المسجد، ولا يتجاوز دائرة العبادات إلى ساحة المعاملات، ولا يتعدَّى الشعائر إلى المشاعر، والظاهر إلى الباطن.

> والمنافقون حريصون على ألا تتحول تعاليم الإسلام إلى تشريعات تحكم حياة الناس، وقوانين تسوس أمورهم وشؤونهم، وألا يُمكَّن الدين من أن (يحكم) (الواقع) الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، بزعم أن الدين دوره أن ينظِّم علاقة المرء بربه فحسب، وهذا الفصل بين الدين والحياة قديم جديد.

لكن .. لماذا قديم جديد؟!

لأن سبب نشأة النفاق في المدينة هو رفض عبد الله بن أبي ابن سلول وأتباعه لسلطة الرسول الدنيوية، فقد كان أهل المدينة قد اصطلحوا على أن يتوِّجوا ابن سلول عليهم ملكًا، وكانوا يجمعون له الخرز ليرصِّعوا به التاج على رأسه، فلما وصل رسول الله ﷺ المدينة انصرف الناس إليه، وأعرضوا عن ابن سلول، فكان ابن سلول يرى أن النبي ﷺ سلبه مُلكَه.

وأما السلطة الدينية، فما كان ابن سلول ومن معه يمانعون في القبول بها، أي أن يبقى محمد ﷺ مجرد سلطة روحية تصل الناس بربهم، دون أن يحكم الدين على أموالهم وشؤون حياتهم.

لما جاء بنو شيبان بن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ، قال قائلهم:

وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك



ونصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ:

«ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق،

وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه»[١].

رفض النبي ﷺ هذا العرض المغري بأن تدافع عنه بنو شيبان ضد العرب دون فارس؛ وردَّهم بقوله: «وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه»، أي: من أخذه كاملاً، فليس مقبولاً عند الله لمؤمن أن يقسم دينه نصفين، فيعمل بنصف، ويترك نصفه الآخر: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥].



رد أمر رسول الله

عن أبي سعيد بن المُعَلّى قال:

مرَّ بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت، فقال: «ما منعك أن تأتيني؟»، فقلت: كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»[٢].

وإذا كانت إجابة أمر النبي ﷺ واجبة في حياته، فإن الاستجابة لسنته واجبة بعد وفاته، وتحرم مخالفة أمره أو تقديم أمر غيره عليه، وقد رتَّب الله الوعيد الشديد والانتقام الأكيد على من خالف أمر النبي ﷺ فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها:

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٢٦ - ط دار الكتب العلمية.

(٢) صحيح البخاري رقم: ٤٧٠٣.



«أي: فليحذر وليخش من مخالفة شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا (أن تصيبهم فتنة) أي في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة.

(أو يصيبهم عذاب أليم) في الدنيا بقتل، أو حدٍّ، أو حبس، أو نحو ذلك»[1].

والمراد بذلك أن مخالفة أمر النبي ﷺ مُوجِبة لأحد نوعَي العذابيْن الدنيوي أو الأخروي، ولا مانع أن يجمع الله النوعين من العذاب على المخالف إن أراد.

وهذا دليل على وجوب امتثال أمر النبي ﷺ، لأن الله هدَّد من خالف أمره بالعقوبة الشديدة.

قال الإمام أحمد: «نظرتُ في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾،

وجعل يكرِّرها ويقول: وما الفتنة؟

الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]»[2].

وليس هذا قول الإمام أحمد فحسب، بل قاله قبله أبو بكر الصديق أفضل الأمة إيمانًا بعد رسول الله ﷺ:

«ولستُ تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، فإني أخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٩٠ – ط دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٥٦ – ط الحرس الوطني السعودي.

(٣) البخاري- الفتح رقم: ٣٠٩٢، ٣٠٩٣ واللفظ له، ومسلم رقم: ١٧٥٩.



أي أن العبد إذا ردَّ شيئًا من كلام النبي ﷺ، فربَّما زاغ قلبه، فهلك، والهلاك هنا ليس هلاكًا بدنيًا بل إيمانيًا، وهو أشد وطأة، فإن أعظم عقوبة تصيب العبد أن يُحال بينه وبين الإيمان، ويُبتَلى بزيغ القلب وتلبيس الشيطان، فيرى سوء عمله حسنًا، وقبيح أحواله صحيحًا، وأنه أفضل الناس، وعلى الجادة والصراط، بينما هو ممسوخ القلب منطمس الفطرة، باع دينه دون أن يشعر، ولا يزال مُنكَبًا على باطله حتى يموت عليه، إلا أن يتوب فيتوب الله عليه.

فأين هذا التفريط في الأمر الإلهي من الالتزام به كما في حال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه!

أتى عبد الله بن رواحة النبي ﷺ ذات يوم وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: «**اجلسوا**»، فجلس مكانه خارجًا من المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال:

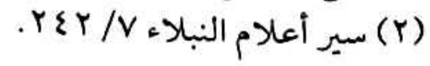
«**زادك الله حرصًا على طواعية الله تعالى وطواعية رسوله**»[١].

وهذا الحرص على طاعة الله ورسوله تلمحه في سلوك سفيان الثوري مع أحاديث رسول الله ﷺ حين قال:

«**ما بلَغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قط، إلا عملتُ به ولو مرة**»[٢].



(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٥٧) مرسلًا، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: أخرجه البيهقي بسند صحيح، وأخرجه من وجه آخر إلى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، والمرسل أصح سندًا.


(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٢.







١٦- عدم الشوق للغزو والجهاد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«من مات ولم يَغْزُ، ولم يحدِّثْ نفسه بالغزو؛
مات على شُعْبَة من النفاق»[١].

وتحديث النفس بالغزو بأن يقول العبد في نفسه: يا ليتني كنتُ غازيًا، أي لم يتَمَنَّ، ولم يتشَوَّف، ولم يرغب فيه.

وذكر مسلم في صحيحه بعد إخراج الحديث قول عبد الله بن المبارك:

«فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ».

قال القرطبي مفسِّرًا كلام ابن المبارك:

«يعني حيث كان الجهاد واجبًا، وحمَلَه على النفاق الحقيقي، ويُحتَمَل أن يحمل على جميع الأزمان، ويكون معناه: أن كل من كان كذلك أشبه المنافقين، وإن لم يكن كافرًا»[٢].

وحمل الحديث على العموم هو الأولى؛ إذ لا دليل على تخصيصه.

فأين هذا من عاشق الشهادة ومتمني الموت في سبيل الله، وهو الرابح ولو مات على فراشه، فإن الصدق مركب القلب لبلوغ أعظم الآمال، ومن نوى شيئًا من عمل الخير أثيب عليه ولو لم يتيسر له بحال من الأحوال، وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ في صحيح مسلم:

---

(١) صحيح أبي داود رقم: ٢٢٦٠.
(٢) المفهم ٤/ ٧٥٠.





«من طلب الشهادة صادقًا أعطيها، ولو لم تصبه»[1].

وقد رأى العلماء أن من قُتِل شهيدًا بعد دعائه بالشهادة، فقد نال شرف الشهادة والدعاء، ويُعطى أجرًا زائدًا على من قُتِل شهيدًا ولم يسأل الله الشهادة قبل موته.

والمثال على هذا الصدق صحابي جليل اسمه عبد الله بن ثابت ﷺ، فقد مرض قبيل غزوة بدر فلم يشهدها، ثم مات من جراء مرضه، فدخل النبي ﷺ على ابنته وهي تبكي بعد موته وتقول:

والله .. إن كنا لنرجو أن تكون وفاته قتل شهادة في سبيل الله، فإنه قد كان قضى جهازه، فقال لها رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى قد أوقع أجره على قدر نيته»[2].



(١) صحيح: صحيح مسلم في كتاب الإمارة- باب باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى- حديث رقم: ١٩٠٨.

(٢) صحيح: رواه مالك وأحمد وأبو داود عن جابر بن عتيك كما في صحيح الجامع رقم: ١٧٩١.



1. تعذيب الله لمن عذَّب عباده!

2. لا تكن إمعة

3. عقوبة إلحاق المشقة والضرر بغيره

4. إنما الطاعة في المعروف

لدراسة هذا اللون من النفاق نحتاج لإلقاء نظرة عميقة على جانب من جوانب علم النفس، وهو ما يتعلق بالسلوك الجمعي أو سيكولوجيا الحشد *collective behaviour* ، والذي لخصه جوستاف لوبون في قوله: (قد يكون الإنسان الفرد مثقفًا ومتحضرًا، ولكن وسط الجموع يصبح بربريًا).

وهو أمر مخيف حقًا، يجعل الفرد يفقد استقلاله بين الناس، ويتعامل وسط الحشد بشخصية جديدة مختلفة، ويجعله يسلك سلوكًا يندم عليه بعد صحوته، ولكن السلوك الجمعي ليس صفة حتمية لكل أفراد المجموعة، بل يمكن أن يتميز عنهم فرد بسلوكه ومبادئه، لكن هذا التميز لا يبدو ملحوظًا وسط الحشد، وهي حالة تساهم في الإطاحة بالموانع والنواهي التي تضبط سلوك الفرد، كما أنها تخلق المبررات التي تجعل الفرد مسايرًا للجماعة ولو كانت على خطأ.

فإذا أضيف للسلوك الجمعي قوة وسلطة تفرضه كان التحرر منه شديد الصعوبة، ومع هذه التجربة النفسية الشهيرة والمثيرة:



اختبار ملّيغرام

اختبار مليغرام من أشهر اختبارات علم النفس الاجتماعي الذي يُعنَى بدراسة مدى الانصياع للسلطة.

كان ستانلي ملغرام هو صاحب هذه التجربة عام ١٩٦٣، وكان الهدف من الدراسة قياس مدى استعداد المشاركين لطاعة سلطة تأمر بتنفيذ ما يتناقض مع ضمائرهم.

أراد ملغرام من الاختبار أن يجيب على السؤال التالي:





كيف تخلى الجنود الذين نفذوا الهولوكوست عن إنسانيتهم، وقاموا بهذه الجريمة البشعة؟! وهل يمكن أن يتكرر الأمر اليوم؟!

تم جمع (المشاركين) من خلال إعلان نشر في جريدة يطلب أفرادًا للمشاركة في دراسة تجريها جامعة ييل Yale University، وكان المشاركون رجالًا ما بين ٢٠-٥٠ عامًا ينتمون إلى مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية، منهم من لم ينه تعليمه الثانوي، وآخرون أتموا رسالة الدكتوراه.

قبل دخول غرفة الاختبار يتقدم (المشرف) من (المشارك) و(الممثل)، ويخبرهما بأن الاختبار يستهدف قياس أثر العقاب في التعلم (وهو أمر غير صحيح - فالتجربة في واقع الأمر تهدف إلى قياس مدى انصياع المشارك لأوامر المشرف، لكن إخفاء حقيقة الهدف ضروري لنجاح التجربة).

المشارك: هو من تم اختياره ليؤدِّي دور المختبِر ويقوم بسؤال (الممثل) أسئلة، ويرسل إليه شحنات كهربائية عند الخطأ.

الممثل-المتعلم: يتلقى الأسئلة، ويتظاهر بالألم، والصراخ عند تلقي الشحنات الكهربائية (غير الحقيقية).

المشرف: هو من يوجه المشارك بالاستمرار مهما تألم (الممثل).

(المشرف) يلح على (المشارك) للاستمرار في أداء دوره في الاختبار رغم ما يسببه ذلك من ألم ناتج عن صعقات كهربائية تصيب (الممثل) ، لكن واقع الأمر أنه لا توجد أي صعقات، فالممثل يتظاهر بأنه يتعرض للصعق.

كثير من المشاركين استمروا في أداء أدوارهم في الاختبار رغم التوسلات التي كان يقوم بها (الممثل).

يقول ملغرام: لقد قمت بإجراء اختبار بسيط لقياس كمية الألم التي يمكن لشخص عادي أن يسببها لشخص آخر، تنفيذًا لأمر صدر عن عالم يشرف على



اختبار، سلطة مجردة تتعارض مع مبدأ (عدم إيذاء الآخرين) وهو ما يفترض أنه أحد أشد أخلاقياتنا صرامة، هذا (المبدأ) وتلك (السلطة) يلتقيان في تحدٍّ سافر على صدى صرخات الضحية (الممثل)، وتفوز السلطة في هذا التحدي أكثر مما يمكن لنا تصوره.

جلس (المشارك) في غرفة أخرى، وأمامه على الطاولة جهاز الصدمات الكهربائية وله عدد من المفاتيح يشير كل منها إلى شدة محددة للتيار، تتدرج من ٣٠ حتى ٤٥٠ فولت، ويقدِّم المشرف للمشارك ورقة تحوي الأسئلة، فإذا أخطأ الاختيار فإن على (المشارك) أن يقول له بأنه أخطأ، ويخبره بشدة الصعقة التالية، ثم يضغط على الزر الخاص بالصعقة الكهربائية المناسبة.

بعد عدة زيادات في شدة الصعقة يبدأ الممثل (المتعلم) بالضرب على الجدار الفاصل بينه وبين المشارك عدة مرات، ويشتكي من الوضع الصحي لقلبه.

عند هذه النقطة عبّر عدد من المشاركين عن رغبتهم في إيقاف الاختبار وتفقد وضع المتعلم، وحينها وجَّه (المشرف) سلسلة متتابعة من التنبيهات، وفق التسلسل التالي:

١- الرجاء الاستمرار.

٢- الاختبار يتطلب منك أن تستمر، استمر رجاء.

٣- من الضروري أن تستمر.

٤- ليس لديك خيار، يجب عليك الاستمرار.

كم تظن سيكون عدد الذين يتابعون حتى النهاية، فيما لو استمر المشرف في حثهم على ذلك؟؟

تم توجيه نفس السؤال لقرابة ٤٠ محللًا نفسيًّا ليتنبئوا بسلوك مجموعة مشاركين افتراضيين، ولقد توقع المحللون المشاركون أن أكثر بقليل من ١ بالألف

سيصلون إلى أعلى شدة على جهاز الصعق، لكن الواقع أن ٥٠٪ من المشاركين أطاعوا أوامر المشرف بشكل كامل!

كانت التجربة محاولة لاكتشاف ما إذا كان المواطن الأمريكي العادي يمكن أن ينفذ أوامر غير أخلاقية، كما فعل الجنود الألمان إبان الحقبة النازية، وكان هذا أحد أهداف الاختبار التي شرحها ملغرام بوضوح.

بعض الناس يفترضون بأن الذين يصلون إلى نهايته هم ساديون، ولكنه تحليل ساذج؛ إذ لا بد من أخذ المحيط والبيئة التي تم فيها السلوك بعين الاعتبار.

يقول ملغرام: النتائج كما تابعتها في المختبر، مقلقة، إنها ترجح أن الطبيعة البشرية غير جديرة بالاعتماد عليها لتبعد الإنسان عن القسوة، والمعاملة اللاإنسانية، عندما تتلقى الأوامر من قبل سلطة فاسدة.

نسبة كبيرة من الناس مستعدون لتنفيذ ما يؤمرون دون أخذ طبيعة الأمر بعين الاعتبار، وبدون حدود يفرضها الضمير، ما دامت الأوامر صادرة عن سلطة شرعية.

إذا تمكن في هذا الاختبار، مشرف مجهول، من أن يوجه الأوامر لمجموعة من البالغين لقهر رجل في الخمسين من عمره، وإخضاعه لصعقات كهربائية مؤلمة رغم احتجاجاته ومرضه لا يسعنا إلا أن نتساءل عما تستطيع الحكومات بما لها من سلطات أوسع بكثير أن تأمر به؟!

أكد ميلغرام نتائج تجربته بأنها تشرح كيف أنه بإمكان أي مواطن عادي أن يسبب آلامًا لأشخاص قد لا يعرفهم، لسبب بسيط، وهو أنه يتلقى الأوامر من المسؤول عن التجربة، فما نحن إلا موظَّفون/ أتباع/ مسيَّرون، وإنها تتعلق بإحساس عميق بالواجب نحو السلطة متأصِّل فينا جميعًا فنحن مدرَّبون منذ الولادة على أن الطاعة للسلطة صواب، وأن عدم الطاعة خطأ، وإن استجابتنا هي رد فعل، وليست ثمرة التفكير والتروي؛ لذلك فهي تأتي بشكل انسيابي وبتلقائية.

إن أسلوب تقسيم العمل ينجح بشكل كبير في عمليات التعذيب والإبادة المنظمة، وهو ما يخفِّف الشعور بالمسؤولية عند الأفراد، ويضمن المزيد من التعاون من قبلهم، ويؤدي إلى تنفيذ المهام على أمثل وجه.



كيف تعامل الإسلام مع العقل الجمعي؟

لكن .. كيف هذَّب الإسلام النفس البشرية كي لا تقع فريسة لهذه الظاهرة النفسية المخيفة؟ وكيف قاوم الظلم، ومنع انسياق الإنسان مع الظالم خوفًا منه أو طمعًا في ما لديه؟!



النفس البشرية تميل للقوي ولو كان على باطل خوفًا من بطشه، أو طمعًا في ما لديه، أو إعجابًا بسطوته؛ ولذا قال ابن تيمية:

«وغالب الخلق لا ينقادون للحق إلا بالقهر»[1].

ولذا كان عام فتح مكة هو العام الذي دخل الناس فيه في دين الله أفواجًا، وكانت مواجهة الردة التي ضربت أنحاء الجزيرة العربية بجيوش

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٧٤ - ابن تيمية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

أبي بكر هي الحل الفعَّال.

وهذه الطبيعة البشرية جعلت من الضروري أن يكون عند النفس كوابح تمنعها من الانسياق مع الباطل القوي؛ ولذا كثرت المواقف النبوية والأحاديث التي ترسِّخ في النفس أن لا تنساق مع المجموع في حالة الخطأ، وتدعم في النفس البشرية مراقبة الله والخوف منه ومن عقابه، ولو تتبعتُها في كتب الأحاديث والسنن لضاقت بها دفتا الكتاب، ولكني أورد بعضا منها هنا:

١) تعذيب الله لمن عذّب عباده!

عن أبي مسعود الأنصاري -رضى الله عنه- قال:

كنتُ أضرب غلامًا لي بسوط، فسمعتُ صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ؟، فإذا هو يقول:

«اعلم أبا مسعود .. اعلم أبا مسعود».

فسقط السوط من يدي من هيبته، فقال رسول الله ﷺ:

«اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام».

فقلتُ: هو حُرٌّ لوجه الله، فقال رسول الله ﷺ:

«أما لو لم تفعل لمسَّتْك النار».

فحَلفتُ أن لا أضرب مملوكًا أبدًا[١].

فانظر إلى شدة غضب رسول الله ﷺ حتى لم يُميِّز أبو مسعود صوته!

وما يُغضِب رسول الله ﷺ يغضب الله تعالى، فرسول الله ﷺ هو صلة الأرض بالسماء، وهو المخلوق الوحيد الذي أطلعه الله على ما في الغيب من ثواب وعقاب، وغضبته ﷺ لا تكون إلا لله؛ ولذا اشتد غضبه على الظلم الواقع أمامه، ومع ثورة غضبه كان ﷺ حريصًا على تعليل هذا الغضب وتوضيح سببه، ليكون أمره أدعى

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ٨/ ٤٦١ وهو في صحيح مسلم رقم: ١٦٥٩.



للانصياع والاتباع، وفي هذا رحمة بالغة منه بأمته، فقال ﷺ:

«اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام».

أي احذر أيها الظالم من انتقام الله، ولا تحملك قوتك على ظلم الضعفاء، فتتعدى حدود الله فيهم بإيذائهم بغيًا وعدوانًا.

وكما تتمنى أن يعفو الله عنك، فاعفُ أنت عن الناس.

واذكر حلم الله عليك رغم تكرُّر أخطائك وتوالي سيئاتك، ولو عاملك الله بمثل ما تعامل به خلقه لأهلكك منذ زمن.

واعلم أن ثمن عفو الله عنك هو عفوك عن الناس، وأن عقوبتك -إن عذَّبت خلق الله- أن يعذِّبك الله، جزاءً وفاقًا، وفي الحديث:

«إن الله تعالى يعذِّب يوم القيامة الذين يعذِّبون الناس في الدنيا»[1].

وقول النبي ﷺ بأن الله أقدر على أبي مسعود ليس لإفادة الحكم النظري بأن الله قادر، فهذا معلوم للجميع، لكنه لكي يُنزِل أبو مسعود هذا القول موضع التنفيذ على الفور بالعفو عن الغلام، مع احتمال تقصيره في المستقبل.

وقد سقط السوط من يد أبي مسعود الأنصاري خوفًا وهيبة من رسول الله ﷺ، واستجاب لأمره على الفور، وإن لم يصرِّح رسول الله ﷺ مباشرة له بالأمر بعتق الغلام، وبادر أبو مسعود بإصلاح خطئه، والتكفير عن ذنبه، بفعله قبل قوله.

كفارته بالفعل هو أن أعتق هذا الغلام، وفي الحديث:

«من ضرب غلامًا له حَدًّا لم يأته، أو لطمه فإن كفارته أن يُعتِقه»[2].

وكفارته بالقول هو تعهده وحلفه أن لا يضرب مملوكًا بعده.

---

(١) صحيح وهو في صحيح مسلم رقم: ١٦٥٩.
(٢) صحيح: رواه مسلم عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٦٣٧٥.

إن الحديث واضح وضوح الشمس، وهو أن الله للظالم بالمرصاد، فإن لم يتب في الدنيا ويتحلل من المظلوم، فإن العقوبة ستُلاحقه يوم القيامة، ولَعذاب الآخرة أشد وأبقى وأخزى، وأن خوف العبد من الله هو وحده الذي يحتوي الخوف من الظالم، ويمنع العبد من التمادي في الظلم أو طاعة الظالم، وقد روى البخاري في الأدب المفرد ما يفيد القصاص الإلهي الحتمي من كل من عذَّب عبدًا بغير حق، فقال رسول الله ﷺ:

«من ضَرَبَ بسوط ظُلمًا اقتُصَّ منه يوم القيامة»[1].

٢) لا تكن إمعة:

عند الترمذي بسند فيه نظر:

«لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن أساءوا أسأنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسنوا أن تُحسِنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا»[2].

وهذه مقاومة لتأثير العقل الجمعي، ومقاومة للسير مع التيار العام لو كان في الاتجاه الخاطئ، وحثٌّ على عدم مجاراة المحيط لو كان فاسدًا، وهو ما يربطك بالفكرة لا بالأشخاص، وبالمبدأ لا بحامله.

٣) عقوبة إلحاق المشقة والضرر بالغير:

قال رسول الله ﷺ:

«من ضارَّ ضارَّ الله به، ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه»[3].

«ضارَّ»: أي أوصل ضررًا إلى أحد.

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٣٧٤.

(٢) ضعيف: رواه الترمذي عن حذيفة كما في ضعيف الجامع رقم: ٦٢٧١.

(٣) حسن: رواه أحمد والأربعة عن أبي صرمة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٣٧٢.

«**ضارَّ الله به**»: أوصل الضرر إليه.

والضرر والمشقة متقاربان، إلا أن الضرر يُستَعمل في إتلاف مال أحد، والمشقة تُستَعمل في إيصال أذية إلى بدن أحد.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي:

«هذا الحديث دلَّ على أصلين من أصول الشريعة:

أحدهما: أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر:

وهذا من حكمة الله التي يُحمَد عليها، فكما أن من عمل ما يحبه الله أحبه الله، ومن عمل ما يبغضه أبغضه الله، ومن يسَّر على مسلم يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في حاجة العبد ما كان العبد في حاجة أخيه، كذلك من ضارَّ مسلمًا ضرَّه الله، ومن مكر به مكر الله به، ومن شقَّ عليه شقَّ الله عليه، إلى غير ذلك من الأمثلة الداخلة في هذا الأصل.

الأصل الثاني: منع الضرر والمضارة، وأنه «لا ضرر ولا ضرار»، وهذا يشمل أنواع الضرر كله.

والضرر يرجع إلى أحد أمرين: إما تفويت مصلحة، أو حصول مضرة بوجه من الوجوه، فالضرر غير المستحق لا يحل إيصاله وعمله مع الناس، بل يجب على الإنسان أن يمنع ضرره وأذاه عنهم من جميع الوجوه.

فيدخل في ذلك: التدليس والغش في المعاملات وكتم العيوب فيها، والمكر والخداع والنجش، وتلقي الركبان، وبيع المسلم على بيع أخيه، والشراء على شرائه.

ومثله الإجارات، وجميع المعاملات والخطبة على خطبة أخيه، وخطبة الوظائف التي فيها أهل لها قائم بها، فكل هذا من المضارة المنهي عنها.

وكل معاملة من هذا النوع، فإن الله لا يبارك فيها، لأنه من ضار مسلمًا ضاره

الله، ومن ضاره الله، ترحَّل عنه الخير، وتوجَّه إليه الشر، وذلك بما كسبت يداه.

ويدخل في ذلك:

مضارة الشريك لشريكه، والجار لجاره، بقول أو فعل حتى إنه لا يحل له أن يحدث بملكه ما يضر بجاره، فضلًا عن مباشرة الإضرار به.

ويدخل في ذلك:

مضارة الغريم لغريمه، وسعيه في المعاملات التي تضرُّ بغريمه، حتى إنه لا يحل له أن يتصدق ويترك ما وجب عليه من الدَّيْن إلا بإذن غريمه، أو يرهن موجوداته أحد غرمائه دون الباقين، أو يقف، أو يعتق ما يضر بغريمه، أو ينفق أكثر من اللازم بغير إذنه.

وكذلك الضرار في الوصايا: كما قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾ [النساء: ١٢] بأن يخص أحد ورثته بأكثر مما له، أو ينقص الوارث، أو يوصي لغير وارثه بقصد الإضرار بالورثة.

وكذلك لا يحل إضرار الزوج بزوجته من وجوه كثيرة:

إما أن يعضلها ظلمًا لتفتدي منه، أو يراجعها لقصد الإضرار، أو يميل إلى إحدى زوجتيه ميلاً يضرُّ بالأخرى، ويجعلها كالمعلقة.

ومن ذلك:

الحيف في الأحكام والشهادات والقسمة وغيرها على أحد الشخصين لنفع الآخر. فكل هذا داخل في المضارة، وفاعله مستحق للعقوبة، وأن يضار الله به.

وأشد من ذلك:

الوقيعة في الناس عند الولاة والأمراء؛ ليغريهم بعقوبته أو أخذ ماله، أو منعه من حق هو له، فإن من عمل هذا العمل فإنه باغٍ، فليتوقع العقوبة العاجلة والآجلة.



ومن هذا: «**نهى النبي ﷺ أن يورد ممرِض على مُصِحٍّ**» لما في ذلك من الضرر.

وكذلك نهى الجذمي ونحوهم عن مخالطة الناس، وهذا وغيره داخل في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ونهى عن ترويع المسلم، ولو على وجه المزاح.

ومن هذا السخرية بالخلق، والاستهزاء بهم، والوقيعة في أعراضهم، والتحريش بينهم، فكله داخل في المضارة والمشاقة الموجبة للعقوبة.

وكما يدل الحديث بمنطوقه: أن من ضار وشاق ضره الله وشق عليه، فإن مفهومه يدل على: أن من أزال الضرر والمشقة عن المسلم فإن الله يجلب له الخير، ويدفع عنه الضرر والمشاق، جزاءً وفاقًا، سواء كان متعلقًا بنفسه أو بغيره»[(١)].

وإن ضرر من أوقع الضرر بمن حوله، ووقوع المشقة على من شقَّ على غيره ليست قاعدة مطردة فحسب، بل هي دعوة مستجابة للنبي ﷺ:

«**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشَقَّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»[(٢)].

وإن إحساس المرء أن الحياة (سلف ودَيْن) رادع له عن المشاركة في الظلم، والسير مع قطيع المبطلين والمجرمين، وإلا فإن العقوبة ستناله في الدنيا، فضلًا عن عذاب الآخرة.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار للسعدي ١/ ٣٩-٤١- ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف.

(٢) صحيح: رواه مسلم عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ١٣١٢.





٤) إنما الطاعة في المعروف:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلًا من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطبًا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارًا، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟

قالوا: بلى.

قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله فرارًا من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه وطُفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها .. إنما الطاعة في المعروف**».

في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

بعث رسول الله ﷺ سرِيَّة وأمَّر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: أليس أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني؟

قالوا: بلى .

قال: فاجمعوا لي حطبًا، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارًا فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فلما هَمّوا بالدخول قام ينظر بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم:

إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار، أفندخلها؟ فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا، فرجعوا إلى النبي ﷺ، فأخبروه، فقال لهم: «**لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة، لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**».

وفي رواية: «**من أمركم منهم بمعصية الله، فلا تطيعوه**»[1].

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رقم: ٢٨٦٣ .



وفي رواية البخاري:

«لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف»[1].

قيَّد الله الطاعة بالمعروف، وقوّى الله قلوب عباده لمواجهة الانحراف، وعدم السير مع الباطل.

قال ابن القيم:

«استشكل قوله ﷺ: (ما خرجوا منها أبدًا، ولم يزالوا فيها) مع كونهم لو فعلوا ذلك لم يفعلوه إلا ظنًّا منهم أنه من الطاعة الواجبة عليهم، وكانوا متأولين.

والجواب عن هذا:

أن دخولهم إياها معصية في نفس الأمر، وكان الواجب عليهم أن لا يبادروا وأن يتثبتوا حتى يعلموا ،هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا؟ فأقدموا على الهجوم والاقتحام من غير تثبت ولا نظر، فكانت عقوبتهم أنهم لم يزالوا فيها.

وفي الحديث دليل أن على من أطاع ولاة الأمر في معصية الله كان عاصيًا، وأن ذلك لا يمهد له عذرًا عند الله، بل إثم المعصية لاحق له، وإن كان لولا الأمر لم يرتكبها، وعلى هذا يدل هذا الحديث»[2].

ولذا كان من دقة التعبير القرآني أن قال تعالى:

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾

وذلك للإشارة إلى أن طاعة ولاة الأمور إنما تجب تبعًا وليست استقلالاً، فهي تبع لطاعة الله ورسوله، أي أنه يسمع لهم ويُطاع في حدود ما هو معروف، ولا يسمع لهم ويطاع في المعصية.

---

(١) صحيح: رواه البخاري عن علي بن أبي طالب رقم: ٧٢٥٧.

(٢) عون المعبود ٧/ ٢٠٨- ط دار الكتب العلمية.







العبد المأمور!

أُتِيَ سليمان بن عبد الملك برجل حروري (الحرورية من الطوائف المنحرفة)، فقال لسليمان: يا فاسق ابن الفاسق.

قال سليمان: عليَّ بعمر بن عبد العزيز، فلما أتاه عمر عاود سليمان الحروري السباب، فقال له: ما تقول؟ قال: وماذا أقول يا فاسق ابن الفاسق.

قال سليمان لعمر: يا أبا حفص .. ماذا ترى عليه؟ فسكت عمر، فقال: عزمتُ عليك لتخبرني ماذا ترى عليه.

قال: أرى أن تشتمه كما شتمك.

فأُمِر به سليمان فضربت عنقه، وقام سليمان وخرج عمر، فتبعه خالد بن الريان صاحب حرس سليمان، فقال: يا أبا حفص .. تقول لأمير المؤمنين ما أرى إلا أن تشتمه كما شتمك، والله لقد كنت متوقعًا أن يأمرني بضرب عنقك.

قال عمر: لو أمرك لفعلت؟!

قال: أي والله لو أمرني لفعلت، فلما أفضت الخلافة إلى عمر، جاء خالد بن الريان، وقام مقام الحرس- وكان قبل ذلك على حرس الوليد وعبد الملك- فنظر إليه عمر بن عبد العزيز فقال: يا خالد ضع هذا السيف عنك .. اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان، اللهم لا ترفعه أبدًا، ثم نظر عمر في وجوه الحرس، فدعا عمرو بن المهاجر الأنصاري، فقال: والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا الإسلام، ولكني قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد، فرأيتك تُحسِن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي»[1].

(١) المعرفة والتاريخ - يعقوب بن سفيان - ١/ ٦٠٣ - ط مؤسسة الرسالة، بيروت.



الفصل السابع: بذور النفاق

أولًا: الخوف



علاج الخوف؟!

1. الإيمان بالقدَر!
2. خوف المساءلة غدًا!

ثانيًا: الحرص



الحرص على الدنيا

دواء الحرص على الدنيا!

1. لابد من الشعور بالغربة
2. ملعونة هذه الدنيا إلا..
3. الآخرة هي دار القرار
4. عمر الدنيا قارب على الانتهاء بالموت أو بالساعة
5. علام كان حزن النبي وفرحه؟!

الحرص على الرئاسة

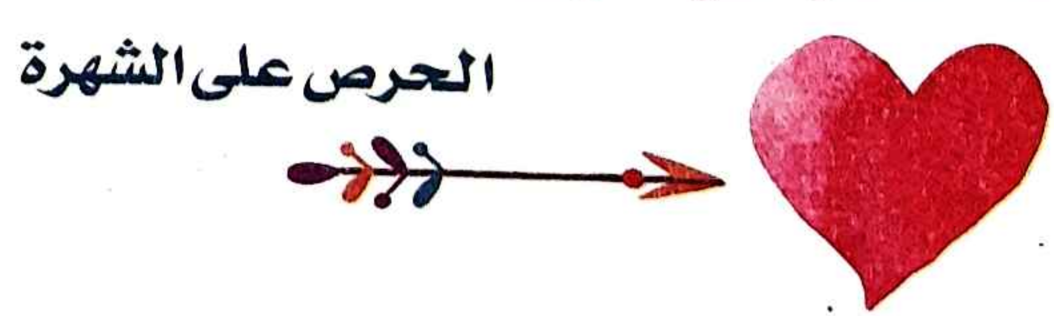


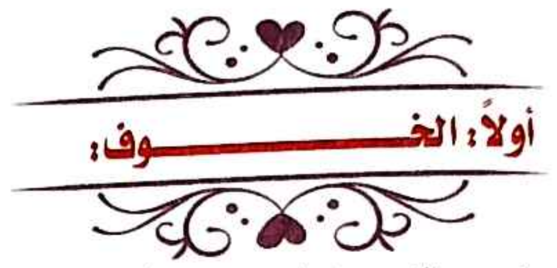
مظاهر حب الرئاسة

دواء الحرص على الرئاسة

1. تدبر عواقب التقصير في الآخرة
2. استشعار خطر المسؤولية

الحرص على الشهرة





شعور الفرد بالخوف من أن يخسر ماله أو وظيفته أو مكانته الاجتماعية أو حياته، هذا من أهم دوافع النفاق الاجتماعي والسياسي، وقد يكون خوفه هذا من صاحب سلطة أعلى وفق الهرم السلطوي، فيستشعر العظمة في الآخرين، ويرى أن نفاقهم ومداهنتهم ضرورة اجتماعية.

علاج الخوف؟!

١) الإيمان بالقدَر:



لقى عطاء بن أبي رباح الوليد بن عبادة ابن الصامت، صاحب رسول الله ﷺ فسأله:

ما كانت وصية أبيك عند الموت؟!

فقال: دعاني أبي فقال لي:

يا بني، اتقِ الله، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، فإن مت على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: رب ما أكتب؟**

قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد».

وفي رواية: «**اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، فجرى القلم في تلك الساعة بما كان، وبما هو كائن إلى الأبد**».

يا بني .. إن رسول الله ﷺ يقول:



«من مات على غير هذا، فليس مني»[1].

فلِمَ الخوف إذن؟! وكل شيء قد فرغ الله من قضائه من آلاف السنين، وقد رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصحف!

لقد ربط النبي ﷺ بين الخوف والإيمان بالقدر ربطًا وثيقًا، فقال رسول الله ﷺ:

«ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس، أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرِّب من أجل، ولا يباعِد من رزق، أن يقول بحقٍّ أو يُذَكِّر بعظيم»[2].

وقوله: «**أن يقول بحق**»، أي: يتكلم بالحق، ولا يسكت عنه.

فقال أبو سعيد الخدري راوي الحديث: «وَدِدْتُ أني لم أكُنْ سَمِعتُه».

قال أحمد عبد الرحمن البنا:

«يريد أبو سعيد أنه لو لم يسمع هذا الحديث كان أحب إليه لعدم تكليفه بمقتضاه لمشقة العمل به: أما وقد سمعه فالعمل به لازم»[3].

ولذا قال أبو عبد الرحمن العمري الزاهد:

«إن من غفلتك عن نفسك: إعراضك عن الله بأن ترى ما يُسخِطه فتجاوزه، ولا تأمر ولا تنهى، خوفًا من المخلوق»[4].

٢) خوف المساءلة غدًا:

غدًا يسائلنا الله عن خوفنا من الناس أكثر من خوفنا منه؟!

غدًا يحاسبنا على السكوت عند وجوب الكلام!

وعلى الذي فعلناه حين شاعت المنكرات وانتشرت الآثام؟

---

(١) صحيح: صحيح الجامع: ٢٠١٨ والصحيحة: ١٣٣.

(٢) حديث صحيح دون قوله: «فإنه لا يقرِّب من أجل، ولا يباعد من رزق، أن يقول بحق أو يذكِّر بعظيم»، فإن إسناده ضعيف.

(٣) الفتح الرباني ١٥/ ٢٢١ - أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي- دار إحياء التراث العربي.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٥.



وإن خوف المساءلة من الله غدًا كفيل بأن ينفي الخوف من البشر اليوم.

قال رسول الله ﷺ:

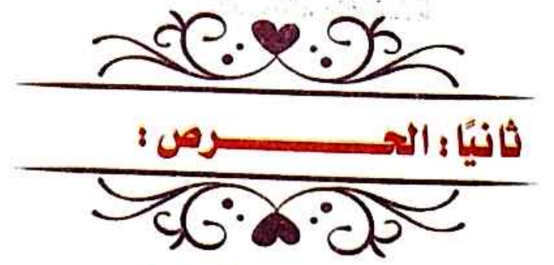
«إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يسأله: ما منعك إذا رأيتَ المنكر أن تنكره؟ فإذا لقَّن الله العبد حجته قال: يا رب رجوتك، وفرَقْت من الناس»(١).

إن الخوف من سقوط المنزلة، وتغير رأي الناس فينا، قد يطغى على خوفنا من الله، ويبتلع مهابة الله من قلوبنا، فنتعلم النفاق والجبن، وإن الخوف الحقيقي لا ينبغي أن يكون إلا من الله وحده، ومن هنا قال أبو عمرو الدِّمشقي:

«حقيقة الخوف ألا تخافَ مع الله أحدًا»(٢).

ومن خاف من الله وحده كافأه ربُّه أعظم مكافأة، وحماه مما يضره، ويكاد الأمر أن يكون قانونا وضعه الفضيل بن عياض حين قال:

«إن خفتَ الله لم يضرَّك أحد، وإن خفتَ غير الله لم ينفعك أحد»(٣).



ثانيًا: الحرص:

- **الحرص على الدنيا:**

إن شدَّة الحرص على المال قفل يضعه الشيطان على بوابة اليقين في القلب، وإن حرص العبد هو بذرة لا تذبل في قلبه أبدًا، وقد صحَّ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«يهرم ابن آدم وتشِبُّ معه خصلتان:

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة وابن حبان عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: ١٨١٨ والصحيحة رقم: ٩٢٩.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٣/ ٢٠٨.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٣/ ٢٠٧.





الحرص على المال، والحرص على العمر»[١].

والمراد أن ابن آدم يضعف جسمه مع الكِبَر، ولكن قلبه يبقى كقلب الشاب من حيث قوة حب المال وحب الحياة، فيكون معنى قوله: «تَشِبُّ» أي تقوى، فكأنه كلما كبر ضعف فيه كل شيء إلا حب المال والحياة، فإنهما يزدادان قوة.

وكان المنتظر من الشيخ أن تكون آماله أخروية لدنو أجله واقتراب موته، وأن يقِلَّ حرصه على الدنيا لضعف بدنه، فلم يبقَ له إلا ترقب ملك الموت، لكن ذلك لا يحدث عند الأكثرين.

ولاحظ في الحديث اقتران الحرص على المال بالحرص على الحياة، فهما توأمان وفي الرضاعة أخوان.

وكلما زاد الحرص على المال، زادت هموم القلب وتشتته، واستُعبِد العبد لغيره، وتنازل عن دينه لتحصيل دنياه، واضطُّر للسكوت عن الباطل، وهذا ما لمحه ابن الجوزي فقال في إحدى مشاهداته:

«من لم يقطع الطمع من الناس من شيئين لم يقدر على الإنكار:

- **أحدهما**: مِنْ لطف ينالونه به
- **والثاني**: عن رضاهم عنه وثنائهم عليه»[٢].

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم: ٦٤٢١، ومسلم رقم: ١٠٤٧.
(٢) الآداب الشرعية ١/ ١٩٣.



إن الحرص فطرة مغروسة في قلب الإنسان، وهذه الفطرة إن لم يصاحبها تهذيب، فستجرف العبد نحو الحرام، وتدفع به إلى الطغيان، وقد قال النبي ﷺ:

«لو كان لابن آدم وادٍ من مال لابتغى إليه ثانيًا، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»(١).

ومن هنا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

«منهومان لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ عبد الله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦، ٧]»(٢).

إن طموح الفرد الطاغي قد يكون أكبر من مؤهلاته وقدراته، أو قد يمتلك الإمكانات والقدرات، لكن يقدر الله له غير ما أراد، فيدفعه ذلك إلى سلوك طريق الكذب أو النفاق.



حرص أبناء الآخرة!

وهذا الحرص على الدنيا أقبح ما يكون في أبناء الآخرة.

قال مطرف: «إن أقبح الرغبة في الدنيا أن تُطلَب بعمل الآخرة»(٣).

وقال الفضيل بن عياض: «لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إليَّ من أن آكلها بديني»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد والشيخان والترمذي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٥٢٨٨.

(٢) مشكاة المصابيح رقم: ٢٦١.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم: ٦٩٣٠.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم: ٦٩٣١.

والعالم الذي يحرص على الدنيا قد يبيع دينه عند أول مفترق طرق، ويحلِّل الحرام لغيره طمعًا في عطاياه وهداياه، ويُظهِر التزهد، يريد به جمع الدنيا، والاستيلاء على المناصب، وكنز الدولار والدينار.

قال مالك بن أنس: قال لي ربيعة الرأي -وكان أستاذ مالك-:

يا مالك .. من السفلة؟

قال: من أكل بدينه.

فقال: من سفلة السفلة؟

قال: «من أصلح دنيا غيره بفساد دينه»[١].

عجبتُ لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجبُ من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وعقوبة هذا العالم شديدة لأنه ارتكب جرمًا عظيمًا، وتسبب في ضلال كثير من الخلق.

قال الحسن:

«عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة»[٢].



١) لا بد من الشعور بالغربة:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيَّ، فقال:

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[٣].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم: ٦٩٣٣.

(٢) الإحياء ١/ ٥٩.

(٣) صحيح: صيح البخاري رقم: ٦٤١٦.



أمسك النبي ﷺ بكتفي عبد الله بن عمر رضي الله عنه من الأمام، وذلك من أجل أن يستحضر هذه الوصية جيدًا، فهي وصية ليست كغيرها من الوصايا، بل هي من الأهمية بمكان، ليهز النبي ﷺ ابن عمر هزًّا لها، وهي هزة لكلٍّ من بلغته هذه الوصية لينتبه ويستفيق، وبهذه الهزة النبوية تتساقط كل أوهامك وأحزانك الدنيوية وإيثارك للفاني على الباقي.

هي وصية جامعة لعدة وصايا، ومنها:

- **الغريب** لا يُحدِّث نفسه بطول البقاء؛ لأنه يعلم أنه في أي لحظة سيرجع إلى وطنه الأول ومستقره النهائي.
- **والغريب** نظرًا لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد تجاه من حوله.
- **والغريب** بسبب قصر وقت إقامته لا ينشغل (قلبه) كثيرًا بتكثير الأموال والأملاك التي تشغله عن الله والدار الآخرة.
- **والغريب** مستوحش من الناس، ولا يأنس بمن حوله لأنه خارج وطنه، بل أُنسُه الوحيد في وطنه وبين أهله.
- **والغريب** لا يحزن كثيرًا على خسارته في دار غربته ما دامت أملاكه في وطنه الأصلي كما هي.
- **والغريب** يدخر أمواله ليرسلها إلى وطنه؛ لينعم بها عند عودته، ويستبقي معه في دار غربته ما يقيم به أساسيات الحياة دون سرف أو مباهاة.

ومثل الغريب عابر السبيل، فهو خفيف الأحمال أكثر من الغريب، وغير منشغل بحمل ما يُعيقه عن سفره، ولا يحمل أكثر مما يحتاجه ليبلغ مقصده، و(أو) يجوز أن تكون للتخيير، والأحسن أن تكون بمعنى (بل).

والرسالة هنا:

أنت في هذه الدنيا غريب، ووطنك الحقيقي: الجنة، وقد أنزل الله منها أبويك

ابتداء، وجعل مرجعك إليها -إن شاء الله- انتهاء، فالدنيا ممر، والآخرة مقر، فلا تُحَدِّث نفسك بطولِ الإقامة فيها، ولا تتعلق بها إلا تعلق الغريب بغير وطنه، ولا تشتغل بها كما لا يشتغل عابر السبيل بشيء حتى يعود إلى أرضه.

هي وصية جامعة بالزهد في الدنيا، وأخذ البلغة فيها والكفاف، وكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلِّغه مقصده، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلِّغه الجنة.

٢) ملعونة هذه الدنيا إلا..

في الحديث:

«**إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلِّمًا**»[١].

ولأن الدنيا في أغلب الأحيان تُبعِد عن الله وتُلهي عن الآخرة؛ ولذا فعلى العبد أن لا يأبه لها إلا من جانب هذه الجوانب الأربعة، وبدأ بذكر الله عزَّ وجل لأنه أشرف الأعمال، ثم قال: «**وما والاه**» أي وما أدناه الله منه وأحبه، والوَلْي: القرب والدُّنو، والمعنى: الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما قاربه من الطاعات الموصلة لمرضاة الله ومحبته.

«**وعالمًا أو متعلِّمًا**»:

وهو أن يتعلم العبد العلم النافع له في دنياه أو آخرته، مما ينفعه ولا يضره أو يضر أحدا من الخلق.

وقوله: «**ملعون ما فيها**»، فالملعون فيها هو ما شغَل عن الله وأبعد عنه، لا ما قرَّب إليه وأدنى، فإن الدنيا التي تقرِّبك من ربك هي بلا شك محمودة كما أشار إليه قوله: «**إلا ذِكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلِّمًا**».

فكل ما لم يقرِّبك من الله ملعون.

---

(١) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الترغيب رقم: ٧١.

وكل دنيا تصرف عن الآخرة ملعونة.

وكل لذة دنيوية تُلهيك عن شراء الآخرة ملعونة.

والمدح الوحيد الذي تستحقه الدنيا أنها مزرعة الآخرة وفيها ندفع ثمن الجنة كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهِم عنها، ودار غنى لمن تزوَّد منها، ومهبط وحي الله، ومُصلَّى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربِحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة»[1].

٣) الآخرة هي دار القرار..

قال تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

لأنها الحياة الباقية، ولا زوال لها، فهي دار الاستقرار، قد استقرت الجنة بأهلها، واستقرَّت النار بأهلها.

والنعمة الحقيقية هي نعمة الآخرة، لماذا؟

لأنها وحدها الباقية، وما سواها زائل؛ ولذا قال ربنا: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦].. خيرٌ من ماذا؟

خير من كل شيء، ولذا يصحبها الفرح الحقيقي: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

وإذا استقر هذا المعنى في القلب، لم يغرق في حب الدنيا، بل أخذ منها القدر الذي يكفيه ولا يُطغيه.

ولأننا لم نطلع على الغيب، ولا نرى ما يحدث كل يوم في هذا الكون من أحداث

(١) البداية والنهاية ٨/ ٧.



خفية عجيبة، ويسمعها كل الخلائق إلا الإنس والجن، فإن رسول الله ﷺ أخبرنا بها لنرى بعينيه ما لم نرَ بأبصارنا، ونزداد يقينًا بالغيب الذي اختبرنا الله بالإيمان به.

ومن ذلك ما جاء في هذا الحديث:

«ما طلَعَتْ شمس قط إلا بُعِثَ بجنبتيها ملَكان يناديان، يُسمِعان أهل الأرض إلا الثقلين:

يا أيها الناس .. هلُموا إلى ربكم، فإن ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى.

ولا آبت شمس قط إلا بُعِثَ بجنبتيها ملكان يناديان، يُسمِعان أهل الأرض إلا الثقلين:

اللهم أعْطِ منفقًا خلفًا، وأعْطِ ممسكًا مالًا تلفًا»[1].

في كل يوم منذ خلق الله هذه الدنيا ينادي هذان الملكان:

هلموا .. أقبِلوا إلى ربكم .. تصدَّقوا ولا تبخلوا؛ فإنَّ ما قلَّ من المال، وكفى صاحبه بعد إخراج صدقته خيرٌ مما كثر وألهاه عن الصدقة وفعل الخير.

ولذا لما أُتِي عمر بن الخطاب ﷺ بأموال كسرى صاح في المسلمين قائلاً:

«ما فتح الله هذا على قوم إلا سفكوا دماءهم وقطَّعوا أرحامهم..

اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زيَّنتَ لنا، اللهم إنك منعتَ هذا رسولك إكرامًا منك له، وفتحتَه عليَّ لتبتلِيَنى به، اللهم سلِّطني على هلَكَته في الحق، واعصمني من فتنته»[2].

إن شعور الخوف من الاستدراج بهذا المال هو وحده الذي يُخمِد ثورة الطغيان الذي يصاحب امتلاك المال.

كان هذا الخوف والحذر مسيطرًا على الصحابة، فكانوا يتهمون أنفسهم، وهم

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان وأحمد والطيالسي كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٤٤٣.
(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٠/ ١٦٩ .



غير متَّهَمين، ويخافون وهم أول الحذِرين، فعن عرفجة الثقفي:

«استقرأتُ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦﴾ ترك القراءة، وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم.

فقال: آثرنا الدنيا، لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزُوِيَت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل.

وهذا منه على وجه التواضع والهضم»[1].

٤) عمر الدنيا قارب على الانتهاء بالموت أو بالساعة:

وهذا مقرر بنص الحديث في قوله عليه الصلاة والسلام:

«بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين».

وأشار بإصبعه السبابة والتي تليها .

وفي الحديث تشبيه، فكما أنه ليس بين السبابة والوسطى إصبع أخرى، فكذلك لا نبي بين النبي ﷺ وبين الساعة.

ويُحتَمل أنه لتقريب ما بين النبي ﷺ والساعة من الفترة الزمنية، وأن التفاوت بينهما كنسبة التفاوت بين الإصبعين تقريبًا لا تحديدًا.

وفي حديث يحكي مشهدًا غيبيًّا رهيبًا، ويؤذِن بقرب انقضاء الدنيا قال النبي ﷺ مخاطبًا أصحابه:

«كيف أنتم وصاحبُ القرن قد التقمَ القرن، وحنا الجبهة، وأصغى السمع ينتظر متى يُؤْمَر بالنفخ، فينفخ. قالوا: كيف نصنع؟

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٨٢.



قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل .. على الله توكلنا»[1].

وصاحب القرن هو إسرافيل عليه السلام، وهو أحد الملائكة الأربعة المقرَّبين، والقرن هو الصور الذي يُنفَخ فيه النفختان، وقوله: «**قد التقم القرن**» أي وضع طرف القرن في فمه، وانتظر الإذن من الله، متى يُؤمَر بالنفخ لينفخ، وكلٌّ من الالتقام والإصغاء حقيقة لا مجاز، وهي عبادة خاصة بإسرافيل عليه السلام، وهو مُكلَّفٌ بها، وفي الحديث إشارة إلى قرب موعد النفخ في الصور؛ ولذا ثقل ذلك على أصحاب النبي ﷺ، ففزِعوا بسؤاله عما يصنعون، فأوصاهم بالتوكل على الله، وفيه حثٌّ خفي لصحابة النبي ﷺ على توصية من جاء من بعدهم بالتهيؤ للساعة.

٥) علام كان حزن النبي وفرحه؟!

هل فرح النبي ﷺ يومًا لدنيا أصابها؟!

لقد كان النبي ﷺ يفرح بنزول سورة من القرآن، ويفرح بإسلام رجال عظام انتشلهم من براثن الكفر، ويفرح بفتوحات المسلمين وانتصاراتهم، ويفرح بتوبة أحد أصحابه، كفرحه بتوبة كعب بن مالك رضي الله عنه.

وعلام كان حزنه؟

على نفس تفلتت منه إلى النار، أو على إعراض أمته، أو عصيان أحد لأمره أو أمر الله خوفًا عليه من العذاب.

وكان هذا سمت الأنبياء كل الأنبياء. قال القرطبي:

«ولا يُسَرُّ نبيٌّ بأمر دنيا، وإنما سُرَّ بما كان مِنْ أمر الآخرة والدِّين»[2].

ولذا كان من أجمل حكم ابن عطاء التي تصحِّح وجهة المشاعر القلبية:

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: ٤٥٩٢ والصحيحة رقم: ١٠٧٨، ١٠٧٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ١٧٠ - ط دار الكتب المصرية.





«متى كنتَ إذا أُعْطيتَ بَسَطَك العطاء،
وإذا مُنِعْت قَبَضَك المنع، فاستدلّ بذلك على ثبوت طفوليتك،
وعدم صدقك في عبوديتك».

رأى ابن عطاء أن الجازع عند الشدة، والسعيد سعادة تامة بالنعمة طفلًا! وأنه غير كامل العبودية!

لماذا؟

لأن الدنيا خدّاعة!

فكم من أناس كثرت أموالهم، فتكاثرت معها همومهم، وفي المقابل .. كم من أناس ضاقت أرزاقهم واتسعت بالرضا نفوسهم.

وسبب آخر .. أن السعادة محلها القلب، ولا سلطان لأحد على القلب إلا الله؛ ولذا قال ربنا:

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النجم: ٤٣].

أي الله وحده هو الذي أضحك بإدخال مشاعر السرور إلى القلب، وأبكى بإدخال مشاعر الأسى والغموم إليه.

وليست الأسباب الظاهرة إلا جندًا تحت سلطان الله، يسخِّرها لما يريد، وهذا ما يجعلك تُفاجأ بالخير والسرور ينبعث مما تظنه سبب الكآبة والشرور، ويجعلك تُفاجأ بالضيق والهموم منبعثًا مما تتوهمه سببًا للسعادة والسرور.

وصدق الله القائل في كتابه:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].







الحرص على الرئاسة

قال شداد بن أوس، وقد تسجّى بثوب ثم بكى وبكى، فقال له قائل:

ما يبكيك يا أبا يعلى؟ قال:

«إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية، والرياء الظاهر، إنكم لن تؤتوا إلا من قِبَل رؤوسكم..

إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم..

إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم..

الذين إن أمَروا بخير أُطيعوا، وإن أمَروا بِشَرٍّ أطيعوا»[(١)].

وقد قيل لأبي داود السجستاني: ما الشهوة الخفية؟ قال:

«حب الرئاسة»[(٢)].

وهي شهوة خفية لأنها تخفى على الناس، وقد تخفى كذلك على صاحبها، حتى قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة، فهي الداء الدفين، ومن أخطر شباك الشياطين.

قال الزهري:

«ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، نرى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرياسة، حامى عليها وعادى»[(٣)].

---

(١) الزهد لابن المبارك ٢/ ١٦- ط دار الكتب العلمية.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/ ٣٤٦.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ١/ ٢٠٩.



> ومن أراد أن يختبر حبه للرئاسة، فلينظر إلى حاله إذا طُلب منه ترك موقعه أو المسؤولية المناطة به والعودة للخلف، وليتأملَ حجم الغصة والمرارة التي يعاني منها في مثل هذا الموقف، تمامًا كحال الرضيع الذي يستلذ بالرضاعة، ثم يغتم بالفطام.

وصدق النبي ﷺ:

«إنكم ستحرصون على الإمارة، وإنها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة، فنِعْمَ المرضعة، وبئست الفاطمة»[(١)].

مظاهر حب الرئاسة:

كثيرة ومنها:

- أن لا يعمل إلا إذا تصدَّر، فإن لم يتصدر لم يبذل شيئًا، ولم ينفع غيره ولو برأي أو مشورة، وتمنى فشل كل عمل لم يكن في صدارته.
- أن يعيب الناس ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحدًا عنده بخير.

قال الإمام أحمد لسفيان:

«حب الرياسة أعجب إلى الرجل من الذهب والفضة، ومن أحب الرياسة طلب عيوب الناس أو عاب الناس»[(٢)].

- أن لا يدل على من هو أفضل منه في الدين أو العلم ويحجب فضائل الآخرين، ويكتم أخبارهم كي لا يستدل الناس عليهم، فيتركونه ويذهبون إليهم.
- أن يحزن إذا سُلِبت منه الرئاسة، ولو أُعطِيت لمن هو أكفأ منه وأفضل.

---

(١) صحيح: رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٣٠٤.
(٢) الآداب الشرعية ٢/ ٢٤١.







دواء الحرص على الرئاسة

علاجها بأمرين:

الأول: تدبر عواقب التقصير في الآخرة:

قال ﷺ: **«ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله مغلولاً يده إلى عنقه، فكَّه بِرُّه أو أوثقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»**[1].

الأب في البيت! المدير في الشركة والمحافظة! صاحب العمل وتحته عمال! المربي والداعية .. كل هؤلاء مسؤولون، ويخاطبهم هذا الحديث.

أول الإمارة ملامة: فتتوجه إليك سهام الانتقادات، وأوسطها ندامة: إذا نُحِّيتَ عن منصبك، وآخرها: خزيٌ يوم القيامة إن لقيت الله عز وجل بخيانة أو عدم قيامك بمسؤولياتك.

الثاني: استشعار خطر المسؤولية:

قال النبي ﷺ:

«إن الله تعالى سائل كل راعٍ عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[2].

وكلما كبرت المسئولية، ازداد الحساب واشتد، حتى قال النبي ﷺ:

«ليتمنين أقوام وُلّوا هذا الأمر أنهم خَروا من الثريا وأنهم لم يلوا شيئًا»[3].

---

(١) حسن: رواه أحمد عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٧١٨ والصحيحة رقم: ٣٤٩.

(٢) حسن: رواه النسائي وابن حبان عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ١٧٧٤.

(٣) حسن: رواه أحمد عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٣٦٠ والصحيحة رقم: ٣٦١.

ولم يصرِّح النبي ﷺ في الحديث متى تكون هذه الأمنية؟

هل هي يوم القيامة، أم عند السياق والاحتضار، أم في القبر وعالم البرزخ، أم في ذلك كله؟!

ولم يحدِّد كذلك هل هذا التمني خاص بالحاكم العادل أم الظالم، وذلك بما يوحيه تنكير كلمة «**أقوام**»، فقد رُوِي أن القاضي العادل يتمنى يوم القيامة أنه لم يقضِ بين اثنين في تمرة[1].



الحرص على الشهرة

حب الشهرة من مفاتيح النفاق؛ لأنه يحوِّل المجتمع إلى مجتمع يهتم بالمظهر على حساب الجوهر، فيتفشى الكذب والخداع والتصنع بين الناس، وهذه هي التربة المناسبة لنمو النفاق، وهذا يعني سقوط النماذج الصادقة ليبرز مكانها البالونات الكاذبة والسراب المضلل، فليس كل مشهور ناجحًا أو ناجيًا عند الله، وليس كل مغمور فاشلًا أو متأخرًا؛ ولذا فالشهرة يجب ألا تكون هدفًا للمؤمن، بل يمكن أن تكون ثمرة الأعمال الصالحة أحيانًا، وإن أهل الخير لا يقصدون الشهرة ابتداء، فإن وقعت لهم من الله تعالى هربوا منها، فقد كانوا يُؤثِرون خمول الذكر، فقد خرج عبد الله بن مسعود ذات يوم من منزله، فاتَّبعه الناس، فالتفت إليهم قائلاً:

«علام تتبعوني؟ والله لو تعلمون ما أُغلِق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان»[2].

وفي لفظ آخر أنه قال:

---

(١) ضعيف: «ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يَقْضِ بين اثنين في تمرة قط». رواه أحمد عن عائشة كما في ضعيف الجامع رقم: ٤٨٦٣.

(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا ص ٧٨ دار الكتب العلمية – بيروت.



«ارجعوا، فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع»[1].

لكن مِنِ الناس من يتطلع للمناصب، ويهوى الظهور أمام العدسات وتحت الأضواء وفي مقدمة الصفوف، وأن يكون اسمه مكتوبًا بالخط العريض، وإلا سخِط واعتزل، ولذلك كانت الشهرة مهلكة؛ لأنها تذبح إخلاص العبد، وتسهِّل وقوع الرياء؛ فالمشهور يصبح هدفه رضا الخلق لا الخالق، ويهتم بالظاهر أكثر من الباطن، ويستهويه ثناء الناس أكثر من ثناء الله.



ومن العجيب أن يحج مع النبي ﷺ ما يربو على مئة ألف صحابي، فلا يقدر ابن حجر العسقلاني على قوة حفظه وسعة اطلاعه أن يجمع لنا في كتابه الإصابة أكثر من ثمانية آلاف صحابي، فأين البقية! إنهم من وصفهم النبي ﷺ بقوله:

«إنَّ الله يُحِبُّ العبد التَّقيَّ الغني الخفي»[2].

وحب الله للعبد هنا سببه صدقه، فالصادق لا يهمه سوى رضا مولاه؛ ولذا ربط إبراهيم بن أدهم بين صدق العبد وعدم حبه للشهرة فقال:

«ما صدق اللهَ عبدٌ أحب الشهرة»[3].

وشاركه الرأي أيوب السختياني حين قال:

---

(١) صفة الصفوة ١/ ١٥٣.
(٢) رواه مسلم ٢٩٦٥.
(٣) المنتظم ٣/ ٦١.





«ما صدَق عَبْدٌ قطُّ، فأحبَّ الشُّهرة»[1].

وعزَّزهما ثالثٌ هو بشر بن الحارث فقال:

«ما اتَّقَى اللهَ مَنْ أَحَبَّ الشُّهْرَة»[2].

كما تضافرت أحوال الصالحين في البعد عن الشهرة رغبة في ثواب الله وإيثارًا لما عنده، فكان خالد بن معدان إذا عظمت حلقته (أي كثر تلاميذه في حلقة التدريس) قام فانصرف، وقيل في ذلك: «كان يكره الشُّهرة»[3].

قال الإمام الذهبي معلِّقًا:

«ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد، فإن أعجبه كلامه فليصمت، فإن أعجبه الصمت فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه؛فإنها تحب الظهور والثناء»[4].



التوازن المفقود!

لكن التوازن مطلوب، وإلا صار كل المشهورين من الفجار والغافلين، ولتوارى الصالحون في بيوتهم وخلواتهم؛ ليتركوا الناس فريسة للمبطلين، وفي هذا فساد ما بعده فساد.

وإليك هذا النص البديع من الإمام النووي يرشد إلى التوازن الحكيم، حيث قال في كتاب القضاء من (روضة الطالبين):

«وأما من يصلح -أي للقضاء- فله حالان، أحدهما: أن يتعين للقضاء، فيجب

---

(١) سير الذهبي ٦/ ٢٠.

(٢) سير الذهبي ١٠/ ٤٧٦.

(٣) المنتظم ٢/ ٣٩٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٤.



عليه القبول، ويلزمه أن يطلبه ويُشهِر نفسه عند الإمام إن كان خاملاً، ولا يُعذَر بأن يخاف ميل نفسه وخيانتها، بل يلزمه أن يقبل ويحترز، فإن امتنع عصى»[١].

وقال بعدها:

«وأما الطلب، فإن كان خامل الذكر، ولو تولى اشتهر، وانتفع الناس بعلمه، استُحِبَّ له الطلب على الصحيح»[٢].

وهذا هو الفقه الذي تقوم عليه الأدلة، ويرشد إليه الفقه السليم، وقد ازداد جماله لأنه صادر من عالم عامل عابد زاهد.

والذي يظهر في كتب السير، ويُشاهد على أرض الواقع، أن الشهرة كالإمارة، من طلبها وُكِل إليها، وأصابه من ضررها بحسب ما في قلبه من طلبها، ومن أتته دون طلب وسعي، أُعين عليها.



من فرّ من الشهرة أتته وهي راغمة!

وما أجمل أن نستشهد هنا بنموذج الإمام أحمد بن حنبل، من قال عنه الإمام الذهبي:

«وكان يحب الخمول والانزواء عن الناس، ويعود المريض، وكان يكره المشي في الأسواق، ويؤثر الوحدة»[٣].

وكان الإمام أحمد يقول:

---

(١) روضة الطالبين ١١/ ٩٢.

(٢) روضة الطالبين ١١ / ٩٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٦٦.





«أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحدٌ من الناس»[1].

فلما مات .. كيف كانت شهرته؟! وما حجم جنازته؟!

قال فتح بن الحجاج:

«سمعت في دار ابن طاهر الأمير، أن الأمير بعث عشرين رجلاً، فحزروا كم صلى على أحمد بن حنبل، فحزروا، فبلغ ألف ألف وثمانين ألفًا سوى من كان في السفن»[2].

وقال أبو زرعة:

«بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف عليه الناس حيث صُلي على أحمد، فبلغ مقام ألفي ألف وخمسة مائة ألف»[3].

فمن زهد في الشهرة أتته الشهرة راغمة، ومن فاح عبيره بين الناس، فهو دليل صلاحه في السِّر.

إن شهرتك الحقيقية في السماء، ثم تنسكب قبولاً
على أهل الأرض، وكم من مشهور في الأرض مجهول في السماء،
ومجهولٍ في الأرض مشهور في السماء.
إنما الشهرةُ في السماء، وما أعظمها من شهرة..
وما أبهجها من معرفة!
وما أكرمه من ذكر!
وما أشرفها من كرامة!
شهرةٌ تنال بها سعادة الدنيا وكرامة الآخرة.

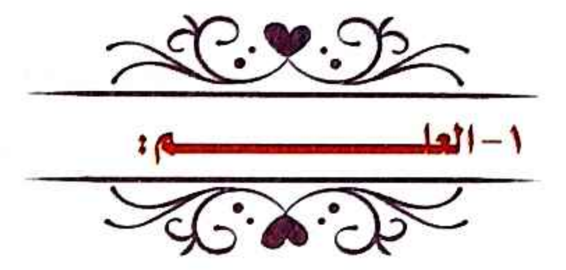
---

(١) السابق ١١ / ٢٦٦.
(٢) السابق ١١ / ٣٤٠.
(٣) السابق ١١ / ٣٤٠.




1. العلم
2. كثرة الذكر
3. خبيئة العمل الصالح
4. الصحبة
5. الإنفاق في سبيل الله
6. العمل بالعلم
7. الدعاء
8. الصلاة في المسجد وصلاة الجماعة
9. حسن التعامل مع مواسم الفتور
10. جلسة المحاسبة





١- العلم:

أمر الله بالعلم، وأوجبه قبل العمل، فقال سبحانه: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وقد بوَّب الإمام البخاري لهذه الآية بقوله: «باب: العلم قبل القول والعمل»، وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين: بالعلم، ثم العمل، وبدأ بالعلم فقال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، ثم أعقبه بالعمل: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾، فدلَّ ذلك على أن مرتبة العلم مُقدَّمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرطٌ في صحة العمل.

وقد مرَّ بنا أن حذيفة كان يسأل النبي ﷺ عن الشر مخافة أن يناله، فمن فقَد العلم وقع في فخِّ النفاق دون أن يشعر، وعلى المرء أن يتعلم ما هي صفات المنافقين وأحوالهم حتى لا يلحق بهم، فيحبط عمله، ويهدم ما بناه، وما أصدق قول عمر بن عبد العزيز:

«من عبَد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[١].

والعلم هنا ينصرف للعلم بصفات المنافقين وأحوال أهل النفاق، فإن الجهل بها جعل الكثيرين يقعون في خصال النفاق وهم لا يشعرون، ويؤاخون أهل النفاق وهم لا يعلمون، ويوالون رؤوسه وهم فرحون! وهذا مُشاهَد لأن الجهل يتنوع ويتفاوت في الدرجات، والخليل بن أحمد سبق وأن رأى هذا، فأشار إليه قائلاً:

«الرجال أربعة:

- ورجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه.

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٨٢.



- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك جاهل فعلِّموه.
- ورجلٌ يدري ولا يدري أنه يدري فذلك غافل فنبِّهوه.
- ورجل لا يدري ولا يدري أنّه لا يدري، فذلك مائق فاحذروه (المائق: الهالك حمقًا وغباوة)»[1].



٢- كثرة ذكــــر الله:

قال كعب رضي الله عنه:

«من أكثر ذكر الله برئ من النفاق»[2].

فمن خاف من النفاق، فليكثر من ذكر الله، وكُلّما زاد ذكرك لله، زاد بُعدك عن صفات المنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾[الأحزاب:٤١]، فكثرة الذكر ستؤدي حتمًا لتأثير الذكر على القلب.

قال أبو حامد الغزالي:

«ومن أكثَر من ذِكر شيء وإن كان تَكَلُّفًا أحبَّه، فكذلك أول الذكر مُتكَلَّف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخِرًا!

وهذا معنى قول بعضهم: كابدتُ القرآن عشرين سنة ثم تنعَّمتُ به عشرين سنة، ولا يصدر التنعيم إلا من الأُنس والحب، ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعًا»[3].

والذكر ليس مجرَّد ترديد ألفاظ وكلمات، فإن الذكر كاسمه، ضد النسيان،

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ٨٢٠- دار ابن الجوزي.
(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٧٨ .
(٣) إحياء علوم الدين١/ ٣٠٢ .



وكثرة ذكرك لربك ستؤدي إلى تذكره عند لحظات الضعف والغضب، ووقت المعصية، فيردعك الذكر عن السقوط في الذنب، وحتى لو سقطت، فسترجع إلى ربك تائبًا بلا تأخير؛ لتستدرك التقصير.

لكن كيف يُكتَب العبد عند الله من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؟!

الذكر الكثير هو الذي يزيِّن كل مكان ويعطِّر كل أرض يحِلُّ بها، وهي وصية أبي مسلم **الخولاني** حين أتاه رجل وقال له:

أوصني يا أبا مسلم.

قال: اذكر الله تحت كل شجرة وحجر.

قال: زدني، فقال: اذكر الله حتى يحسبك الناس من ذكر الله مجنونًا.

قال: فكان **أبو مسلم** يُكثِر ذكر الله، فرآه رجل يذكر الله، فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟! فسمعه **أبو مسلم** فقال:

«ليس هذا بالجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواء الجنون»[1].

الذكر الكثير هو الذي يشغل لسانك حتى أثناء أعمالك الدنيوية وعاداتك اليومية وأوقاتك البينية.

قال إسحاق بن هانئ:

«تعشَّيتُ مرة أنا وأبو عبد الله وقرابة لنا، فجعلنا نتكلم وهو يأكل، وجعل يمسح عند لقمة بيده بالمنديل، وجعل يقول عند كل لقمة: الحمد لله وبسم الله، ثم قال لي: أكل وحمد خيرٌ من أكل وصمت»[2].

ومن هنا قال مجاهد:

«لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا

(١) شعب الإيمان ١/ ٤٥٥.

(٢) بدائع الفوائد ٤/ ١١٩.



حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا»[1].

الذكر الكثير هو الذي لا يُقعِدك عنه ظرف ولو كان شديد الوطأة، وهل أشد وطأة من الجهاد؟!

قال **محمد بن كعب القرظي**:

«لو رُخِّص لأحد في ترك الذكر، لرُخِّص لزكريا عليه السلام. قال تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ٤١]، ولو رخِّص لأحد في ترك الذكر لرخِّص للذين يقاتلون في سبيل الله. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥]»[2].

الذكر الكثير هو أن تقوم الليل مصليًا مع زوجتك تعينها وتعينك. قال رسول الله ﷺ:

«من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصلَّيا ركعتين كُتِبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات»[3].



الذكر الكثير هو أن تنسب فضل ذكرك لربك لا لنفسك، وتعلمَ أنه لولا الله لما ذكرتَه ولا أطعته: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]، ومن هنا قال أبو عثمان الحيري:

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٣.

(٢) الحلية ٣/ ٢١٥.

(٣) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم كما في صحيح الجامع رقم: ٦٠٣٠.



«الذكر الكثير أن تذكر في ذكرك له أنك لا تصل إلى ذكره إلا به وبفضله»[1].

الذكر الكثير أن تحافظ على الأذكار المأثورة، وقد سئل الإمام أبو عمرو ابن الصَّلاح عن القَدْر الذي يصير به العبد من ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥]، فقال:

«إذا واظبَ على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلا ونهارا، وهي مُبيَّنة في كتاب: عمل اليوم والليلة، كان من ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]»[2].

٣- خبيئة العمل الصالح:

«كان يُقال: ما سهر الليل منافق»[3].

كلمة بمثابة قانون نافذ نشر بنوده قدوة المفسرين والمحدثين قتادة بن دعامة، وقد صدق، فإن عمل السر يروي شجرة الإيمان في القلب ويقتلع جذور النفاق، ومن قام الليل بعيدًا عن أعين الناس كان هذا علامة إيمانه.

جاء رجل إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال :

يا أبا عبد الله : إني أخشى أن أكون منافقًا .

قال حذيفة: تصلي إذا خلوتَ، وتستغفر إذا أذنبت؟

قال: نعم.

قال : «اذهب، فما جعلك الله منافقًا».[4]

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٠٦.

(٢) نقله النووي في الأذكار ص ١٠.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٦١/ ٢٥١، ط دار الفكر.

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ٣١- ط دار الكتب العلمية.



وما أجمل البشارة!

> فاحرص على أن يكون لك خبيئة من عمل صالح لا يعلم بها أحد، لا زوجة، ولا صاحب، ولا ولد، فهذا من أعظم ما يطرد النفاق عن قلبك، وينفعك في زمن غربة الدين وكثرة المبطلين، ويسعفك عند هجمة الشهوات ورواج الشبهات، لتكون هذه الخبيئة هي الواقية العاصمة للعبد، والتي تحفظ العبد عند الفتن ومع شيوع الزلل.

رحم الله العمَّ الحبيب أبا بدر عبد الله المطوع وهو من رواد العمل الخيري والإسلامي في الكويت، واسمع ما حكاه الشيخ القرضاوي عن خبيئته التي كشفها الشيخ عنه بعد موته، وذلك في مقال له رثى به الشيخ بعد موته:

«وحسب أبي بدر عندي فخرًا: أنه كان أول من ساند دعوتي لإقامة مؤسسة تحافظ على الوجود الإسلامي للأمة في مواجهة خطة التنصير التي قرَّرها المنصرون الأمريكان الذين اجتمعوا في ولاية كولورادوا سنة ١٩٧٨م في مؤتمر قرروا فيه: تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، جمعوها في الحال، وأنشأوا لذلك معهدًا سموه معهد (زويمر) لتخريج مبشرين متخصصين في تنصير المسلمين.

وحين ناديت -في الجلسة الختامية لمؤتمر المصارف الإسلامية الذي انعقد في الكويت- بضرورة تأسيس هذه المؤسسة أو الهيئة، ورشحت أمينًا عامًّا لها: الشيخ يوسف جاسم الحجي، وطلبت من الحضور أن يكونوا أول المساهمين في إنشاء هذا الكيان المنشود.

وهنا لا أنسى موقف أبي بدر رحمه الله، وغفر له وجعل الجنة مثواه، الذي أقبل عليَّ، وهمس في أذني قائلاً: إني أتبرع لهذا المشروع بمليون دولار، أودعها لحسابه في بيت التمويل الكويتي، وأرجوك ألا تعلن عن اسمي..

وكانت هذه الخطوة بشرى بنجاح دعوتي، وقد بادرت بالإعلان عن التبرع



بمليون دولار، دون أن أذكر اسم المتبرع كما طلب، ثم لم تمضِ مدة حتى عرف الناس من هو صاحب المليون.

ولم يكتفِ أبو بدر بذلك، بل ضم إلى المليون عمارتين من عماراته أوقفها لصالح المشروع».

لهذا؛ فإنَّ من توفيق الله تعالى للعبد أن يحافظ على هذه الوصية الزُّبيريَّة (نسبة إلى الزبير بن العوام):

«من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل»[1].

فإن قلت: مثِّل لي بمثالٍ على هذه الخبيئة، فالجواب:

أمثلة هذا كثيرة:

- أن تدمع عينك وأنت خالٍ بربك!
- أو تتصدَّق بصدقةٍ فتخفيها؛ حتى لا تعلم شمالك ما أنفقت يمينك.
- أو يصِل معروفك إلى مسكين متعفِّف، فلا يعلم عن إحسانك إليه أحد إلا الله.
- أن تصلي النوافل في البيت وبعيدًا عن أعين الناس، ممتثلًا وصية النبي ﷺ:

«أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة»[2].

وبالخبيئة يزداد الأجر ويرتفع القدر!

ذُكِر ابن المبارك عند الإمام أحمد- رحمهم الله جميعًا - فقال الإمام أحمد:

«ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئةٍ كانت له»[3].

---

(١) الزهد لأحمد ١/ ١١٩.
(٢) صحيح: متفق عليه من حديث زيد بن ثابت، وهو في صحيح أبي داود رقم: ١٣٠١ .
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٣٣٠.



وتشمل خبيئة العمل الصالح كذلك أن يجتنب العبد ذنوب الخلوات ومعاصي السر، فإن ألمَّ بشيء منها، فليتُب منها فورًا، وبعبادة عملية، وبهذا أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه:

«وإذا عملتَ سيئة، فاعمل بجنبِها حسنة، السِّر بالسِّر، والعلانية بالعلانية»(١).

وأخذها صحابيٌّ آخر هو سلمان الفارسي، فقال آخذًا بيدك إلى طريق التوبة:

«إذا أسأت سيئةً في سريرة، فأحسن حسنةً في سريرة، وإذا أسأت سيِّئةً في علانية، فأحسن حسنة في علانية؛ لكي تكون هذه بهذه»(٢).

ودور خبيئة العمل الصالح
أن تروي شجرة الإيمان في القلب،
وتقتلع بذور النفاق،
وكلما زادت أعمال السر أمن العبد من النفاق، وسلِم من كثيرٍ من أمراض القلوب.



الصدقة كنموذج

قال ابن عباس: «تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره».

قال ابن كثير وهو يشرح كلام ابن عباس ويبيِّن سبب تمام هذا المعروف:

«يعني أن تُعَجَّلَ العطية للمُعْطَى.

وأن تصغر في عين المُعْطِي.

(١) حسن: رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل كما في الصحيحة رقم: ١٤٧٥.
(٢) التوبة لابن أبي الدنيا ص ١٢١ - ط مكتبة القرآن.





وأن تسترها عن الناس فلا تُظْهِرها!

فإن في إظهارها فتح باب الرياء، وكسر قلب المُعطَى، واستحياءه من الناس»[1].

وفيه لون من ألوان المَنِّ المذموم، وقد قال رجل لابن شُبْرُمة: فعلتُ بفلان كذا وفعلت به كذا؛ فقال: لا خيرَ في المعروف إذا أُحصِي[2]، وصدق القائل:

أفسدت بالمنِّ ما أسديتَ من حُسْنٍ   ليس الكريم إذا أسدى بمنّان



٤- الصحبة:

الصحبة السيئة تحسِّن القبيح، وتقبِّح الجميل، وتجر إلى الخطأ، وتُبعِد عن الخير؛ لأن المرء يتأثر بعادات جليسه وأخلاقه بل وآرائه؛ فالصاحب ساحب، وكثرة المجالسة رِقٌّ، والدخان وإن لم يحرق البيت سوَّده، وصحبة السوء وإن لم تفسد قلبك غيَّرته..

قال النبي ﷺ:

«الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[4].

وفي هذين الحديثين نهي جازم عن صحبة غير المؤمن؛ ليس لأنه فقط يقود إلى الشر، بل لأن أثره يبقى طويلاً ليؤثِّر على القناعات والآراء والتصورات، وإن من

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣٠٥.

(٢) عيون الأخبار ٣/ ١٧٩.

(٣) حسن: رواه الترمذي وأبو داود وأحمد كما في صحيح الجامع الصغير ٣٥٤٥..

(٤) حسن: رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: ٧٣٤١.



طبيعة البشر سرعة التأثر بمن يخالطون، فيتأثرون حتى بالبهائم! قال النبي ﷺ:

«الفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل،
والفدَّادين أهلِ الوبر، والسكينة في أهل الغنم»[١].

فإذا كان رعاة الإبل يرثون منها الكبر والفخر والخيلاء، ورعاة الغنم يتعلَّمون منها السكينة والتواضع، فيتأثر الإنسان ببهيمة لا عقل لها، ولا يفهم لغتها، فما ظنك بالإنسان الذي يبادلك الحديث، ويؤزُّك إلى السيئات، ويزيِّن لك الشهوات!

وليست عدوى الجليس لجليسه بكلامه وأفعاله فحسب، بل بمجرد النظر إليه. قال المناوي:

«دوام النَّظر الى المحزون يحزن، وإلى المسرور يسُرُّ، والجمل الشرود يصير ذلولاً بمقارنة الذلول، فالمقارنة لها تأثير في الحيوان، بل في النبات والجماد، ففي النفوس أوْلى، وإنما سُمِّي الإنسان إنسانًا لأنه يأنس بما يراهُ من خير وشر»[٢].

ولمح أثر هذه (النظرة) وتأثيرها الإمام الزاهد إبراهيم بن أدهم، فقال في تحذير شديد اللهجة:

«كثرة النظر إلى الباطل، تذهب بمعرفة الحق من القلب»[٣].

ومثله الفضيل بن عياض الذي قال في التحذير عن النظر إلى مواكب الظالمين:

«لا تنظروا إلى مراكبهم، فإن النظر إليه يطفئ نور الإنكار عليهم»[٤].

فكيف لو ساند هذا الباطل إعلامٌ تموِّله مليارات الدولارات؟!

---

(١) صحيح: رواه أحمد عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: ٤٢٨١. قال أبو عمرو: «في الفَدَادِين (بتخفيف الدال). وأحدهم فَدَّان (بتشديد الدال)، وهي البقر التي يُحْرَث بها، وأهلها أهل جفاء لبعدهم عن الأمصار والنَّاس». المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٩٣- ط الدار التونسية للنشر.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٩٥ - المناوي - مكتبة الإمام الشافعي - الرياض.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٢ - ط دار الكتب العلمية.

(٤) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٦.



وقد رأينا من يُكثر مطالعة الباطل على حساب الحق في الصحف والمقالات والفضائيات ويوغل فيها، حتى ذهبت معرفة الحق من قلبه من حيث لا يشعر.

ولهذا جاءت نصوص الوحيين القرآن والسُّنَّة بالتحذير من الجلوس بين المُبطلين: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠].

> إن تغيير الصحبة ضرورة لازمة لمن أراد النجاة من فخ النفاق؛ لأن صحبة السوء لن يتركوك، ومن ورائهم الشيطان لن يفلتك.
>
> ورفيق السوء تتسرب إليك منه صفات المنافقين، ويدعوك للكسل عن العبادات، والفتور عن الواجبات، والتأخر عن المكرمات.
>
> صاحب السوء كالأجرب يُعدي الصحيح، وما سمعنا يومًا أن صحيحًا قلَب الأجرب صحيحًا.

ومن هنا آثر الصالحون الوحدة عن صحبة السوء، فقال مُطَرِّف:

«جليس الصَّالح خَيْرٌ مِن الوحدة، والوحدة خيرٌ مِنْ جليس السوء»(١).

ولذا وجدنا الإمام الشافعي ينشد:

إذا لم أَجِدْ خِلًّا تَقِيًّا فوِحْدتي	ألَذُّ وأشهى من غَوِيٍّ أُعاشِره
وأجْلِسُ وَحْدي للعِبادة آمِنا	أقَرُّ لِعَيْني مِنْ جَليسٍ أُحاذِرُه



وإن مقياسك الوحيد للاستمرار في علاقتك مع شخص أو الانقطاع عنها هو مدى استفادتك خيرًا من وراء هذه العلاقة.

قال مالك بن دينار:

---

(١) الزهد لأحمد ١/ ١٩٦ – ط دار الكتب العلمية.





«كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا، فانبذ عنك صحبته»[(١)].

ويتفاوت الإخوان في خيريتهم، فعلى أي أساس يقع هذا التفاوت؟!

يجيب ابن حبان فيقول:

«خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة»[(٢)].

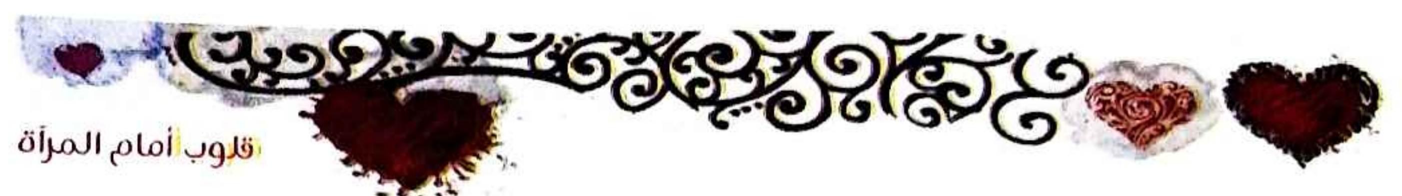
وأما حال البعض، فهو شبيه بما حكاه أبو قدامة المقدسي في مرارة، وكأنه يتكلم عن زماننا:

«وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرِّفنا عيوبنا!

ويكاد هذا أن يكون مفصحًا عن ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السيئة حيّات وعقارب لدّاغة، فلو نبَّهَنا منبِّه على أن تحت ثوبنا عقربًا لتقلدنا منه وفرحنا به، واشتغلنا بإزالة العقرب وقتلها، وإنما نكايتها على البدن، ولا يدوم ألمها يومًا فما دونه، ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبد الآباد، ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها، ولا نشتغل بإزالتها، بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته، فنقول له: «وأنت أيضًا تصنع كيت وكيت»، وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه، ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب، وأصل كل ذلك ضعف الإيمان»[(٣)].

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٤٨).
(٢) روضة العقلاء ص١٩٥.
(٣) موعظة المؤمنين ص١٨١ - ١٨٢.







صحبة العلماء أهم وأخطر

وصحبة العلماء أهم، لكنها أيضًا أخطر، والتلقي عنهم أعظم، وقد يُصغي العبد إلى عالم غير عامل بعلمه، أو عالم باع دينه بدنيا غيره، فإذا أصغى إليه قلَب الحق لديه باطلاً، وأراه الشر خيرًا، فكان ممن ضلَّ سعيه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعًا، ولذا أوصى محمد بن سيرين بوصيته الرائعة:

«إنَّ هذا العلم دِينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»[١].



صرخة نذير وصيحة تحذير!

عند غربة الدين وعلو المنافقين وغياب الصالحين..

قال كعب بن مالك بعد تخلفه في المدينة عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك:

«فكنت إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطُفْتُ فيهمَ أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصًا عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء».

وفي هذا رسالة:

إذا رأيت نفسك..

- قد أحاط بك أهل الغفلة من كل جانب.
- ولا يبذل لك النصح إلا من شهد الناس عليه بالشرِّ.

---

(١) رواه مسلم في مقدمته كما في صحيح مسلم ١/ ١٤.

- ولا تبث همومك إلا إلى رجل مغموس بنفاق.

- ولا يصحبك إلا من يصيب من إيمانك ويهدم من تقواك.

- ولا يفرح بك إلا كل متهمٍّ في دينه..

فاعلم أنك على شفا جُرُفٍ هار.

وأنها زمرة خاسرة توشك أن تجرك إلى النار، وإن أنت تابعتَها وجاريتها ستتوالى عليك الأوزار.

أخي ..

الصاحب ساحب.

وأهل الجنة وأهل النار لا يُساقون إلى النعيم أو الجحيم إلا زمرًا وجماعات.

صاحب الخير خير من صاحب السوء.

والعزلة خير من صاحب السوء.

يا رب ..

ارزقني جليسًا صالحًا..

أرى في مرآته عيوب نفسي.

وأفرح إذا أهدى إليّ عيوبي.

ويأخذ بيدي إن استزلني الشيطان.

أو خفَت في قلبي وهج الإيمان.

وصلت رسالتك يا كعب، فأعِنّا على العمل بها يا رب.







٥- الإنفاق في سبيل الله:

قال النبي ﷺ:

«وإن الشُّحَّ والفحش والبذاء من النفاق، وإنّهن يُنقِصْن من الآخرة، ويزِدْن في الدنيا، وما يُنقِصْنَ من الآخرة أكثر مما يَزِدْنَ من الدنيا»[١].

وبالعكس، فإن الكرم والجود علامة الإيمان، ودليل اليقين بموعود الله.

والجود بالمال يربي النفس على البذل والتضحية، وهي خصال لا يعرفها المنافق الذي يؤثر نفسه، ويدور حول مصالحه ومنافعه، فتأتي الصدقة والإنفاق والكرم لمعالجة هذا المرض.

لكن الكرم يحتاج إلى تكلف ومجاهدة نفس في البداية حتى تلين له النفس وتستقيم، حتى ولو كان المنفق أكرمَ الكرماء، فهذا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وهو الملقَّب بطلحة الخير وطلحة الفيَّاض يُدلي إلينا بهذا الاعتراف:

«إنا لنجِد بأموالنا ما يجِد البخلاء؛ لكننا نتصَبَّر»[٢].

فاستعن بالله على نفسك، واصدق في اللجأ إليه للتخلص من آفة الشُّحِّ، وإنما العلم بالتعلم، والكرم بالتكرم، والجود يأتي باصطناع الجود، وكلما زاد جودك تراجع منسوب النفاق في قلبك، وعلا موج الإيمان بدلاً منه.

---

(١) صحيح: رواه الطبرني باختصار، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٣٨١.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٥٥.





٦- العمل بالعلم:

قد مرَّ بك حديث:

«أكثر منافقي أمتي قُراؤُها»(١)

وما هذا إلا لأنهم لا يعملون بعلمهم، وابتلاء قُرّاء القرآن بالنفاق آفة معروفة من قديم، حتى قال يوسف بن أسباط:

«والله لقد أدركت أقوامًا فُسّاقًا كانوا أشد إبقاء على مروءاتهم من قراء أهل هذا الزمان على أديانهم»(٢).

وفي الحديث:

«ويلٌ لأقماع القول، ويلٌ للمُصِرّين
الذين يُصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»(٣)

وهم الذين يسمعون الحكمة والموعظة، ولا يعملون بها، فشبَّه آذانهم بالأقماع التي يُصبُّ فيها الكلام، وإذا دخل في آذانهم خرَج من الأذن الأخرى، دون أن يمر على القلب، فلم ينتفعوا مما سمعوا بشيء، فالعلم عندهم بلا عمل، وأما المؤمنون فعلى غير هذا، يجتهدون في العمل بما علِموه.

وقد كان رسول الله ﷺ يسأل ربه الانتفاع بعلمه قبل سؤاله زيادة العلم، فكان من دعائه:

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٠٣.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨.
(٣) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة كما في سنن ابن ماجة رقم: ٢٥١، وسنن الترمذي رقم: ٣٥٩٩ وصححه الألباني.

«اللهم انفعني بما علَّمتَني، وعلِّمني ما ينفعني، وزِدْني علمًا».[1]

وأحيانا تغلبنا شهوة الكلام، وتطغى على الأعمال؛ ولذا أوصى أبو قلابة أيوبَ السختياني:

«يا أيوب .. إذا أحدَث الله لك علمًا، فأحدث له عبادة، ولا يكونن همك أن تُحدِّث به الناس»[2].

إن اعتياد سماع العظات دون تحويلها إلى عبادات، والتلذذ بطلب مزيد العلم دون مزيد العمل، يجعل العبد على خطر عظيم، ويكون العلم حجة عليه لا له، وقد يجرف هذا العبد من شاطئ الإيمان إلى ساحل النفاق دون أن يشعر، وإن مثلين خطيرين ضربهما القرآن لعلماء لم يعملوا بعلمهم فأضرهم، الأول لبلعام بن باعوراء، والثاني لليهود مثل الحمار يحملون أسفارًا.

ولهذا قال ابن السَّمَّاك:

«كم من شيءٍ إذا لم ينفع لم يضرَّ، لكن العلمَ إذا لم ينفع، ضَرَّ»[3].

والعمل بالعلم من الفوارق الرئيسة بين المؤمن والمنافق كما قال إمام أهل الشام الأوزاعي:

«إن المؤمن يقول قليلًا ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يقول كثيرًا ويعمل قليلًا»[4].

فإن لم تجد قولك موافقًا لعملك، فاعلم أن هذا نذير النفاق، وفي المقابل إن حرص العبد على العمل بعلمه، ومزاحمة الأعمال الخبيثة بأخرى طيبة، فهذا خير ما

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبيهقي عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٨٩٧ والصحيحة رقم: ٤٨٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٦٥٣- دار ابن الجوزي.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٥.



يطرد به خصال **النفاق**؛ فإن القلب الذي تستقر فيه معاني الإيمان تنصرف عنه معاني **النفاق**، مِثْل الوعاء إن ملأته بالعسل نفى غيره، وإن ملأته بالتراب لم يقبل غيره.

فامتثِل لما أَمرك الله به، وانتهِ عما نهاك عنه، ولا تُقِم الحجة على نفسك بسماعٍ دون فعل، وعِلْمٍ دون عمل.

- سمعتَ حديثًا في فضل الصدقة، فألزم نفسك هذا الأسبوع بصدقة يومية مهما كانت قليلة.
- عرفتَ فضل ذكرٍ من الأذكار، فألزِم نفسك بالمحافظة عليه.
- وصلتك رسالة على صفحتك عن فضل صلة الرحم وأنت متهاون في هذا الامر، فألزم نفسك اليوم أن تصل رحمك ولو بمكالمة هاتفية.



خطورة عدم العمل بالعلم

ولعل من أشهر نماذج التقصير في العمل بالعلم، والتي تكاد تطال كل مسلم، هو العمل بشهادة التوحيد، وما ذكرتها هنا إلا كمثال.

قال الله تعالى:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

ومعلومٌ أن قيمة الشهادة متعلقة بقيمة الشاهد، فكلما عظم قدر الشاهِد عظمت الشهادة، فلو قلتَ أن فلانًا من أعلم الناس، فلا شك أن شهادتك ستكون أعظم قدرًا وأشد مصداقية لو كنتَ عالمًا يشهد لك الجميع بالتميز في مجالك، فكيف لو كان الشاهد هو الله رب العالمين؟



الشهادة ثلاثة أركان: **شاهد، ومشهود** به وهو ما عاينه الشاهد، **وشهادة** وهي الإقرار عن حضور وعلم، وليست مجرد تكلم بكلام..

قال ابن القيم:

«فتضمَّنتْ هذه الآية: أجلَّ شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها من أجلِّ شاهد، بأجلِّ مشهود»[1].

والشاهد الأول هو الله جل جلاله، فهي شهادة نفسه لنفسه، وهنا مسألة ثابتة: (من ادَّعى أمرا فلم يُنازَع فيه ثبت له).

ولم يعلِن أحد أنه نازع الله في ألوهيته، فثبتت له الألوهية: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الإسراء: ٤٢].

قال ابن عباس في تفسيرها:

«يريد منازعة وقتالًا؛ كما يفعل ملوك الدنيا»[2].

ولما كان هذا غير موجود، فعُلِم يقينًا أن لا إله إلا الله.

وذكر ابن القيم في كلام له قيِّم أن شهادة الله لنفسه بالوحدانية تتضمن مراتب أربع: علم الله سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره خلقه به، وأمرهم وإلزامهم به.

والشاهد الثاني هم الملائكة الذين شهِدوا هذا الموقف، وحضروا شهادة الله لنفسه، فهم أصحاب شهود ومعاينة، فعلمهم بالتوحيد ليس حاصلاً من النظر في الأدلة كسائر البشر، وإنما علمهم به حاصل من التجلي الإلهي، وهو أقوى العلوم وأصدقها؛ فلذا قدَّمهم الله في الذكر على أولي العلم.

والشاهد الثالث هم أولو العلم، وهذه الشهادة قائمة على الدلائل، وعلى رأس

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٦٥.



أولي العلم: الأنبياء، وهي رؤية بصائر لا أبصار كما رأت الملائكة.

ومطلوب منك أن تكون أنت **الشاهد الرابع**[1]، فتنطق بشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) عن يقين ومعاينة لا عن ظن وريبة، فلا بد من حضور قلبك ومعاينته ومشاهدته، وليس مجرد نطق لسانك بقول: لا إله إلا الله.

مطلوبٌ أن تكون الشهادة حقيقية، فتعمل بها لا أن تنطق بها فحسب، وشهادتك هنا تابعة لشهادة الله وملائكته والعلماء.

فتردِّدها بلسانك بعد أن يمتلئ بها قلبك، ويدور في فلكها وجدانُك.

لا إله إلا الله ..

ولا صلاح للقلوب حتى تُفْرِد المحبوب بالمحبة والخوف والرجاء والسؤال والتذلل.

وركنا الشهادة نفيٌ وإثبات..

فالنفي (لا إله) براءةٌ من الطواغيت حجرًا كان أو بشرًا، أو معنًى أو وثنًا، أو عادةً جاهلية أو قانونًا يخالف شرع الله.

والإثبات (إلا الله) هو توحيد الله بكل معاني الطاعة والعبودية والخضوع.

ومعناها النظري ألا نافع ولا ضار إلا الله، ولا مُعِزَّ ولا مُذِلَّ إلا الله، ولا معطي ولا مانع إلا الله، ومعناها العملي: لجأتُ إلى الله، وتوكَّلتُ واعتمدت على الله، ولم أخف ولم أرجُ إلا الله.

وقد عرف العرب معنى كلمة التوحيد قديمًا؛ ولذا حاربوا النبي ﷺ وأبوا أن

---

(١) كان كثير من السلف الصالح يتفاعل مع هذه الآية، فمن ذلك لما دخل الشَّافِعِي على الرشيد بعد أن استدعاه، قرأ أولًا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ الآيتان، ثم قال: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع اللهَ هذه الشهادة، وهذه الشهادة وديعة لي عند الله يؤدِّيها إليَّ يوم القيامة. تفسير الإمام الشافعي ١/ ٤٦٤ - دار التدمرية - المملكة العربية السعودية.



تذل ألسنتهم بها، وهي كلمة!

لأنهم يعلمون أنها عقد يحتاج إلى وفاء، ولا بد من العمل بها، وسيترتب عليها تغييرات جذرية في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وفي أخلاقهم وعاداتهم، ومن ثَمَّ سيكون تغيير تام للمجتمع، وبقي أن نعلم اليوم ما علمته العرب بالأمس، ثم نعمل بما علمناه!



٧- الدعــــاء:

أيها الخائف من النفاق:

أنت آمِنٌ من النفاق بإذن الله، فالخوف هنا أمان.

ومن علامات خوفك من النفاق دعاؤك بأن يعافيك الله منه، فعن أنس ﷺ قال:

كان النبي ﷺ يدعو يقول:

«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعَيْلة والذِّلة والمسكنة.

وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء.

وأعوذ بك من الصمم والبكم



والجنون والجذام والبرص وسيئ الأسقام»[1]

هذا الحديث يحتوي على **٢٣ استعاذة** جامعة شاملة كافية واقية، ويمكن أن نقسِّمها إلى ثلاث مجموعات كما يلي:

المجموعة الأولى: الآفات التي تنال من عزيمة القلب وتوهنه.

والمجموعة الثانية: الأمراض القلبية المهلكة، ومن ضمنها النفاق.

والمجموعة الثالثة: الأمراض البدنية، وقد ختمها بوصف شامل حواها جميعًا فقال: «**وسيئ الأسقام**».

ومن الدعاء المأثور الذي يحمي قلبك كذلك ما أرشد إليه النبي ﷺ أبا بكر ﷺ حين قال: «**الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره**، تقول: **اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**، تقولها ثلاث مرات»[2].

ومن الدعاء المأثور كذلك الذي يحميك:

أكثر دعاء ردَّده رسول الله ﷺ، فقد كان أكثر دعائه:

«يا مقلِّب القلوب! ثبِّت قلبي على دينك».

فقيل له في ذلك، فقال:

إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ)[3].

وقد روى هذا الحديث أم سلمة، ورواه أنس، وروته أم المؤمنين عائشة، ورواه النواس بن سمعان، وكل هؤلاء روى أن النبي ﷺ كان يكثر من هذا الدعاء، مما

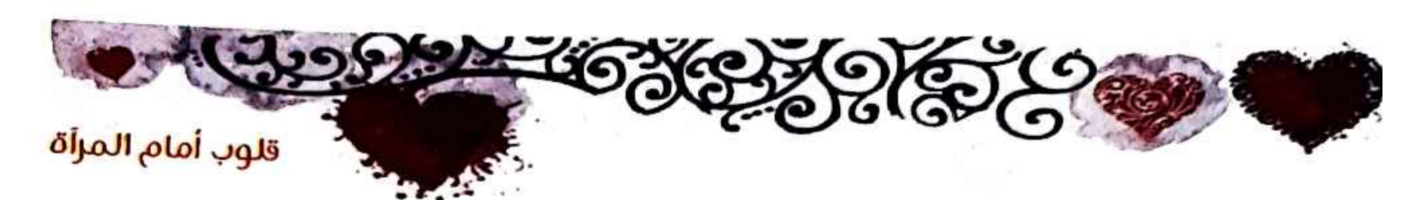
---

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٨٥ والمشكاة رقم: ٢٤٧٠ والإرواء رقم: ٨٦٠.

(٢) صحيح: رواه الحكيم عن أبي بكر كما في صحيح الجامع رقم: ٣٧٣١.

(٣) صحيح: رواه الحكيم الترمذي عن أم سلمة كما السلسلة الصحيحة رقم: ٢٠٩١.





يدل على أنه ﷺ كثير الدعاء به، وكان لسانه رطبًا بهذه الكلمات، وهو المعصوم من الخطأ، والمبرَّأ من الزلل، فكيف بمن دونه؟!



الصحابة يخافون ويقتدون!

وقد أكثر الصحابة -رضوان الله عليهم- من التعوذ من النفاق، مع أنهم خير القرون بشهادة النبي ﷺ، فقد سمع جبير بن نفير أبا الدرداء رضي الله عنه وهو في آخر صلاته، وقد فرَغ من التشهد يتعوَّذ من النفاق، فأكْثَر التَّعوُّذ منه.

فقال جُبَيْر متعجِّبًا: وما لك يا أبا الدَّرداء أنت والنِّفاق؟!

فقال: دعنا عنك، دعنا عنك، فوالله إن الرجل لَيُقْلَب عن دينه في الساعة الواحدة، فيُخلَع منه.

قال الذهبي معلِّقًا:

«وأمَّا النِّفاق الأكبر، وإنْ كان الرَّجل يعلم مِنْ نفسه أنه مسلم، فعليه أن يتعوَّذ بالله من النِّفاق والشِّرك، فإنه لا يدري بم يُخْتَم له، فربما أصبح مؤمنًا، وأمسى كافرًا، نعوذ بِوجه الله الكريم مِنْ ذلك»[1].



كيف تدعو؟

لكن.. ما إحساس قلبك عند الدعاء والاستعاذة من النفاق؟ فهذا ما أخبرنا به خبير النفاق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين تنبَّأ بهذا الزمان، فقال:

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٣.



«ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق»[(١)].

وتعليقًا على كلامه:

هل رأيت يومًا غريقًا أوشك على الموت وهو يدعو؟!

أيتعلق قلبه بغير النجاة؟!

هل تسمع تسارع ضربات قلبه، وهي تتلهف على نفَس هواء يستنشقه؟! إنها الروح التي لا بد أن تسري فيك إذا أردت النجاة في زمن الغربة، والثبات في عصر الفتن، والهداية عند شيوع الضلال، وما جاوز حذيفة الحقيقة حين وصف الفتن بهذا الوصف:

«ما الخمر صِرْفًا بِأَذْهَبَ بعقول الرجال من الفتنة»[(٢)].



٨- الصلاة في المسجد وصلاة الجماعة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتِبَ له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»[(٣)].

فالصلاة في المسجد فيها الخلاص والنجاة من النار والنفاق، ويشهد لهذا المصلي بالبراءة من النفاق أن المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وهو نشيط، وعلامة نشاطه محافظته على تكبيرة الإحرام في الجماعة.

ولا شك أن الجماعة تُعدي، وصحبة المسجد خير صحبة، ولقاؤهم يزيد

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٧٤.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٧٤.

(٣) حسن: رواه الترمذي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٦٣٦٥.

الإيمان، ويدعم بناء التقوى، وينفي من القلب النفاق ومحبة غير الصالحين؛ ولذا قال عبد الله بن مسعود ﷺ:

«من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادَى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلي هذا المتخلِّف فى بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم»(١).

فالمحافظة على الصلوات تضمن لك أن تلقى الله بتمام الإسلام، والانتقاص منها يؤدي لنقص الإيمان، وترك الصلاة في المسجد هو ترك لسنة النبي ﷺ، وكل تركٍ لسُنَّة فيه تشجيع لبدعة، وتشجيع البدعة معناه المساعدة في إضعاف الإيمان وتقوية النفاق.



٩- حسن التعامل مع مواسم الفتور:

يفتر المسلم ويتراخى، وتمر به أوقات ضعف وكسل، خاصة بعد القيام بعمل شاق أو انقضاء موسم طاعة، وذلك مصداق حديث رسول الله ﷺ:

«إن لكل عمل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك»(٢).

والمؤمن يفتر لكن لا ينقطع عن عمله، واسمع هذا الكلام الجميل الممتلئ بالبشائر من ابن القيم:

«فتخلل الفترات للسالكين: أمر لازم لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة

(١) أخرجه مسلم ٢/ ١٢٤ وأبو داود رقم: ٥٥٠ والنسائى ١/ ١٣٦ وابن ماجة رقم: ٧٧٧ والبيهقى ٣/ ٥٨ – ٥٩ عن ابن مسعود به موقوفا عليه.

(٢) رواه الإمام أحمد وابن حبان كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٥٢.

وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم: رجا له أن يعود خيرًا مما كان»[١].

فيجب أن يضع العبد لنفسه في سيره إلى الله حدًّا أدنى لا ينزل عنه أبدًا، ولا يقبل لنفسه أن تنحط عنه مهما حدث، وهو ترك المحرمات والقيام بالواجبات.

والفتور نوعان: فتور في ترك السنن والمستحبات، وهذا طبيعي، وهو ما جاء في الحديث: «**فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى**».

وهذا النوع من الفتور لا يجعلك تترك واجبًا، أو ترتكب محرمًا.

وهو ما أبكى عبد الله بن مسعود ﵁ عند موته، فقال عند احتضاره: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«**إن العبد إذا مرض يقول الرب تبارك وتعالى: عبدي في وثاقي، فإن كان نزل به المرض وهو في اجتهاده قال: اكتبوا له من الأجر قدر ما كان يعمل في اجتهاده، وإن كان به المرض في فترة منه قال: اكتبوا له من الأجر ما كان في فترته». فأنا أبكي أنه نزل بي المرض في فترة، ولوددت أنه كان في اجتهاد مني**»[٢].

فهو يقول: كنتُ أتمنى أن يأتيني الموت في زمن النشاط، وأنا أصوم وأقوم وأقرأ القرآن؛ فآخذ أجر الصيام والقيام والتلاوة الذي فاتني أثناء فترة المرض.

وأما النوع الثاني من الفتور، فهو المؤدّي إلى التفريط في الواجبات أو الوقوع في المحرمات، وهذا النوع من الفتور يؤدّي إليه طول مواسم الفتور واستمراء الرقود؛ ولذا قال ابن القيم:

«لابد من سِنة الغفلة ورقاد الهوى، ولكن كن خفيف النَّوم»[٣].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ١٢٢.

(٢) شعب الإيمان ١٢/ ٣٢٦.

(٣) الفوائد ص ٤١.







من أدوية الفتور



أولاً: المحبة قبل الخوف:

وهو دواء تناوله بعض الصالحين في قوله:

«العمل على المخافة قد يغيِّره الرجاء، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور»[1].

وهي عبارة صحيحة؛ لأنك إن عملتَ بدافع الخوف فقط، فقد يعتريك الفتور إن حصل لك بعض الرجاء، فيدبُّ إلى عملك الفتور؛ لأن الدافع لعملك كان الخوف، فلما دخل الرجاء خفَّ الخوف، وخفَّ من ورائه العمل، وأما إذا كان الدافع للعمل محبة الله، فأي شيء يخفِّفها؟ لا شيء.

إن أي عمل تعمله وأنت له مِحب لن يداخله الفتور، فلو كنتَ آخر الليل مثلاً مرهقًا، وترغب في النوم بشدة، ثم جاءك صاحب لك بعمل تحبه، فإنك تقوم وتنشط له، وتطرد النوم عن أجفانك.

إذا كنتَ مريضًا، فزارك إنسان تحبُّه، فإنك تقوم وتنسى مرضك لتجالس الحبيب وتؤانسه.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٤١ – ط مؤسسة الرسالة.



وهكذا كل عمل مع المحبة، فإنه يطرد الملل، ولا يلحق به الفتور.

ولذا قال بعضهم:

«إذا سئم البطَّالون من بطالتهم، فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك»(١).

فالمحبة هي الرأس، والخوف والرجاء الجناحان، وإذا قُطِع الرأس، فلا يطير طائر بل لا حياة له، فاحرص دائمًا على أن تزيد منسوب المحبة في قلبك، فإذا صار الدافع للعمل محبة الله، فلا تخشَ الفتور، وقد (جُبِلَت القلوب على حب من أحسن إليها، فواعجبا ممن لم يرَ محسنًا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكلِّيته إليه)(٢).

ولذا كان من جميل أقوال يحيى بن معاذ وهو يعقد المقارنة بين الخوف والمحبة قوله:

«حسبك من الخوف ما يمنع من الذنوب، ولا حَسْبَ من الحب أبدًا»(٣).

ثانيًا: التنويع:

ما أكثر ألوان العبادات، فهناك صلوات وصيام وصدقات وحج وعمرة واعتكاف وصلة أرحام وحسن جوار، وحتى الصلوات تتنوع، فهناك سنن رواتب وقيام ليل وصلاة التوبة وصلاة الضحى.

فنوِّع في عباداتك حتى لا تمل من عبادة معينة، وما أجمل قول ابن عطاء:

«لما علم الحق منك وجود الملل لوَّن لك الطاعات».

ثالثًا: حضور القلب:

حذارِ مِن تحوُّل عباداتك إلى عادات، فهذه أول خطوة في طريق الفتور، وتنزع من العبادة أي روح.

---

(١) السابق ٢/ ٣٤١.

(٢) التبصرة لابن الجوزي ص ٢٥١.

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص ٢٥ - ط مكتبة المؤيد.



قال ابن قدامة:

«ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة؛ لأن النطق إذا لم يُعِربُ عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال؛ لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة، ومن الركوع والسجود الذُّل والتعظيم، ولم يكن القلب حاضرًا، لم يحصل المقصود، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها، قال الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧] »[١].

رابعا: خدمة الروح أكثر من خدم الجسد:

كلما خدَمْتَ الروح سمَتْ وتعالت عن الفتور، وكلما خدمت الجسد أخلد بك إلى الأرض وتكاسل بك عن عظائم الأمور.

قال ابن القيم:

«خُلِق بدن ابْن آدم من الأرض، وروحه من ملكوت السَّماء، وقُرِن بينهما، فإذا أجاع بدنه وأسهره وأقامه في الخدمة وجدت روحه خفَّة وراحة، فتاقت إلى الموضع الذي خُلِقَت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوي.

وإذا أشبعه ونعَّمه ونوَّمه واشتغل بخدمته وراحته أخلد البدن إلى الموضع الذي خُلِق منه، فانجذبت الروح معه، فصارت في السجْن، فلولا أنها ألِفَت السجْن لاستغاثت من ألم كما يستغيث المعذَّب.

وبالْجُملة، فكلما خفَّ البدن لطفت الروح وخفَّت، وطلبت عالمها العُلْوي.

وكلما ثقل وأخلد إلى الشَّهوات والراحة ثقلت الروح وهبطت من عالمها، وصارت أرضية سفلية»[٢].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٩ - ط دار البيان بدمشق.

(٢) الفوائد ١٦٨.





١٠- جلسة المحاسبة:

كان عابد الكوفة الإمام القدوة الفقية إبراهيم التيمي يقول:

«ما عَرَضْتُ عملي على قولي إلا خشِيتُ أن أكون مُكَذَّبًا»[١].

تُرى ..

متى كان يعرض عمله على قوله؟!

أليس في جلسة محاسبة، وخلوة تفكر؟!

وواجب على كل مؤمن اليوم أن يتعرض لنفس الأمر، فيحاسب نفسه هنا قبل أن يُحاسَب هناك، والمحاسبة وحدها تجعله يكتشف التقصير فور حصوله ليستدركه، وقبل أن يتفاقم ويتضاعف.

صيحات التحذير من عاقبة التراخي والتقصير تتوالى عبر العصور على ألسنة المخلصين، ومعها شعور الشفقة والخوف من مصير مخيف أشار إليه ابن رجب الحنبلي في قوله:

«الإصرار على المعاصي وشعب النفاق من غير توبة يخشى منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية»[٢].

إن صلاة الجمعة مثلاً قد تدفعنا لمثل هذه المراجعة، لكن كيف؟

أخرج مسلم في صحيحه: (كان رسول الله ﷺ يقرأ -أحيانًا- في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الأخرى: إذا جاءك المنافقون)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في تاريخه ١/ ٣٣٥ وأحمد في الزهد ص ٢٩٣.

(٢) فتح الباري لابن رجب ١/ ١٩٧- ط مكتبة الغرباء الأثرية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ٨٧٧ وأبوداود في سننه رقم: ١٠٧٥.



لكن لماذا؟

رواه الطبراني بلفظ آخر فيه توضيح:

كان رسول الله ﷺ مما يقرأ في صلاة الجمعة بـ: ﴿ٱلْجُمُعَةِ﴾ ؛ فيحرِّض به المؤمنين، وفي الثانية بسورة ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ؛ فيقرّع به المنافقين[1].

لأن كثيرًا من المنافقين لا يأتون الصلاة إلا يوم الجمعة، فيسمعون سورة (المنافقون)، وتقرع اسماعهم زواجر الآيات عن قبيح الصفات، فكأنها جلسة مصارحة إجبارية، وفصل من فصول التوجيه الإلزامي.



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم: ٩٢٧٩. قال الألباني: وإسناده حسن. قال أبو العباس القرطبي: (قراءة النبي ﷺ في الجمعة بسورتها ليذكِّرهم بأمرها، ويبين تأكيدها وأحكامها، وأما قراءة سورة المنافقين، فلتوبيخ من يحضرها من المنافقين؛ لأنه قل من يتأخر عن الجمعة منهم، إذ قد كان هدد على التخلف عنها بحرق البيوت على من فيها، ولعل هذا- والله أعلم- كان في أول الأمر، فلما عقل الناس أحكام الجمعة، وحصل توبيخ المنافقين، عدل عنها إلى قراءة: (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية)... لما تضمنتاه من الوعظ والتحذير والتذكير، وليخفف أيضًا عن الناس، كما قال: «إذا أقمت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية»).



آخر كلام ومسك الختام !

نظرتُ في هذا الكتاب بعد ما كتبته ..

فانتقلت معه إلى رياض الإيمان ثم إلى أوكار النفاق.

حلقتُ به عاليًا في الآفاق ، ثم وصلتُ إلى الأعماق.

فكانت لي مع النفس وقفة..

ظهرَت فيها خفايا في المرايا..

وانكشفت عيوب من وراء الذنوب..

فحمدت ربي ..

أني لم أزل بعدُ في الإمهال..

وأستطيع التحول من حال إلى حال..

وأتحرر من عبودية الدنيا وحب الشهرة وكنز المال.

والله قدير ..

قادر على أن يشفيني من أمراض قلبي ..

وأخطر الأمراض النفاق..

ودور هذا الكتاب..

أن يكون المرآة التي أحدِّق فيها بقلبي ..

فأتعرف به على صورتي الحقيقية بلا زيف أو ادِّعاء..

وهي الصورة التي يراني الله عليها والملائكة ..

ثم أعيد بعدها تهذيب هيئتي الإيمانية ..

وأستعيد جمال قلبي وفطرتي النقية..

وأخرج من قراءتي بقلب جديد وعزم حديد.





الفهرس







رسائل كاتم السِّر

قال رجل لحذيفة: «إني أخاف أن أكون منافقا، فقال: لو كنتَ منافقا ما خفت النفاق، إن المنافق قد أَمِن النفاق».

قال حذيفة لجلسائه: «إنكم لتتكلَّمون كلامًا إِنْ كُنَّا لنعُدُّه على عهد رسول الله ﷺ النِّفاق».

قال حذيفة: «إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد النبي ﷺ، فيصير بها منافقًا، وإني لأسمعها من أحدكم اليوم في المجلس عشر مرات».

سُئِل حذيفة عن النِّفاق فقال: «أن تتكلم باللسان ولا تعمل به».

عن الأسود قال: كنا في حلقة عبد الله، فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم ثم قال: «لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم».

النفاق السلوكي

هذا الكتاب

النفاق العبادي

بذرة النفاق كامنة في قلبك..
إما أن ترويها أو تقتلها..
في قلب كل واحد فينا يقبع
منافق صغير..
إما أن تحاصره فتهزمه، وإما أن تنهزم
أمامه فيُهلِكك.
دينك في خطر..
وقلبك فيه بعض أعراض المرض!
وإذا مرض القلب كان إلى الموت أقرب.
وقد نبتت شجيرة النفاق في قلوب الكثيرين من
حولك ونفشت..
فانطفأ نور الإيمان أو أوشك.
خاصة أن أرض الخوف يتفشى فيها النفاق..
يقول أهلها: (نخشى أن تصيبنا دائرة)..
وهم أصحاب أعذار عن أعمال الخير..
مع عجلة تسارع إلى أوكار الكسل والشر.
النفاق أخطر مرض..
والوقاية منه واجب الوقت وفريضة اليوم.
وما أنزل الله من داء إلا وجعل له دواء..

النفاق الحركي

النفاق الاجتماعي

by Usama Taha

لأول مرة!
هذا الكتاب مسموعا
عن طريق الرابط



Khaledabushadi
Khaled Abu Shadi
@khaledabushadi
khaledabushadi
http://thearchive.me
/ask/KhaledabuShadi/
www.khaledaboshady.com



دار الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع
18 شارع مطر - أحمد حلمي - شبرا مصر - ت 01118881532
newandalus.book@gmail.com



9 789774 565198